

صناعة المواجهة بأدب

دة. امتنان الصمادي*

لم يعد الغبار يغلف طبيعة الصراع العالمي الجديد الذي أثاره باحثون أمثال الراحل صاموئيل هانتنغتون أستاذ العلوم السياسية في جامعة هارفارد ومؤلف كتاب صراع (صدام) الحضارات الذي تناول فيه مستقبل الغرب وحضارات العالم مبينا أن ما يحكم العلاقة بين الحضارات هو الصدام وأساسه الثقافة أو الهوية التي تحكم كل حضارة . فالصراعات العنيفة التي شهدها العالم بعد الحرب الباردة، من وجهة نظره، لن تكون بين الدول القومية بل ستنجم عن الخلافات الثقافية والدينية بين الحضارات الكبرى. ولا أريد أن أجعل افتتاحيتي في ماهية هذا المفهوم وبيان سر الفكرة المصدرة لنا من الغرب المتناسي فكرة أن الحضارة الإنسانية الواحدة هي التي أوصلت الشعوب والأمم إلى ما وصلوا إليه في مجالات الحياة القائمة على التطور الصناعي والتقدم التقني وغيره. وإنما يقودني ما سبق إلى العجب من سرعة ما ورد علينا من ترجمة عملية لتلك المفاهيم بصورة هجمات تنطلق من مشروع صريح وبين يستهدف الدين والثقافة والأدب، فترجم مرة بصورة أفلام سينمائية تتناول شخص السيد المسيح عليه السلام، وغيرها بصورة رسوم كاريكاتيرية تتعرض للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالتشويه .

لقد أدركت الكاتبة الأمريكية شيري جونز بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي وضعت الإسلام على طاولة المساءلة الأيديولوجية للباحثين عن الحقيقة من جهة أو للطائشين الذين فكروا بالانتقام من هذا الدين اعتقادا منهم بحكاية الإرهاب التي روجت لها السياسة الأمريكية من جهة ثانية، أدركت أهمية الخوض في حقيقة هذا الدين وبدأت رحلة بحثها، بوازع شخصي، في سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم، ومما لفت انتباهها في سيرته ذلك الجزء الشخصي الخاص



بعلاقته بزوجاته، فتقرر إعادة تشـــكيل دور الزوجات في بيت النبوة بدعوى إنصافهن في عمل روائي تاريخي بعنوان «جوهرة المدينة» يحكي قصة السـيدة عائشة رضي الله عنهـا فتصور الكاتبة من خلاله أدق تفاصيل حياتها التي تجمعها بالنبي صلى الله عليه وسـلم وتصورها امرأة غيورة ومندفعة ولعوب، وتتعرض لحادثة الإفك وما ترتب عليها من تشويه . لقد وجد هذا الدافع الشخصي عند الكاتبة من يتلقفه ما دام يثير مشـاعر المسلمين ، فاندفعت بعض دور النشر لطباعة الرواية كونها صيدا ثمينا سيجلب ملايين الدولارات ويدق إسفينا آخر في الجبين .

تعد شـيري جونز بعملها هذا نموذجا لمثقفي الغرب الأمريكي وأدبائه الذين سعوا إلـى قراءتنا (قراءة الآخر وكل من هو خارج الـذات القومية) قراءة فاحصة تنبش في أدق التفاصيـل، وتكشـف مواطن الضعـف، وتعري الثغرات من أجـل صناعة عمل روائي شـهير يضع صاحبه على القمة مباشـرة دون قاع ، ويثير حفيظتنا فنسـهر الليل جراها ونختصم .

وفي سـياق صناعة المواجهة يفكر الآخر فـي دحر الخطر الذي يهدد وجوده وفكره ومعتقده بكل الوسائل النبيلة وغير النبيلة، المشروعة وغير المشروعة، المحرمة وغير المحرمة على قاعدة نقل المعركة إلى أرض العدو.

مقابـل ذلك كله وفي غمرة تداعي الأمم علينا كمـا تتداعى الأكلة على قصعتها كيـف نقرأ الآخر؟ وهل قـدم منجزنا الروائي صورة الآخر في ضـوء صناعة المواجهة التي تقتحم على الآخر داره (لا كاقتحام مصطفى سعيد الطيب صالح للغرب في رواية موسـم الهجرة إلى الشـمال) هل نبشنا الحقيقة التي تقوم عليها حضارته؟ وهل يمكن أن نقرأ رواية عربية ترصد انهيار الرأسـمالية الغربية وتكشف فضائحها المالية، والأخلاقية، والعنصرية، والاسـتعلائية الكولونياليـة، فنحدث بذلك ضجة عالمية تعيد طرح الأسـئلة الكبرى التي شـكلت كيان الآخر ووجوده؟ وهل سـيجد الروائي العربي الجريء مولا عربيا جريئا يدعم مشروعه بعشرات الآلاف لتباع بالملايين ؟؟

إن صـورة الآخر التي جادت بها بعض الروايات العربية تتجسـد في بعدين: العداء المتمثـل بصورة العدو الغاصب، والانبهار المتمثل بصورة الأجنبي المتحضر، والمتقدم، والمتحـرر بالمطلـق مـن قيود الديـن والجسـد، وكلا البعدين لا أظنه ينـدرج في باب المواجهـة، فالمواجهـة صناعة كما أن الوجـود إرادة، وصناعـة المواجهة تبدأ لحظة الشـعور بالكينونة الخاصة بنا والمميزة لنا صوتا وأدبا وشـكلا وهوية، فقد آن الأوان إعـادة النظر بمقولـة ابن خلدون «والمغلوب مولع بتقليـد الغالب» إذ لم يعد العالم يتسـع لمغلوب وغالب بقدر ما ينطوي على جـريء باحث عن القوة في ضعف الآخر، وجبان لا يفتأ يندب حظه العاثر الذي يعتقد أنه لم يورثه سـوى الضعف فيسـعى جاهدا لمداراة عجزه بالحديث عن قوة الآخر .

* رئيسة التحرير



ندوة حوارية

«أقلام جديدة» تنتدي حول تجربة قعوار القصصية

أكاديميون ونقاد: كاتب ينحاز لنبض الناس

أدارت الندوة: دة. امتنان الصمادي
أعدّها للنشر: إبراهيم السواعير*

نصح الكاتب القاص فخري قعوار الجيلَ الشاب ألا يتهاون في لغته الفصيحة، وأن يقرأ لأدباء أردنيين أسسوا للقصة القصيرة والرواية وغيرهما من الأجناس الأدبية. ودعا إلى ضرورة الصبر على الموهبة والتعب لأجلها، والمطالعة كثيراً؛ مُورداً معاناته في الستينات شابّاً تستهويه القصّة، فلا يستسلم ويعدل عن مشروعه الأدبي والقصصي بسبب آراء ناقدة وصلت حدّ القسوة. وقال إنّ « الحدث» في القصة لازمٌ، والكاتب بطبعه انتقائيٌّ، موضحاً أن الواقع لا يصلح كلُّه موضوعاً لقصة، وأن لغة القصة لا تقف عند مرحلةٍ بعينها، وإنه لا يتقصّد السخرية في ما يكتب؛ بل يسعى لنقل هموم القطاع العريض من الناس، الذي يكتب له.

وأجمعت آراء نقاد ومثقفين، درسوا تجربته، على أنّ قعوار ينطلق من الخاصّ إلى العام، وأنّ لغته لم تكن عابرةً؛ بل فيها ما يوحي ويثير، وهاجس القصّة طغى على هاجس المقالة لديه، وقد كان سبّاقاً إلى استخدام تقنية الهوامش في قصصه، وسعى إلى إرساء قواعد القصة القصيرة في الأردن مطلع الستينيات، وظلّ فيها وفيّاً لجمهوره وقارئيه.

وتالياً مداخلات: القاص قعوار، ود. شكري عزيز الماضي، ود. إبراهيم خليل، ودة. هند أبو الشعر، والناقد نزيه أبو نضال، والصحفية سميرة عوض، ود. مازن عصفور، في الندوة الحواريّة التي أقامتها مجلة» أقلام جديدة»





في مكتبة الجامعة الأردنية بعنوان «قراءة في تجربة فخري قعوار القصصية»، بإدارة رئيسة تحرير المجلة د.ة. امتنان الصمادي.

قالت د.ة الصمادي: نحتفي وإياكم هذا المساء بضيف الندوة الكاتب القاص فخري قعوار، وأنا متيقنةٌ من أنّ نقاشاً سيمتدّ، ومداخلات ستغني حوارنا لنصل إلى استنتاج سواء في تجربة أديبنا، ولن أطيل. فهو متعددٌ، ولعلّ شخصياته التي يبدعها هي الـ «نحن» بكل تناقضاتها، ولعلّ لغته أيضاً، البسيطة المألوفة ستفجّر أقوالاً أكبر من مجرد الجملة البسيطة، ولعلّنا نقف على توازن ما بين الحدث الخارجي في قصصه، والدواخل النفسية لشخصياته. وهي فرصةٌ لن تكون الوحيدة لشبابنا في التعرف إلى أدب مبدعينا الرواد في القصة والشعر والرواية والفن؛ إذ ستتبعها ندواتٌ تنتهجها المجلة كلّ شهر؛ انطلاقاً من فلسفتها التي نرمي منها جسر الهوّة بين الجيلين: الرائد والشاب، وكلاهما يغني المشهد بإبداعه. ومن واجب أبنائنا علينا أن نستمع إلى مداخلاتهم، ومن واجبنا أيضاً أن ننقل لهم تجارب أسست وبنت مداميك في مجالات إبداعها؛ فيتواصل الطرفان، وهو جلّ ما نتمناه.

وأضافت أنّ هذه الأنشطة الثقافية تستهدف بالدرجة الأولى طلبتنا وشبابنا المبدع، الذين تقلقهم المرحلة على الصعيد الفكري والإبداعي والمعرفي، علاوةً على الواقع الذي يقلقهم بكل تناقضاته. ولأن المجلة تعنى بهؤلاء الحاملين لواء التغيير، لذلك كان لابدّ من فتح قنوات التواصل والحوار بينهم وبين خيرة الكتاب والأدباء والفنانين والمفكرين المحليين والعرب، أصحاب البصمات الواضحة؛ ليسهموا في وضع الأطر العامة التي تعرّف بالمرحلة الراهنة لفئة الشباب، ويجيبوا عن أسئلتهم ويوجهوهم؛ ليختلفوا معهم أو يتفقوا، وكلا الأمرين خير.

كما قدّمت الصمادي قعوار المولود عام ١٩٤٥ في الأجفور، المتنقل ما بين التدريس والصحافة والبرلمان، وكان رئيساً لرابطة الكتاب الأردنيين ، وأميناً للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب حتى عام ١٩٩٨، وعضواً في منتديات أدبية مهمة، مثل جمعية القصة والرواية وغيرها.

وقالت الصمادي إنّ لقعوار إسهامات غزيرة في مجال كتابة القصة والرواية والمسرحية؛ فقد تجاوز رصيده الثلاثين إصداراً، بالإضافة للعديد من المقالات الصحافية الساخرة. وذكرت د.ة. الصمادي من مجموعاته القصصية: «ليالي الأنس»، «لماذا بكت سوزي كثيراً»، «ممنوع لعب الشطرنج»، «أنا البطريرك»، «، «أيوب الفلسطيني»، و«عنبر الطرشان».



الصمادي: «نسعى بسلسلة ندوات المجلة كل شهر إلى جسر الهوة بين الجيلين: الرائد والمبدع الشاب»

وبيّنت أنّ الضيف لا يخلو قَصُّهُ من غرائبية، وتجديد على مستوى التقنيات، وتطوير على مستوى المعالجة؛ إذ يلمس المتلقي حرصه الشديد على تمثُّل الهوية الأردنية في أعماله، ونقل معاناة البسطاء، وسعيهم نحو أرزاقهم، وهو بمنزلة فنان اللحظة الذي لا تقلقه التفاصيل الفنيّة أو العناية باللغة بقدر انشغاله بالفكرة والموقف الإنساني بأسلوب ساخر بعيد عن التهريج في تصوير الواقع أو التعامل معه أو التعبير عنه؛ في محاولة لكشف الزيف الذي يغلفه في البيت والشارع والمؤسسة والمطبخ وغيرها؛ ذلك أنّ « ناسه» هم نحن بكل صورنا وتقلباتنا وتطلعاتنا؛ فهو يحفر ليجعلنا أكثر قدرةٍ على رؤية أنفسنا من جديد.

وقالت: مما يغني الندوة أنّ عدداً من الأكاديميين والنقاد والدارسين المهتمين بتجربة الكاتب القاص لبّوا دعوة المجلة، ويزيدنا إيماناً بجدية الندوة حضور مستشار تحريرها ومؤسسها الأستاذ الدكتور صلاح جرار نائب الرئيس لشؤون الكليات والمعاهد الإنسانية، وهو الذي لا يتوانى عن تقديم الدعم والمشورة والتسهيلات لكل مقترح بنّاء يغني المجلة ويمهد لها الطريق نحو الاستمرار والتجدّد.

وفي ورقته قال قعوار: الحدث في القصّة لا يجب أن يكون بهذه القسوة دائماً، بل إنّ الكتاب المجددين باتوا اليوم أكثر ميلاً للهدوء والتأثير والإقناع؛ فالكاتب قادرٌ على نقل الفكرة والتأثر بها دون اللجوء إلى سفك الدّماء؛ فاللغة قادرةٌ على فعل المعجزات إذا استطاع الكاتب أن يحسن التصرف بها، وهي كذلك ثقافة العمل الأدبيّ المتساوق مع الموهبة.

ومن هنا، نجد أنّ تطوراً ملموساً قد طرأ على مفهوم «الحدث» في القصة القصيرة، مما يعيق مهمة الدارس في وضع تعريفٍ محدد للقصة. فبعد أن كانت القصة تعتمد على المفارقات والفواجع والعنف والدماء صار الكاتب يميل إلى خدمة فكرته بأسهل الطرق وأبسطها وأكثرها هدوءاً.

والكاتب بطبعه انتقائيٌّ؛ يختار من واقعه ما يراه ملائماً لخدمة أغراضه الفنيّة، ولذلك فإنه يأخذ من الواقع أجزاء متفرقة، ويربط بينها ليصل إلى حياةٍ جديدة تبدو أمامنا ذات استقلالية تامة عن الواقع نفسه، وأعني بالاستقلالية هنا أن العمل الإبداعي يصبح ذا شخصية جديدة متميزة.

وأخلص من هذا إلى أن القصة القصيرة ليس لها تعريف محدد، يمكن أن نعتمده بشكلٍ ثابت ولكن هل يجوز أن نقول إنه لا يوجد تعريف للقصة ثم نسكت؟! في الحقيقة لا بد من محاولة من أجل تلمّس الملامح العامة للقصة، كي نتمكن من وضع تصور عام لها بديلاً للتعريف الجامع المانع عن الواقع، إلا أنها في النهاية تصب في هذا الواقع. ولمزيد من التوضيح أقول إن ما يحدث في حياتنا اليومية لا يصلح- على علاته- لكتابة قصة قصيرة.

فالمشاجرة التي قد تحدث بين امرأة وجارتها وتؤدي إلى ذهابهما إلى المخفر، ويجري التحقيق فيهما، لا تصلح قصة قصيرة، وإلا فإن تحقيق الشرطة أو تحقيقها المكتوب يصبح عملاً أدبياً منتزعاً من صميم الواقع. ولهذا فإن حادثة كهذه قد تفيد الكاتب الواقعي، لكنها ليست هي الواقع المطلوب تصويره ورصده، ومن هنا جاءت المقولة المعروفة عند «آرنست فيشر» و«جورج لوكاتش» وأمثالهما من نقاد الواقعية في العالم. إن الواقعية لا تعني تسجيل الواقع كما هو في العالم، وإنما تعني أن يختار الكاتب وأن ينتقي ما يجده مناسباً لخدمة هذا الواقع وتجميله وإعطائه رونقاً جديداً يلعب دوراً فاعلاً في خدمة الأهداف النهائية للقصة.

والحدث لا يهم اختياره لأن الكاتب لا يريد أن يكتب حكايات للتسلية، وإنما يختار الحدث

قعوار: «سهولة لغة القصة لاتعني عامّيتها.. والواقع لا يصلح كلّه لكتابة قصة، والحدث شرطٌ لازم»

الذي يخدم موضوعه، والوجهة التي يريد أن يسير فيها. وعلى الرغم من أن اختيار الحدث بطريقة الربط بين متفرقات، إلا أن حصيلة هذا الربط يجب أن تكون قابلة للتصديق من قبل المتلقي. وقد أصبحت لغة القصة جزءاً مهماً في مجال بنائها، لأنها تساير التطور الأدبيّ فتتطور معه، هذا إن اتفقنا على أن اللغة كائنٌ حي يتطور مع الأحداث ومع مرور الزمن، ومع ما يستجد من تغيرات اجتماعية وخلافها. فكيف يستطيع الكاتب الواقعي أن يكتب قصةً واقعية، ويجعل الحوار الداخلي أو السرد أو الحوار بين الشخوص بلغة أجدادنا الجاهليين؟

فالقصة الواقعية تكتب بلغة سهلة وبسيطة، ولا سيما أننا نعيش الآن في عصر الصحافة ولغة الإعلام المرئي والمحكي، لا عصر الكتب القديمة ولغة المؤلفين القدماء. وحتى لا يساء فهم هذا الرأي أقول: إن كتابة القصة بلغة سهلة وبسيطة لا يعني أن نكتب بلغة الشارع العامية، إذ بالإمكان أن نفصّح هذه العاميّة، كما أن بالإمكان أن نبسّط الفصحى المقعّرة، بحيث تلتقيان في لغة عربية فصيحة مبسّطة.

وعموماً، فإن كتابة القصة القصيرة ليست فناً سهلاً، ومع ذلك، فهي لا تمتنع أمام الموهبة والثقافة والتمكن من اللغة، كما أن الحديث عن القصة يحتاج لكلام أكثر، وتفاصيل أوفى، وما أوردته هنا مجرد محاولة للاقتراب من فهمي للكتابة القصصية، وهي- المحاولة- لم تتجاوز حدود الألف باء للقصة القصيرة، ومن أراد أن يواصل التعرف إلى هذا العالم الإبداعي، فعليه أن يطلع على أكبر قدر ممكن من المجموعات القصصية، ومن الدراسات التي تبحث في هذا الفن الأدبي.

ولست أنكر أن النقد ضروري للمبدع، لكن الأكثر ضرورةً من هذا هو امتلاك المبدع نفسُه ناصية الإبداع وناصية الخلق الأدبي، وقد أدركت هذا وراهنت عليه منذ أن كتبت قصصي الأولى إلى الوقت الحاضر؛ فأنا أفضّل أن تستقر القصة في داخلي كاملة، كما لو كنت قد كتبتها وأعدت قراءتها وحفظتها بكل تفاصيلها. وكي أصل بالقصة إلى هذه المرحلة، فإن الأمر يتطلب وقتاً طويلاً من التقليب إلى أن يتم التخمر أو النضج على نار هادئة. وفي ظني أنّ أوقات الليل هي أفضل

الأوقات لتقليب القصص والتفكير بها، بعيداً عن ضجيج النهار وضوضائه ومشاكل الحياة ومشاغلها، وأفضل أوقات الليل هي التي تبدأ بعد منتصفه. وقد اعتدت على التعايش مع شخصياتي والتفكير في قصصي في الليل، وربما كان أدق وصف لهذه المعاشرة الحميمية، بأنها كانت ليالي أنس يغلب عليها التحاور مع الجلساء من الشخصيات القصصية والأجواء التي تسعى فيها.

وبيّن د. شكري الماضي أنّ موضوعات الكاتب قعوار مستمدّةٌ من حياتنا المعيشة، كما هي جمالياته الشعرية الملتقطة من الواقع، لا من فلسفةٍ فنيّةٍ مؤطرة. والأحداث القصصية عنده عاديّةٌ وبسيطة، تتحول إلى حدثٍ فنيٍّ مقبول، كأنما هو جزء من هوية القصة القصيرة لديه. والمكان والزمان المحددان عنده يكتسبان طابعاً شمولياً، ومجمل قصصه تطمح إلى المزج ما بين الذاتيّ والموضوعيّ، وقعوار تؤرقه مشكلة الجماعة، أو همُّ «الناس».

وأضاف: فالأحداث عنده ليست خاصةً لا يمكن تعميمها، بل تتدرج من الجزئيّ إلى الكليّ، والغاية النهائية هي «العمومية» المتوخاة، وأعود لأؤكد حرصه المسبق على التعبير عن مشكلات من حوله.

أما اللغة فعاديّةٌ، نثرية، ولا أقصد بالعاديّة أنها عابرة لا تحتوي على معنى فني، بل هي قادرة على الإيحاء والتصوير والتجسيد لما في ذهن القاص بما يربطه مع «الناس»، الذين هم هاجسه دائماً.

والكتابة للناس البسطاء ليست سهلةً، بل إنها تحتاج رموزاً شفافة، تلبي قضاياهم، وتدفع باتجاه تبنيها.

إنّ مشكلة الذات على خصوصيتها تصبح

الماضي: «لغة قعوار النثرية ليست عابرة، بل موحية ومصوّرة تمزج الذاتي بالموضوعي، أو الخاص بالعام، وجمالية الكتابة لديه في بساطتها»

جزءاً من مشكلة الجماعة التي ينتمي إليها، ويكتب عنها، وبمعنى قريب فإنّ أحداثه المختارة ليست نادرةً أو خاصّةً أو شاذّةً لا تُعمم؛ فخيوط كثيرة تصلها ببعضها، ونتوقع منها الكثير.

سمةٌ أخرى تتعلق بالمضامين أو القضايا، فكأنّ مجمل قصصه تطمح لتكون جزءاً معبّراً عن الهمّ الإنسانيّ وسط هذا الركام الذي يحيط بنا؛ أما نظام التوصيف الذي يظهر العلاقة بين القصة القصيرة والمتلقي، فيحيلنا إلى جمهور عريض، غير متجانس؛ فقعوار لا يكتب للنخبة أو الصفوة، وإنما لعامة الناس؛ نتيجةً لمفهومه للجمال في أسلوبه اللغوي وطبيعة رموزه.

وأعود إلى اللغة في أقاصيصه، فهي ليست «هابطةً»؛ بل تستطيع التحليق والإيحاء والتصوير والتجسيد، والرموز معظمها شفافة يستطيع القارئ بعد عناء قليل أن يكتشف دلالاتها؛ فالقاص يسعى للارتقاء بوعي القراء، ولذلك فإنّ مجمل قصصه تقترب من حركة الواقع، وتواكبه من موقع الفنان الحريص على الاحتكاك بالبشر والكتابة عنهم.

وما أقوله اليوم عن قعوار ليس بحثاً، بل نظرةٌ شموليةٌ لأدبه، وسأنطلق من سؤال محدد، وأنا أؤمن أنّ النقد الأدبيّ عندما يتناولُ نصّاً مفرداً يكون ذا هدفٍ محدد، وعندما يدرس مجموعة نصوص أدباء يكون الهدف مختلفاً، وحين يبحث في مجموعة نصوص

أديب منفرداً فإنّ لـه مأرباً يرجوه. وهنا فإنني أرجو أن أبيّن ملامح البصمة الفنيّة لقعوار، أو خصوصية صوته الإبداعي.

وأظنُّ أن المنطلق لتحديد هذه البصمة أو تلك إنما يتمثل في استخلاص مفهوم الجمال عند أديبنا، ومن خلال قراءاتي لأعماله تبين لي أنّ مفهوم الجمال لدى قعوار يتمثل في البساطة ولا يتعارض معها، وهو ما سيحدد اختياراته وتوجهاته ومفرداته اللغوية.

وبالمجمل فإنّ حركة الواقع الغنيّة بحيويتها وتعارضاتها ومفارقاتها تهيىء له المادة الخام التي تتحول بالإبداع إلى مادّةٍ فنيّةٍ متشكّلة تتصف بالتناغم والقدرة على الإيحاء والدلالة.

وعلاوةً على أنّ موضوعاته تُستمدّ كلها من الحياة المعيشة، فإنها لا تعالج قضايا متعالية أو مجردة، كأن تبحث في ما وراء الحياة، أو ما بعد الموت.

واشترط د. إبراهيم خليل أن تكون القصةُ هاجس الكاتب، بمعنى أنه لا يشغله عنها هاجسٌ آخر، أو تتشتت جهوده بالرواية والشعرِ والنقد أو الصحافة، فإنها حتماً ستكون فناً مطواعاً يخلص له مبدعه، ويتوخى تجويده والاستمرار فيه.

وقال: إن فخري قعوار الذي قرأت له في مجلة الأفق الجديد وتابعت تجربته منذ البداية، منذ أواخر الستينات، ولم يصدر له عملٌ إلا كتبت عنه، كان يكتب قصةً واقعية الحدث والمحتوى

خليل: «عند قعوار هاجس القصة أكبر منه في المقالة، واللغة عنده فيها من الرموز ما لا يؤدي إلى استهلاك القصة أو إيجاد هوة بينه وبين قارئه»

والشخصية، ويقدم للقارئ بناءً يستطيع أن يستوعب تجربة القارئ، ويتفاعل معه، ولكن بعد سنوات من هذا الإنتاج المتواصل يتجه قعوار إلى الكتابة التجريبية الحديثة، قصة جديدة ذات حدث جديد. فاللغة عنده فيها من الرموز ما لا يؤدي إلى استهلاك القصة أو إيجاد هوة بينه وبين قارئه، وهذا الاقتراب يؤدي به إلى أن يخرج عن البناء التقليدي للنص.

أما مسألة هل يكتب الفصيحة أم العامية فهي مشكلة يحاول قعوار أن يتغلب عليها ليتواصل مع قارئيه ويكون قريباً من حياتهم اليومية، ولكنه لا يضحي بلغته بالمجمل.

وفيما يتعلق بالحدث في القصة، أعتقد أن انطلاق القاص قعوار من الحدث وتأكيده هو أمرٌ مسوغ، ذلك أننا نرى كتابة القصة الحديثة ليس فيها حدث، بل ولا نرى فيها شخصية، وهذا النوع من الكتابة ضعيفٌ جداً.

وكذلك فإن القصة عند قعوار تلتحم بالمقالة لدرجة أن قارئه ليس من الهين عليه التفريق بينهما؛ فعند قعوار يبدو هاجس القصة أكبر من هاجس المقالة، فهو يتحدث بقالبٍ قصصي، أي مقالة ذات طابع قصصي، وأستطيع القول إن قعوار يعد من رواد القصة القصيرة في الأردن منذ بداية الستينات.

وشكرت دة. هند أبو الشعر المنتدين بقولها: واكبنا مع د. صلاح جرار تأسيس هذه المجلة، المعتنية بالأدب الشاب، وأشكر رئيسة التحرير دة. الصمادي على اختيارها مكتبة الجامعة الأردنية مكاناً لانعقاد ندوات أعتقد أنها تغني شبابنا المنطلق نحو العلم والأدب والأخذ عن المبدعين والقامات الطويلة في مجالات إبداعهم.

وهذه الندوة تحسب للمجلة، وأنا سعيدةٌ

أبو الشعر: «هل تخلق القصة كاتب مقالٍ متميّزاً؟! وهل نخسر بكتابة المقال كُتَّاب قصّةٍ متميزين؟!»

بحضور القاص فخري قعوار، وأؤكد ضرورة أن تنفتح الجامعة على أدبنا. ولا شّك أن فخري قعوار هو ممن وضعوا اللبنة الأولى للقصة القصيرة في الأردن، وأذكر أنني عندما تجّرأت للمرة الأولى وكتبت قصةً، كنت أخشى من نشرها، غير أن أديبنا قعوار ظل يقنعني بالنشر؛ فنشرت في «الرأي».

وأذكر أيضاً أنني تجرأت وشاركت فخري قعوار والراحل خليل السواحري أمسيةً قصصيةً، وقد كانا أصحاب تجربة مثمرة فوجدت فيما بعد أن القصة لي وطن، وأنها عندي كما هي عند فخري وطن.

فخري الصحفي البرلماني السابق... متعددٌ.. كتب للطفل، ولديه تجارب كثيرة، ولا ننسى نقابيته في رابطة الكتاب الأردنيين.

وقالت: عرفت فخري عندما كتب مجموعته المشتركة«٣ أصوات»، عام ١٩٧٣، وأستطيع القول إنه أرسى قواعد القصة القصيرة المحلية بطريقة مكتوبة، وأستحضر «لماذا بكت سوزي كثيرا»، وفيها كثيرٌ مما سمعناه من جداتنا. وأنتقل لتقنية الهوامش، ونحن نعلم أن هذه التقنية هي للأكاديميين، ولكن كيف استعملها قعوار تقنيةً جديدة في القصة، هذا هو المهم، وهذا يسجل للقاص أنه جاء بها ولم يستخدمها غيره، وقد لمحنا ذلك في قصة «المنكوب».

محطة أخرى يمكن أن أقف عندها، وهي الأقصوصة القصيرة، ونحن أمام شكل جديد جسّده الشكل، وأرجو أن نعود إلى السبعينات في فترة تجديد القصة القصيرة في «أفكار»، والملحق الثقافي في الرأي، وميزة قعوار هي قدرته الفائقة على الوصول لمتلقيه بحميمية، ولغته متداولة تقترب من متلقيها كثيراً، ولا يعني ذلك أنها غير مقصودة.

وأعود إلى لغته المتداولة، وفيها نشعر جميعاً أننا أمام لغة يومية واقعية جداً. وتذكروا معي كيف يصوّر حوارات «الصبي» في «الكراج» وهو يتناول «المفك»، ويتحدث بلسانه بلقطاتٍ سينمائية شائقة.

وثمة أمرٌ يؤرقني وهو أن مجموعةً من كتّاب القصة عندنا اتجهت إلى الصحافة، وباتت كاتبة أعمدةٍ فيها، فالقاص عندنا يتحول إلى كاتب مقالٍ في صحيفة، والسؤال الذي أطرحه هو هل تخلق القصة كاتب مقالٍ متميّزاً؟!.. وهل يمكن أن نخسر بكتابة المقال كتاب قصّةٍ متميزين؟!

ولعل فخري قعوار في سخريته الجميلة يستوقفنا طويلاً هنا وهناك وأختم بأن كاتباً وأديباً مثل قعوار لا يمكن أن نتوقف في هذه العجالة عند كلّ مواهبه الأدبية المتعددة.

واستعاد الناقد نزيه أبو نضال علاقته الطويلة بقعوار، التي امتدت عبر رحلاتهما الأدبية في دول الجوار، وخصوصاً القاهرة، وقال: كم أتمنى لو يقف فخري اليوم عند بداياته؛ لأن هؤلاء الشباب ما زال أمامهم طريقٌ طويل في الإبداع.

وما أودّ قوله إن قعوار يصدر عن قرار أيديولوجي سياسي يلتزم عن طريقه بالناس، وأرجو أن نتذكر «أيوب الفلسطيني»، كما أرجو أن نتذكر دفاعه عن الحريات

والديمقراطيات ومحاربته القمع والإرهاب، ولنتذكر«ممنوع لعب الشطرنج»، وهذا العنوان بحد ذاته ساخرٌ. ولا ريب أن يصدر عن كاتب أمضى خمسين عاماً منذ أوائل الستينات في الكتابة، ولعلّ الشكل الكلاسيكي للقصة القصيرة تطوّر في مراحل توالت أما قعوار فلم يوغل في التجريب كثيراً؛ لأنّ هاجسه كان مخاطبة شريحة واسعة من الناس، لا صفوة بعينها من الكتاب والمبدعين.

وعدم انصرافه إلى التجريب يعني أنه حمى نفسه من أن يترك «الناس» الذين يكتب لهم. ويسجل لفخري هنا أن كثيراً من هواة كتابة القصة بصرعاتها الحديثة ينسى أن الحدث يجب أن يكون موجوداً، وأنا أسأل كيف يكون السرد في قصةٍ بلا حكاية؟!

أبو نضال: »لم يوغل قعوار في التجريب؛ لأنّ هاجسه الناس، لا مبدعين بعينهم«

أما السرد فشرطه الأول «كان يا ما كان»؛ وكثيرٌ من قصاصينا يشتغل على تطوير أدواته ومعارفه دون أن ينسى أو يغادر العنصر السردي في كتابته للقصة. وفي دراسةٍ لي عن قصص بسمة النسور أحصيتُ عشرين قصةً قصيرةً جداً لا تتجاوز ستّ كلمات، وفوجئتُ بعدد الأفعال الماضية لديها، التي وإن لم تكن بصريح «كان يا ما كان» فإنها تساويها بالمعنى.

والحكاية معروفةٌ منذ عهد آبائنا وأجدادنا، وحفظ النوع الأدبي في القصة أمرٌ ضروري، وأعتقد أنّ الظروف الموضوعية الفنية والإبداعية لازمة ليصل القاص إلى قارئيه بكل قطاعاتهم، ولعلّ هاجس قعوار كان الإنسان والوصول إليه ومخاطبته، وهو أمرٌ سيحميه كثيراً حين نتعرض لنقده.

عوض: »أغنت الصحافة مقالاته القصصية بهموم الناس«

وقالت الزميلة سميرة عوض: كنا نقرأ للزميل فخري قعوار في «الرأي» يومياً، وكان يحمل همّ الناس حين أصبح برلمانياً، كما حمله في قصته ومقاله، وهو لا ينفكّ يتحدث عن هموم الناس، وينشغل بها؛ وقد كان يتعامل أيضاً بذكاء مع الطفل، وأستطيع القول إنّ الصحافة أسهمت بإغناء مقالاته بهموم الناس بأسلوب قصصي ممتع، وكنا ونحن طلاب في الجامعة الأردنية نبحث عن «شيء ما» لفخري قعوار في «الرأي»، ونتساءل عما سيكتب.

ونكتشف في حواراتنا مع قعوار أنه «كائنٌ ليلي»؛ يتأمل الليل، ونهاره مشهود بمتابعة نبض الناس وقراءة همومهم، وأذكر أنه كان يكتب في عدد من الصحف باسم مستعار، ولعلّ بحثه عن هم الناس والتقاطه هو جواز سفره إلى قلوبهم؛ فلم يكن يكتب للصفوة أو النخبة بل كان أدبه عاماً ينطلق من الذات.

وقال د. مازن عصفور: إلى جانب إعجابي الشديد بالطرح الواقعي الموضوعي لأدب القاص في القصة القصيرة لديه والتي يقدم فيها وجبةً جاهزة الطهي لاستيعاب المتلقي، إلا أنني أطرح تساؤلاً من وجهة نظري النقدية البصرية: هل هذا التقديم الجاهز كما أسميناه

يثمر في تشكيل لغةٍ فنيّة طالما أرحنا المتلقي من دوره في الاستفسار والتساؤل والاستنتاج؛ حيث يأخذ المتلقي النص الروائيّ دون عناءٍ بتشغيل الفكر، وربما هذا ضربٌ من التبسيط المرغوب والمحبب جمالياً، طالما أن رسالة قعوار لا تتوجه نحو النخبة.

عصفور: »إراحة المتلقي من التساؤل أو انشغاله به يخضع لرسالة قعوار المسبقة«

وإذا كنا وفرنا على المتلقي عناء الإقناع وإثارة التساؤل والاستنتاج على مستوى التعبير؛ فهل نكون قد خدرنا فيه عنصر التفتيش المهمّ، وهل يكون ذلك لأن ضرورات الحياة المعيشة والإيصال النقدي الكاريكاتوري تبرر ذلك؟!

وسأل صديق المجلة طالب الهندسة أحمد عربيات عن نَفَس قعوار المتواصل في الكتابة، وحمله همّ الناس، والظروف التي جعلت منه قاصاً، كما تناولت طالبة الدراسات العليا وعضو هيئة تحرير المجلة حنين جاسر تلقائية قعوار، وانتقلت لتسأل: هل يؤثر التخصص على الموهبة؟!.. بمعنى هل نخسر تلقائيةً إبداعيةً إن نحن تخصصنا في مجالها طلاباً في الجامعة؟!

وداخلت طالبة الدراسات العليا عضو هيئة تحرير المجلة هيا الحوراني حول مزج قعوار للفصحى بالعامية؛ هل يؤخذ عليه؟ وانتقلت لتتناول المستوى الثقافي لشخصيات القاص المتنوعة، وتحدثت حول تقنيات الرواية في السرد والتقطيع والتوثيق.

وسأل طالب العلوم عضو هيئة تحرير المجلة عمر العطيات عن الغاية من الحسّ الشعبي عند قعوار، وكيف يستفيد الجيل الجديد من حكمة القاصين القدامى.

وقدّم د. يوسف صيام من كلية الهندسة شهادةً لقعوار: البرلماني صاحب الهم الشعبي، والقاص صاحب الهم الإنساني، والسياسي الذي تشغله القضايا العربية، وخاصة فلسطين.

وبدوره ردّ قعوار على تساؤلات الشباب بقوله: القصة يجب أن تدوم لكلّ الأجيال؛ فقد كتبنا، وكتب آخرون أيّام عيسى الناعوري ومحمود سيف الدين الإيراني، وكتب الأصدقاء الراحلون، ولعل القصص والأعمال الأدبية التي تركوها تجبرنا على إعادة نشرها وتعريف الجيل الجديد بها؛ ولعلّ هذا يقع بالدرجة الأولى على عاتق وزارة الثقافة.

وأضرب مثالاً، وهو أنني زرت تونس أكثر من عشر مرات، واكتشفتُ أمراً طريفاً؛ حيث تطبع وزارة التربية والتعليم كتباً لأدباء تونسيين، وتوزّعها على مدارسها؛ بمعدّل كتابين للصف الواحد، والمطلوب أن يتعرف الجيل الجديد على من قدّموا وأعطوا من فكرهم وأغنوا الناس بمؤلفاتهم.

أما اللغة في كتابة القصة، فلا بدّ من التركيز على اللغة الفصيحة، وأذكر أنني قرأتُ حوارات لعيسى الناعوري بالعامية، فتوجهت إلى مدير المدرسة أسأل: لماذا العامية؟!.. وكنت يومها في الإعدادية؛ فشجعني على الفكرة، وأبدى ما يشير إلى أنه ضد العامية؛ ويجب أن نهتم بما هو فصيح.

«لستُ كاتباً ساخراً، وأنصح جيل الشباب بالفصحى»

ومع أنني أشجع على الكتابة بالفصحى؛ غير أنني كتبت للإذاعة بالعامية؛ لأن الأمر مختلف في مسلسلاتها وبرامجها، التي تتنوع ما بين الفصيح والعامي.

وإذا أردت أن أعود بالذاكرة؛ فإنني في بداية المرحلة الإعدادية، أوائل الستينات كنت ممن يهوى الخط؛ بل إنني كنت خطاطاً، ورسمت شادية وعبد الحليم وآخرين، وأذكر أن يميني خطت أسماء «دكاكين» لقاء ٢٥ قرشاً؛ ولكن الأطرف من ذلك أنني تركت التخطيط والرسم وبدأت بكتابة القصة وركزت عليها.

في الثاني الإعدادي كنا في المفرق، وما زلت أذكر قصة «المرحوم»، التي بعثت بها بالبريد إلى الإذاعة، وقد كان مقدّم برنامج «الأدب الجديد» عام واحدٍ وستين، الذي يُعنى بالإبداعات الجديدة الشاعر عبد الرحيم عمر- يرحمه الله- أما الضيف الذي استضيف في تلك الحلقة ليعلق على المشاركات فكان د. هاشم ياغي، وقد فاجأني حينما علّق على مساهمتي التي كنت مقتنعاً بعنوانها بقوله إن العنوان في وادٍ والقصة أو الموضوع في وادٍ آخر!

ولمّا تعرفت عليه فيما بعد، قلت له بعد عشرين عاماً: لماذا قلت عن قصتي ما قلت؟!.. فقال مازحاً إنها «غلطة وصارت!».

في الإذاعة جاءني «شيك» بمقدار دينار ونصف مكافأة على كل قصّة، ومكتوبٌ فيه ما يشير إلى إمكانية صرفه بعد ستة أشهر من تاريخه!



أما بالنسبة لكتابة القصة والمقال فالفارق بينهما بيّنٌ؛ فهذه تختلف عن ذاك، وأودّ القول إنني لم أكن أستهدف السخرية في ما أكتب، وأدلل بأن أحد الأصدقاء سألني عن «يوميات فرحان سعيد»، لماذا لم تسمّها «يوميات زعلان زعل شديد»؛ ولعلهم انطلاقاً من مثل هذا كانوا يصفونني بالكاتب الساخر، مع أنني لم أكن أتقصّدها، أصلاً.

وفي ختام الندوة شكرت د.ة امتنان الصمادي ضيفها ودارسي تجربته، وأكّدت أنّ فائدةً كبيرةً تحققت في مناقشة الجيل الشاب للقاص، وأنّ هدف المجلة يؤتي ثماره إن نحن جسّرنا الهوّة بين الشباب والرواد؛ وقالت إنّ « أقلام جديدة» ستناقش تجربة الشاعر العراقي عبد الرزاق عبد الواحد في ندوتها المقبلة.

---

* محرر المجلة

حلم حارس ليلي

فخري قعوار

كان الجوّ بارداً، والمطر ينهمر بغزارة، فلاذ أبو علي تحت بلكونة إحدى البنايات، ووضع عصاه تحت إبطه، ودسّ يده في جيبي معطفه القديم الداكن، وراح ينظر إلى خطوط المطر المستقيمة التي تتكسر عند اصطدامها بضوء المصباح الذي يضيء الشارع.

وطال وقوفه، فتعبت رجلاه، وجلس على الرصيف، وألصق ظهره بجدار البناية، وبعد وقت غير طويل أغفى، فمال رأسه نحو صدره وعلا شخيره وغطيطه.

كان أبو علي مسؤولاً عن حراسة الشارع منذ سنوات، وعبر كل هذه المدّة، لم تحدث أثناء مناوبته حادثة سرقة واحدة، بل إن حوادث الشجار التي يعتبرها زملاؤه اعتيادية للغاية لم تحدث أثناء مناوبته إطلاقاً، وكان هذا الهدوء الذي لازمه طوال فترة عمله في الشارع موضوع فخر ومباهاة له أمام الزملاء وأمام المسؤولين، وقاده فخره ومباهاته إلى الحذر الدائم واليقضة المستمرة كي تظل سمعته مثل المسك، لا تشوبها رائحة غير مستحبة، ولا يمسها حاسدٌ بكلمة غير مرضية.

رأى أبو علي في تلك الليلة شاباً متلثماً يمر أمامه دون أن يطرح عليه تحية المساء، فارتاب في أمره، وما أن ابتعد عنه عدة أمتار حتى أخرج أبو علي صفارته من جيبه وصفر بها ثلاث صفرات حادة ليقول للشاب إنه موجود، وإنه يقظ، وإذا كانت نفسه تسوّل له اقتراف جريمة ما فإنه واقف له بالمرصاد، لكن الشاب لم يلتفت للصفير وتابع سيره بلا اكتراث، ثم اختفى عند أول منعطف، فقال أبو علي لنفسه: ما دام هذا الملثم قد ابتعد عن منطقتي، فإن مسؤولية مراقبته صارت من اختصاص غيري». وما هي إلا لحظات حتى عاد الشاب الملثم إلى الشارع، واثق الخطوة يمشي بعفوية، كأنه يسير بوسط المدينة في عز الازدحام.

حين اقترب منه استوقفه أبو علي قائلاً:

هويتك؟

قال الشاب من خلف لثامه: لا أحمل هوية.

قال أبو علي: فك لثامك، ودعني أرى وجهك.

قال الشاب من خلف اللثام أيضاً: وما شأنك بي أو بلثامي؟ اتركني على حالي.

لوح أبو علي بالعصا، وقال: أنا المسؤول عن أمر هذا الشارع.

- لكني لم افعل شيئاً ضد أمن الشارع.

رفع أبو علي العصا، وقال: بكل وقاحة تدعي أنك لم تفعل شيئاً، وأنت، على رقبتي، تفكر بسرقة أحد المنازل هنا!

رفع الشاب يده، وأمسك بالعصا، وأضاف أبو علي:

قلت لك فك اللثام.

قال الشاب: وأنا أقول لك فك بلاك عني.

وحين استغرق أبو علي في نومه على رصيف الشارع، كاد ينقلب على وجهه، فاستيقظ كالمذعور، ونهض وبحث عن عصاه فلم يجدها، وبحث أكثر فلم يجد لها أثراً، وقال بصوت مسموع:

لا، لم يأخذها الشاب الملثم، فقد كان هذا حلماً.

وأضاف: هذه أول حادثة سرقة تقع في هذا الشارع منذ عدة سنوات.



يوسف.. والنشيد...

أشرف علي خليل*

هل كان مُشتعلاً – أبي
حين اشتهى لغتي
وراودَ أحرفي عن نفسِها -
بنبوءةٍ ؟
أم كان مُحتفلاً -
يغادرُ حُزنَه- بالماءِ؟
يعرفُ:
أنني والبحرُ منذورانِ
لامرأةٍ تُغلِّقَ بابَها
وتقُدُّ من دُبُرٍ حروفي
قلبَ أمي مثلُ قلبي
(والبلادُ هى البلادُ)
فكيف غادرَها البكاءُ؟
وأنكرتْ لونَ الحنينِ؟

وما تبقّى من نشيدي؟

هلْ أنا الأعمى

أم البحرَ الأصمُّ؟

رأيتُ آخرَ ما رأيتُ

أبي وأمي واقفيْن على دمي

يتوضآنِ ..

وإخوتي والبحرَ يختلفون حولَ قصائدي

(والذئبُ يضحكُ!)

من بعيدٍ،

كانت البنتُ التي ستشيرُ ناحيةَ البلادِ

تشيرُ ناحيتي وتبكي

هل أنا الأعمى

أم البحرَ الأصمُّ؟

يقولُ:

إخوتُكَ..

البلادُ..

أبوكَ..!

يا أمُّ... النشيدَ

ولوِّني أنتِ الحنينَ بمُقلتيْكِ

فرُبّما يأتي المُخلِّصُ ،

رُبّما ستشيرُ ناحيةَ الجُناةِ البنتُ

لو فعلتْ؛

سأنجو من أكاذيبِ الرواةِ

(نبيلةٌ كانت)!

أنا مَنْ باعني الأعرابُ بَخْساً



ثُمّ من مصرَ اشتراني سيدُ امرأةٍ،

شغفتُ فؤادَها حُبّاً،

أعدّتْ - بعدُ - لي شَرَكَاً

ومُتكئاً لِمَنْ أنكرنني

وفضَحنَ شهوتَها

وآتتْ كُلَّ واحدةٍ

- لكي تختالَ - مِرآةً!

وقالتْ:

انظر الآن:

امتثلتُ!

رَأَيْنَنِـــي مَلَكَاً وخِفْنَ أصابعي/ أنا هاربٌ مِنِّي إلىّ فهل صَبَا قبلي نبيٌّ ؟ / أم تكيدُ ليَ المرايا؟ / كادت امرأةٌ / ولم يكَد العزيزُ ينامُ / حتى كان معتقلي وكان معـــي الجنـــودُ وصاحبي / يا أيها المـــلأُ الذى أفتوهُ أفتونـــي أنا / رؤيايَ ضيقةٌ وقلبي مع التي لابدَّ من طَلَلٍ لأبكيها / وأنشـــر - مرَّةً أو مرّتين على الأقل - ربيعَها / .. وحرائقي

سأكونُ فى مصرَ العزيزَ

وأصطفي مَنْ شاءت امرأتي

لتشتعلَ البلادُ

ويختفي الشعراءُ عن وجهي

أنا أسطورةُ الرؤيا

وتأويلُ الخُرافةِ

سيدُ الأحلام

والتعبيرُ سِرّي

صاغني بعضُ الرواةِ مجنحاً

وأقام تمثالاً ليَ الأعرابُ

يا صاحِ انتبهْ!

مرّ الجنودُ على أبي وتحسّسوا
لا البحرَ أنبأهم
ولا عرفوا منازل إخوتي
هلْ يأكلونَ؛
فأستدلَّ على الذي هو أبيضٌّ؟
أم يحلمونَ؛
فأبتني في السجنِ مملكةً
لأحلامِ الطغاةِ؟
تناوموا ليَرَوا على وجهِ البلادِ النورَ
أو ليحدّثوا
عن سبعِ بقْراتٍ،
وبعضِ سنابلٍ
وحديقةٍ،
وقلوبِ طيرٍ في الفضاءِ،
وعينِ ماءٍ
كيف يمكنني الفرارُ؟
على يدِيْ وشمُ الكواكبِ
تعرفُ:
الجاراتُ صوتي
والبلادُ أصابعي
والنيلُ مقبرتي
ويومَ قيامتي!

*شاعر مصري



قالوا اعتزلت

أنس عرابي*

قالوا: اعتزلتَ، فقلتُ: الشِّعرُ مُعتَزَلي ... إليه في شَظَفِ الأيّامِ مُرتَحَلي
فالشِّعرُ كأسٌ أناجيها وأترعها ... لأستجيرَ من الأشجانِ بالثَّمَلِ
والشِّعرُ أنثى أداريها وتَسلبني ... سحرَ البيانِ وتذكي حُرقةَ المُقَلِ
دَمعٌ من الصدرِ هذا الشِّعرُ أنزفُهُ ... وأسكبُ الحسَّ فوق السَّطرِ والجُمَلِ
ما أقبحَ الشِّعرَ من صاغَهُ فرَحا ... وأقبَحُ الشِّعرِ ما يخلو من الخجَلِ
منابرُ الشِّعرِ آهاتٌ مُسطَّرةٌ ... ولوحَةُ الحزنِ لا تخلو من الأمَلِ
وقيلَ : « ودّع فإنّ الرّكب مرتحلٌ » ... «وهل تُطيقُ » بُعاداً غير ذي أجَلِ
وقيلَ: أنثى فما للقلبِ مُنفطرٌ ... وللمشاعرِ ذي تسعى إلى الشَّلَلِ
يا شاعرَ القلبِ كفَّ الدَّمعِ تذرفُهُ ... وخلِّ عنكَ الهوى والشِّعرَ واعتَزِلِ
أنثى من الماءِ أو أنثى من العسَلِ ... لا فرقَ كلُّ قناعُ الزّيفِ والدَّجَلِ
فقلتُ : « صبرٌ جميلٌ » حضّهُ أملٌ ... إلى اللّقاءِ فلولا الصّبرُ لم أنلِ
وأزعُمُ الصَّبرَ .. إلا أنني وَهِنٌ ... وأكتُمُ الدَّمعَ إشفاقاً من الهطَلِ
وأرقُبُ العينَ إذ تذوي ذُبالَتُها ... على شَفيرِ الهوى تبكي على الطَّلَلِ
"فما صَبابةُ مشتاقٍ على أملٍ ... من اللّقاءِ كمشتاقٍ بلا أملِ"
وللصَّبابةِ أعداءٌ أحاذرهم ... وللصَّبابةِ بوحُ الخائفِ الوَجِلِ
أشكو النوى لهمُ والعذلُ شيمَتُهم ... فإن نَطقتُ أجابوني بلِمْ وَهَلِ
أنثى هي الكونُ إن أحسنتَ تَربيةً ... فكفَّ صوتَكَ عن ضربٍ من الهزلِ
ناشدتُكِ اللهَ إما كنتِ غاضِبةً ... أن تعلني الصَّفحَ عن جَهلي وعن زَللي
إني أعوذُ بحلمٍ فيكِ من سَخَطٍ ... إني ألوذُ بعفوٍ منكِ عن جلَلِ
غَداً سأشدو ترانيمَ الفناءِ ضُحىً ... والشمسُ في مولدٍ للصُّبحِ لم تزَلِ
إني المواتُ وحزنٌ لا حدودَ له ... « إني الغريقُ فما خوفي من البلَلِ »

---

*طالب جامعي/ك.الصيدلة



مسألـة

أوس عدنان أبو صليّح*

الحرب أكبر من غرامكما..

ويمزج صوته بخشوعه

ويظنُّ أنَّ خشوعه يكفي

والحرب تمضغنا فرادى

ثمَّ تبصقنا مصيراً واحداً مَسْخاً..

فلا أشلاؤنا تبدو

ولا أنقاضها تخفي

وحبيبتي نشرت على ذلّ المسافة عينها

تبكي..وترقبني

ويخجل عندها خوفي

وحبيبتي أمل البلاد

ومبعث البارود في الدّم

وانتشار الأرض بعد مواتها

وحبيبتي ضعفي

ورفاقيَ الموتى معي

ماتوا بنفس القنبلةْ

لكنَّ لي موتا خصوصياً

يحجّبه غبار الأسئلةْ

ألكلّ من ماتوا حبيباتٌ

وإخوانٌ.. وأصحابٌ

وهل كذبوا على أحبابهم مثلي

وهل صدقوا..

وهل بجيوبهم مالٌ حلال

أم ترى كانوا بوقت الحرب

فاشتعلوا بنار الحرب

وانطفؤوا بذلّ الحرب

ثمّ انتهت حيواتهم إثر انتهاء المسألةْ

هل أنتجتنا الحرب ثمّ أتت على من أنتجت وكفى

أم انّ الله أنشأنا

وأنشأ حربنا معنا

نخوض بها على حرفٍ

ونعبده على حرفِ

طالب جامعي/ ك. الهندسة

إذا لم تزد على الحياة شيئاً تكن أنت زائداً عليها ...

مصطفى صادق الرافعي



مدار البدوي

إلى روح البدوي النبطي عودة أبو تايه

حكمت النوايسة*

للرمالِ مواعدُها إذ تهبُّ
وللبدويِّ انشغالاتُهُ:
ناقةٌ(١) تتآخى مع الدُّبِّ معلنةً ساعة الانطلاقِ
سُهيلٌ إذا ما تجلّى تنفَّسَ سيلٌ
ولمّا رأى العُقربانَ تحفَّظَ في سيره
ريثما تنجلي
أو يكونَ قرانٌ
وقد خبِرَ النَّجم خلاً دليلاً
وقد خَبِرَ النَّجمَ حينَ تكونُ معاركةٌ في السّماءِ
وتبعثُ أوزارَها
فهو يهجُسُ بالخيرِ مجتنبًا فتنة النيّرينِ
ولا يأمنُ الصّحوَ إلا إذا صحصح الجلّنارُ
وبثّتْ مفاتنَها في الجبالِ
رمى سهمه أو عصاهُ



يجُسُّ مخابئَها بتأنٍّ

ويدرك أن الزّمانَ له، والزوابعَ طارئةٌ في الزمانْ

* * *

للرمال مفاتنها

غير أنّي خبرتُك

يشهق ما بيننا عالمٌ يستحمُّ بأوجاعِهِ

ليلَ ليلَ

يُضيعُ به النجمُ موقعَه

وتدلُّ السُّراةَ أخاييلُ من ذكريات النجومِ

تعيد الغرابَ رسولا

وقابيلَ ملتبسًا بأخيهِ

يمجُّ غرابٌ جنايتَهُ ويتيه

* * *

أخاييلَ شتّى يرى البدويُّ

ولا يستدلُّ

وقد كان يملأ صحراءَه بالأدلّةِ

كان يقودُ الخيولَ من الجوفِ حتّى أعالي الفراتِ

على قلقٍ

يترقّبُ فاتحةَ القادسيّة

عينٌ على القدسِ مرفوعةً بالسّهامِ

وعينٌ على النخوةِ العربيّةِ باتَ يهدّدها جائرٌ

مستجيرٌ

ولا يعرفُ البدويَّ سوى البدويِّ

رأيتُ ملامحه تتنفّسُ في صورةٍ في الكتاب
وعاركْتُه عينَ عينَ
بكيتُ إذ انتفضتْ في الفضاءِ خيولٌ مسوّمةٌ
ورجالٌ تحرّكهم (حيهلا)
ودخانُ قِرىً في أعالي الجبالِ
ينادي الجياعَ
إلى قسمةِ السيف
يا حيهلا ... حيهلا...
وأصخْتُ إلى حجرٍ يتنفّسُ
أسنَدْتُهَ
قالَ: من أنتَ؟
قلتُ : أنا يا صديقي
رهانُك
ناولَني نقشَه العربيَّ
وحمَّلَني صوتَه
وبكى
وبكيتُ
فمنْ يعرفِ البدويَّ
يرَ كيفَ تبكي الحجارة
كيف ترقُّ الفلاةُ فتصبحُ سجّادةً من حرير
ومن يعرف البدويَّ سوى البدويِّ؟
رأيت ملامح وجهي في النقشِ
خلفَ سماءٍ مرقَّشةٍ بالنجوم
وكنتُ أمامي...
حروفٌ تفرُّ من النّقشِ مثلَ حمامٍ مَهيجٍ
نوارسُ معلنةٌ بحرَها

وأيائلُ ترعى سفوح الشَّراة
و"عودةُ" في سمتِه العربيِّ
يقود الرجالَ إلى ما يليقُ بهم
يزيّنُ صحراءَه بالأهلّةِ
يحمي الرِّواقَ بصبر الرِّجالِ
وعفَّتِه البدويّةِ
تُرشِدُهُ نجمةٌ في سماءٍ قريبةْ

---

* شاعر أردني

(1) الناقة والدب وسهيل والعقربان والقران والمعاركة والنيران والطالع ... كلّ ذلك من علم النجوم التي يخبرها البدوي ويسيّر حياته وفق خبراته بها.





عشيّات وادي شعيب

صفوان قديسات*

آنَ الأوانُ لِعـودَةِ الفُرسـانِ ... فانفُـضْ غُبـارَ الحُـبِّ يـا حُورانِي
إنَّ الهَوى في السَّـلطِ غـلَّابٌ فَلا ... تَحـزَن على العُشَّـاقِ فـي المَيدانِ
بَرِئَـتْ جِراحِـي غيـرَ أنَّ تَخَضُّـبَ ... البلقـاءِ يمنعُنـي مِـن النِّسـيانِ
وَشَـفَتْ مَواويلي غليلَ قَصائِدِي ... لكنَّمـا رجـعُ الصَّـدى بَكَّانِـي
(يـا أُخـتَ وادٍ قد دَعوتُكِ باسـمِهِ ... ولَـهُ نَسـبتُ تَبَـرُّكاً دِيوانِـي)
ضَحِكَ النَّدى في وجنتَيكِ وصَدَّقَ ... الدَّحنونُ قَولِي وانقضَى نيسانِي
وأمـامَ حَـزمِ المِنْجَلـينِ سَـنابِلِي ... خَفَضَـتْ جَنَاحَ الذُّلِّ للسُّـلطانِ
يـا وردةٌ أنفاسُـها مُشـتَقَّةٌ ... مِنْ خلطَةِ (اليَسـمِينِ) والرَّيحانِ
وغزالـةٌ بَرِّيَّـةٌ مَحْمِيَّـةٌ ... بَـينَ المُعَوِّذتَـينِ والأَجفَـانِ
خَبَـرِي لديكِ فأنتِ مَنْ صادَرْتِ مِنْ ... صَفْـوانَ معنَـى صخـرَةِ الصَّوَّانِ
ومَنَعْتِ عَـنْ عينيـهِ كُلَّ خريطَةٍ ... ليسَـتْ تقُـودُ إليـكِ يـا عُنوانِي
عَتَبِـي عَلَـيَّ فَليـسَ للدُّنيـا يَـدٌ ... مَـمدودةٌ للعَطـفِ والإحسـانِ







لكنَّها وُقِفَتْ على غَلَّابِها ... وَأنا لَها قَلبٌ يَفِي ويَدانِ

يَا بِنتَ أُختِ القُدسِ إنَّ قُلوبَنا ... اشتاقَتْ لِرؤْيَةِ جَدِّكِ الكَنعَانِي

وخُيولُنا انْطلَقَتْ لِغايَتِهَا وَقَد ... صَدَعَ الرِّجالُ بسورَةِ الفُرقانِ

وَمَشى الجِدادُ إلى البياضِ فَأَزهَرَتْ ... فِي كَفِّهِ الآلافُ مِنْ أَحْزانِي

وَعلى مَقامِ النَّصرِ أَذَّنَ مُسلِمٌ ... فاستيقَظَتْ تَرنيمَةُ النَّصرَانِي

لا تَسمَعِي للمُرجِفينَ فَإنَّهُمْ ... كالنَّائِمينَ على يَدِ البُركانِ

والفَجْرُ أقرَبُ ما يكونُ نَسيمُهُ ... إنْ طَالَ ليلُ الفَارِسِ السَّهرانِ

لا تَسمَعِي للمُرجفينَ وقولِهِمْ ... إنِّي عُروبِيٌّ أَخُو سُلوَانِ

وعباءَتِي مَرقُوعَةٌ وقَصيدَتِي ... مَمنُوعَةٌ ومُحَرِّري سَجَّانِي

يا بِنتُ إنَّ السِّحرَ في عَينَيْكِ ... فَرَّقَ بينَ أَجفَانِي وَمَا خَلَّانِي

والخُطَّةُ الحمراءُ تَذبَحُنِي فَهَلْ ... أرتاحُ والخَدَّانِ مُحْمَرَّانِ

سَأعودُ يا بِنتَ الحَلالِ بِجَاهَتِي ... فاستَقبِليني واشْرَبِي فُنجانِي

---

* شاعر أردني



نزار قباني معلقة دمشق

عبد القادر الحصني *

أســرى بطرفــكَ نجمهــا وكتابُها ... وســباكَ منها كحلُها وخضابُها
وقوامهـا بالياســمين موشــحاً ... والمســكران: فثغرهــا ورضابهــا
وندى، أفــاق على الصباح فســرّه ... أن الصبــاح ســريرهُ أهدابهــا
وســهولها، وســفوحها وجبالها ... ورمالهــا، وفجاجهــا، وهضابها
فيحاء باشــرها الزمــانُ، فكان أنْ ... شــاب الزمانُ، وما يزال شــبابها
هــي لا أقولُ الحســن فــي ريعانه ... لا ســحرها منــه، ولا أطيابهــا
هي قُلْ بأن الحســن صور نفســه ... منهــا، وصــار حضــورُه يغتابهــا
ويقــول عنهــا إنّ ســبعة أنهــرٍ ... عشــاقها، ابتلّــت بهــم أثوابها
ويقول عنهــا: قاســيون حبيبها ... والآخــرون جميعهــم خُطّابهــا
ويقــول مــا شــاء الغيور، بــدا له ... ســببٌ، ولــم تظهر له أســبابها
فــأتِحْ لقلبــك أنْ يكــون قميصَها ... تعرى، فيســترها كمــا جلبابها
وأتِحْ لقلبــك أنْ يكــون حمامــةً ... لتظلــه فــي الهاجــرات قبابهــا
وأتِحْ لقلبــك أنْ يقــدم وردةً ... فلربمــا يصفــو لــه إعجابهــا
إعجابَ ساجيةِ اللحاظ، كنائسٌ ... في روحهــا، ويضمهــا محرابها
ولربّمــا وثَقَتْ بصدقــك في الهوى ... فــي آيتــين: تحبهــا، وتهابهــا
فتقــوم في يدهــا مفاتيــح الرؤى ... مزدانــة آفاقهــا ورحابهــا

* شاعر سوري



طائر الصّبُح الجميل

علي البتّــيري*

هذه قُبَّةُ الكون،
صافيةٌ مثل عين الغزالَةْ
تُحدّق فينا

تمدّ إلينا النجوم
تساهرُنا في الدّجى
وتعيدُ لذاكرةِ العاشقينَ
زمانَ اللّظى واشتعالهْ
فنطلقُ أجنحة الشّعر
عَبْرَ فضاء الكلامِ المقفّى
ونُمسي على شرفةِ البوحِ
فرخَي حمامْ..
يحومانِ منجذبين إلى قمر العشقِ،
يحتسيان بعينيهما الضوءَ من مقلتيه
ومن وجنتيهِ

ومن راحتيهِ

ويعتنقان خيالَهْ

* * *

هذه قُبّةُ الكون،

محنيّة كضلوع المُحبِّ علينا

يّحنُّ على طُهْر قلبٍ تبرأ من لوثةِ الحِقْدِ

ثمَّ تشبّث بالحبِّ،

في زمن الموتِ واليأسِ والاستحالةْ

تعاليْ معي...

نوقظ الحرق من نومهِ في الشفاهِ

يشدو على جذعِ زيتونةٍ

خلعت حُزنها وارتدت حُلمنا

وراحت تضاحك دمعتها

في الطرّيق إلينا

تحضّ دموع الصّباح الحزين

على الاستقالة

دعي طائر الصّبح فينا

يُغني على مَهلهِ ما بدا لهْ

فنحن إلى فرح الأرض،

أحوجُ من غيرنا

كفانا اغتراباً وراء جبال الهموم،

اكتبي بدم العاشقينَ الحزانى

على قُبّةُ الكون،

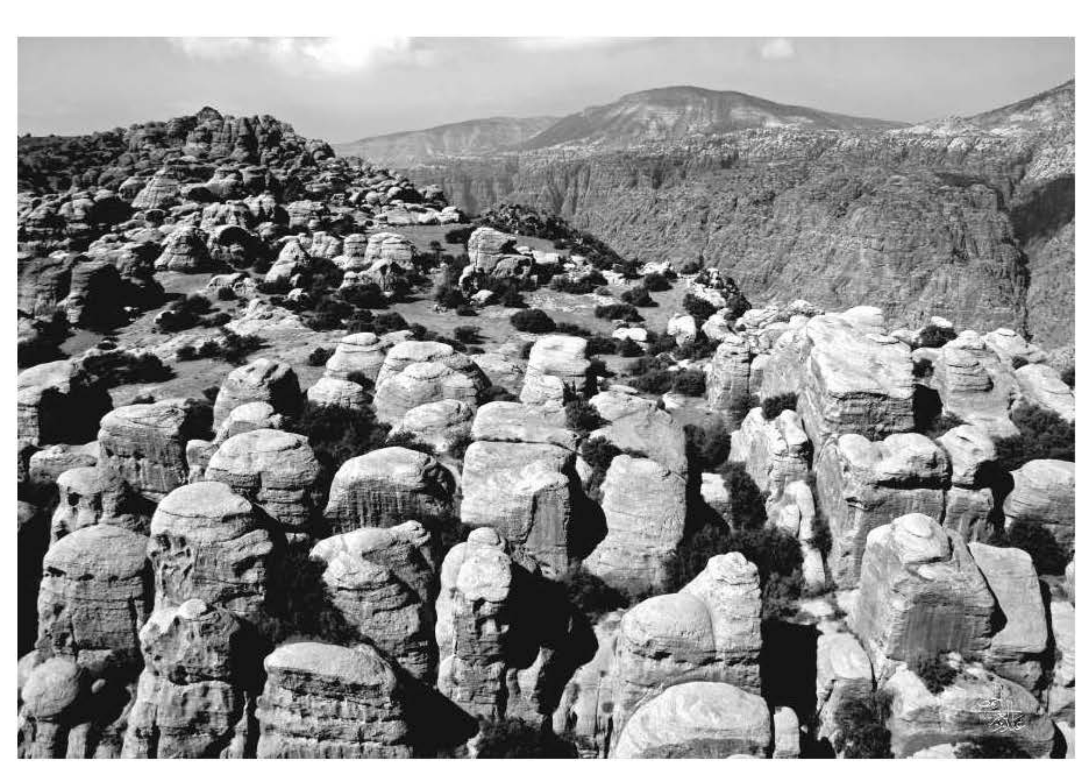
هذا الكلام المقفّى

ولا تتركيه لنهبَ الرّياح



نحن أولى من الحالمين السّكارى
بوَجْهِ الصّباحْ..
فنحنُ له قدْ سهِرْنا
ونحو حدائقهِ في الظلامِ
على البَرْدِ والجوعِ طِرنَا
نحنُ أَولى
بكأسِ الحياةِ التي لمْ نَذقْها
كما ينبغي...
وعاقرها الآخرونَ المقيمونَ في الأرضِ،
حتى الثُمالة.

* شاعر أردني







قصيدتان

محمد الدحيات*

«سُكونْ»

هيّأتُ نفسي جيداً
لقصيدتي
في الصبحِ كسَّرتُ
المرايا كي أفاجئها
بصورتها الجديدة في
انعكاساتِ العيونْ
في الليل حطَّمتُ النجومَ
لكي أرى الإشراقةَ
الكبرى بكامل
صورة التكوينْ
أشعلتُ لي سيجارةً ولها
ارتديتُ جميعَ ما بعوالمي
من نرجسٍ وتمنطقٍ وجنونْ
قد قلتُ: أكتبُها بما
خبّأتُ من قلمٍ روائيٍ

بكحل الغانيات شحذته حبرا
ومن ورقٍ فضائيٍ
تعشّقَ غيمةً من
ياسمينْ

وباغَتتني عند باب البيتِ
قائلةً: (بحدةِ ثائرٍ)
أطفىء سجائرَكَ المَقيتةَ
في حضوري
لا تدعْها تحترقْ
بدلاً فأشعلْ
روحَكَ المشحونْ

قلتُ: كما أردتِ
بأن يكونَ لقاؤنا
سيكونُ
مُحتدّاً, مِزاجيّاً, مَجازيّاً
إذنْ
فلتخلعي
فستانَكِ المسكونَ
فاعلتُنْ وقافيةٌ ونونْ

وَذَري دواتي فوق
جسمِكِ ترسُمِ امرأتينِ
من قلقٍ وُلِدنَ
/ قصيدتي وحبيبتي /
وَوَلَدنَ من عسلٍ
قَرَنفُلَةً وتينْ.

قالتْ: (بشكلٍ هادئٍ)

لك ما تشاءُ..

خُلقتَ

لا لتعيشَ أو لأموتَ

بل لنكونْ.

قالتْ: (بشكلٍ صاخبٍ)

لي ما أشاءُ

خُلقتُ

لا لتموتَ أو لأعيشَ

* * *

انتَشلَتْ حقيبتَها

المحاذيةَ السريرِ

وأشعَلتْ سيجارتين لها

ولي..

استيقظتُ منها لم أجد

إلاحقيبتَها

وفستانَ الفراهيدي

وكحلاً من بقايا

دمعِها فوقَ الوسادةِ

غادَرتْ بسُكونْ

كانت هُنايَ

وغادَرتْ

بِـ

سُـ

كـ

و

ن

وحـدة وردة..

وحيداً، وحـيداً

كـزهـرة جارديـنـِيا

نمت فوق صخـرةْ

هـناك بأقصـى المسـافة

مابين قلبـي وروحـي

وحيدا،

ولا أتذكـر شـيئا

سـوى أنَّ عينـيَّ

تحملُ عبرةْ

تـُدغـدِغُ من بـعـد ما

نشَـفـتْ - دونَ تضـميـد أنثـى-

قـروحـي

وأضحـكُ، أضحـكُ

عـمـا تمـضّـى من الـعـمر/

طفلٌ يقاومُ فـكـرةْ

ألمـّتْ بـه:

أمُّـه تلك

غيرُ التي أنجبته

فيا غربةً نحـو

أين نزوحـي؟

وحيداً، وحـيداً



وأركضَ أركضَ

من فوقِ كرسيَّ

كي لا أفاجىء بعثرةْ

تُغيِّرَ منحى

القصيد

خلافا لما قد أردتُ

له من جنوحِ

وما بين قافيتين

أواعدُ نفسيَ

أن نشربَ القهوةَ

اليومَ مُرّةْ

فتضحكُ منّي،عليَّ

وتبكي على

هدأتي ومزيحي

وحيدا,,

يباغتني الشوقُ

في حجرتي

حين زهرةْ

وحيدا,,

كوردٍ تناثرَ

من قُبَلِ العامريّات

فوقَ ضريحي.

---

* شاعر أردني



مزامير اللوح الرابع

محمدعريقات*

لا بحر في قلبي
كي يصبَ النهر فيهِ الأغنياتْ
الآن ينمو نرجسٌ
لأموتَ في ماءِ البحيرةِ
شاخصاً نظري إليّ
إلى غموض السنديانةِ
في القميصِ الأخضرِ المنسوجِ
من إبرٍ تطرّزني على ليلِ الخميسْ
والأرض مسمارٌ يعلـّقني على الصفصافْ

تتجسّدُ العنقاءُ في لغتي
فتمسي أحرفي ريشاً
وأصبح واضِحاً في اللاوجودِ ،
صنعتُ للفينيق من بئري سحاباً لازوردياً
تحدّى الصيف فامتثلوا يصلـّونَ الجفافْ ،
فرحتُ أقفِزُ عن رقابِ الراكعينَ
أنيرُ مصباحَ الخلودْ

أمشي إلى صدَفٍ
رميتُ محارَهُ خلفي
فتختَلِسُ التواشيحُ الخبيثة
باطِنَ الأشياءِ
لحظتها أقلّمُ صخْبَ أغنيةِ
التوترِ حيثُ أصبح آخراً

ومَسكتُ في كلتا يديَّ الحبلَ
والحبلَ المجاورَ والتفتُّ إليكِ
في غبشِ الوضوحِ تموسقي
الخطوات والحبل المجاور
راحَ يوهبهُ التذكر شكلَ ضوءٍ
لولبيّ

مواكِبٌ
ورنينُ كعبِ حذائها فوقَ الرصيفِ
الأملسِ المصقول،
أغنية الشبابيكِ التي جمعت
شتاتَ الأمسِ تغرَقُ
بالوسامةِ والفضول،
وكنتُ وحدي
قربَ مصباحِ الطريقِ
أكنّسُ النظراتِ إلاّ
من صِبا غمّازتينْ

دوماً كانَ يسبقنا
كأنّ العِطرَ ينبشُ بالمواقدِ
في هزيعِ الموعدِ الموقوتِ،
والمطرُ الشحيحُ
وغيمة الفعلِ المرادِفِ للحقيقةِ
في مثابةِ الجرس اللعينْ

وأنا أحبُّكْ
رغمَ الغمام المستدير
على المرايا في تفاصيلِ الحكايةِ
يستقيمُ الخيط يا ذيلَ الفؤادِ
وكرنفال الروحِ في صمتي
أمتْني يا صريرَ العظم
يا طعمَ الصّراخِ على لساني
الأخرَسِ المكسورِ أغنية الملامِحِ
والملاحمِ في الأساطيرِ البعيدةِ
والقريبةِ ،
شارعان على اعوجاجِ
الذكريات يهذبانِ خطى الغريبِ
إلى حوافِ البئرِ،
(أنكيدو) تكسّرتِ المنايا والنوايا
في المرايا في الطريقِ
إلى احمرارِ النهرِ،
ياظمأ القواربِ لارتوائِكَ
أتركِ الجدافَ للملاح

كصوتها

صوت الكمانِ مع المساءِ
وحزن صيفي في أواخِرِه،
على العتباتِ يستثني الرحيلُ
أنايَ يشرقُ خيط منديلي
يلوّحني،
فأشرقُ كي ألوّحهُ

---

* شاعر أردني









عارِضُ غيم

مناهل شاهر العساف*

أَخْفَيْتُ عنْكَ عُيوناً شفّتِ الحَزَنا ... وَرُحتُ أَنشُدُ في عيْنيكَ لي وَطَنا
فَلَسْتُ أعرِفُ كمْ منْفى تجاذَبَني ... وأضْرَمَ النّارَ فيما كانَ ليْ وَسَنا
أتَيتُ تبْكي جراحَ الروحِ في لُغَتي ... فأنتشِي من دموعي النازِفاتِ مُنى
أتَيتُ أبعثُ خيطَ النورِ في زَمَنٍ ... حطّ الظلامُ على أركانِهِ فدنا!!
وجئْتُ أُهدي لِلَونِ الجُرحِ أُغنيَةً ... لا تَعرِفُ اليأسَ لا تبدي له سَكَنا
أتيتُ أسقي تُراباً مُقفِراً بِدَمي ... إليكَ أبذُرُ روحي والغرامُ عَنا...
أتيتُ أسكُنُ لكِن غُربَتي سَكَنتْ ... وجِئْتُ أُروى ولكِن زادَني ظَعَنا
أتيتُ يا وَطَناً.... أهْدَيتَني كَفَناً ... فأينَ مِنكَ كما أمّلْتَني عَدَنا...؟!
يا أيّها الوَطَنُ المأمولُ في خَلَدي ... يا جنّةً قامَ فيها عالَمي وبَنَى..
ما بالُ أهلِكَ مُرتابينَ في ضعَةٍ؟ ... ما بالُ تُربِكَ للأعداءِ مُرْتَهَنا؟
ما بالُ منْ آمَنوا بالحقّ وامتَثَلوا ... يُكابِدونَ وَمَنْ عاداهُمُ أَمِنا؟
إذا قُتِلْنا... وجَدْنا مَنْ يُجرِّمُنا ... وإنْ نَطَقنا ...أذاقونا الأسى عَلَنا
وإنْ بَكَيْنا كَرِهْنا الدّمعَ في مُقَلٍ ... يا ويحَ دمعٍ غدا بالذلِّ مُقتَرِنا...
قلبي عليكِ... وأيّامي تُقلِّبُني ... أسْتأنَسَ الحُزْنُ حتّى خالَني وَطَنا؟!
أمْ أنّها سُنَنٌ لابُدّ تُدركُنا ... إذْ كُلُّ ناصِيَةٍ عزّتْ جَنَتْ مِحَنا؟
لا تجزَعي فجراحُ الروحِ نازِفَةٌ ... يستغفِرُ اللهَ مَنْ مِنْ آهِهِ وَهِنا
لابُدّ أن يتجلّى البَدْرُ مؤتَلِقاً ... مِنْ بَعدِ عارِضِ غيمٍ في السّماءِ دَنا...

*طالبة جامعية/ ك.الدراسات العليا



لا أفق لي

أحمد بخيت*

لاَ أُفُقَ لِيْ إنَّنِي الراؤونَ... والأفُقَ
صَمْتُ الجِبَالِ الَّتي فِي ظِلِّهَا صُعِقُوا
لَمَّا أَضَاءُوا نُجُومًا، فِي غُضُونِ دُجًى
أَجَّلْتُ مَوْعِدَ إِشْرَاقِي، لِيَأْتَلِقُوا
إنِّي لِفَرْطِ حَنَانِي، كُلَّمَا كَذَبُوا..
أَشْفَقْتُ مِنْهُمْ، عَلَيهم، قَائِلاً: صَدَقُوا
أَنَّى... يُطِيقُونَ نَارَيْ فتنةٍ، وهدًى
مَنْ لَو رَأَوا جَنَّةَ العِرْفَانِ لاَحْتَرَقُوا
آتٍ لِكَيْ آخُذَ الصَّحْرَاءَ مِنْ يَدِهَا
مَشْيًا عَلَى المَاءِ وَالصَّحْراءُ لاَ تَثِقُ
مَعِي عَصَايَ، وَأَلْوَاحُ العُصُورِ مَعِي
بِي -لاَ بِغَيْرِي- هَذَا البَحْرُ يَنْفَلِقُ
أَجُرُّ دُنْيَايَ خَلْفِي مِنْ ضَفَائِرِهَا
إلى طريقي وقد هاءتْ لِيَ الطُّرُقُ
لاَ يَزْهُوَنَّ بَلِيدٌ مَا بِعِفَّتِهِ
حَتَّى يَكُونَ بِقَدْرِ العِفَّةِ الشَّبَقُ

رَهْطٌ مِنَ الغَيْبِ، فِي اللاَغَيْبِ ضَيْفُ دَمِي
لَمَّا نَطَقْتُ، بَكَوْا، لَمَّا بَكَوْا، نَطَقُوا
مَا ثَمَّ إلاَّ حُرُوفٌ صَفَّهَا قَلَمٌ
فِي صَفْحَةِ الْمَاءِ، وَالْقُرَّاءُ قَدْ سَبَقُوا
هَا قِصَّةُ الأَرْضِ: مَقْتُولٌ... وَقَاتِلُهُ
وَأُمُّ سِتِّ دُمُوعٍ، قَبْلَنَا خُلِقُوا
وَحْدِي عَلَى صَخْرَةِ الأَعْرَافِ أُشْهِدُكُمْ
أَنَّ الْعُصُورَ جَمِيعًا ذَلِكَ الرَّمَقُ...

...

مَا زَالَ فِي "الْكَهْفِ" سِرٌّ، وَ"الرَّقِيمُ" مَعِي
طُوبَى لِمَنْ قَالَ: رُوحُ الْوَرْدَةِ الْعَبَقُ
أُمِّيَّتِي... تَقْرَأُ الدُّنْيَا، وَتَكْتُبُهَا
كَأَنَّهَا، وَكَأَنِّي: اللَّيْلُ، وَالْفَلَقُ
كُفْءٌ لِحَنْجَرَةِ الأَجْيَالِ أُغْنِيَتِي
وَكُفْءُ كُلِّ غِنَاءٍ صَمْتِيَ اللَّبِقُ

---

* شاعر مصري





عودي إنّني قلقُ

معارضة البخيت

حسن بسّام حسن*

لا بوركَ الناس إن ماتوا وما عشقوا
فغايةُ الشعر أن بالعشق يأتلقوا
"لمّا أضاءوا نجوماً في غضون دجى"
أيقنتُ أنّهمُ بالعشق قد صدقوا
العشق والشعر دوما سائرانِ معاً
ونوتةُ الشوقِ تدنو ثمّ تنطلقُ
من يومه والهوى شعرٌ يفيض ندى
يا عشقنا، ولهذا يُسكبُ العبقُ

* * *

فأينَ أينَ زمانُ الوصل، يا أملي؟
أغنيّةٌ من شجونِ القلبِ تنبثقُ
قد كنتُ قبل زمان الهجر عنترةً
واليوم ضاقت فلا عبلٌ ولا نزقُ
رثيتُ أندلساً يا بنتَ أندلسٍ
البحرُ من خلفكم ما عاد ينفلقُ

اضربْ عصاك على غير البحارِ فلا

موسى هناكَ،ونصفُ القومِ قد غرقوا

فرعون عاد إليهم صادحاً بهمَ

أنا الإلهُ، وباقي القوم قد وثقوا

* * *

رثيتُ أندلساً والشعرُ في ورقي

يرثي فؤادي الّذي ما زال يحترقُ

ماذا سأكتبُ والأشعار تلجمني

والحقُّ أخرسُ والبهتانُ معتنقُ

وغربتي في دمي تسري كما لغتي

"كأنّها وكأني الليلُ والفلقُ"

<معي شقاي وألواح العصور معي>

والعهدَ أقدمُ من أن يذهب الأرقُ

من لي بتضميد جرحي جرح أندلسٍ

جرحِ الفؤاد، أنادي، زُلزِلَ الأفُقُ

كم بتّ أحيا على وهمٍ يطاردني

وطارد القلبُ وهماً فيه يستبقُ

كم هدّني بعدي المشؤوم عن وطني

تفتّق الجرحُ فالآلامُ تخترقُ

عودي أعيدي زمانَ الوصلِ يا وطني

إنّي لفرطِ حنيني <دونيَ الرمقُ>

لا طبَّ كالعشق يبري من به التحقوا

تسارع البؤسَ، عودي، إنّني قلقُ

* طالب جامعي/ ك. الهندسة



غرّد وحيداً

معارضة البخيت

مناهل شاهر العساف*

غــرّدْ وحيــداً كــذاكَ النجــمُ يأتَلِــقُ
و اصدَحْ بِشَدوكَ بينَ القومِ إذ نَعَقــــوا

مــا بــينَ صوتِــكَ و الأســماعِ مُعضِلَةٌ
قلبٌ ســليمٌ و عقلٌ للهُــدى نَـــــزِقُ

مــا إنْ بَصُــرْتَ بعينِ القــومِ مَنْهَجَهُم
حتّى تَهاوى لَدَيهِم مَبسَمٌ قَلِـــــقُ

أذْهَبْــتَ نفسَــكَ لمّــا أعرَضــوا حَزَنــاً
هــل هزّ جُرحُكَ من بالغــيّ قد لحِقوا؟!

صــدرٌ يَضيــقُ و نــورُ القلــبِ يؤنِسُــهُ
يرعــى رؤاكَ تــرى إنْ أظلَمَــتْ طُــرُقُ

ســحرُ الغــروبِ و آهُ الحــقّ تحمِلُهــا
عنْ كُلّ مَــنْ بالهُدى إنْ عاهَدوا صَدَقوا

فاضْمُم جراحَكَ - نزْفُ الحقِّ أقدَسُــه-
يرفَعْ لِــواءَكَ مَــنْ للبَذلِ يســتَبـــقُ

ســبِّحْ بِخُطوكَ فــي وَعْــرِ الطريقِ فَمنْ
أنفاسِ روحِكَ حرّى ســبَّحَ الشّــفَــقُ

صدّقْ عَصاكَ... فكيدُ السّحْرِ مُنكَشِفٌ
مــا أوهَــنَ الكيــدَ حــينَ الحــقُّ يُعتَنَقُ

---

*طالبة جامعية/ ك.الدراسات العليا









رحيل

معارضة البخيت

همام خالد يحيى*

لا تأس يا كون إن الدرب يفترقُ ... دربي رحيب وسُدت دونك الطرق
لن تبكيَ البُعدَ عنّي.. أهل معتقدي ... يُرْدُونَ إن كَرِهوا يُرْدُونَ إن عَشِقوا
ما كنتُ يا كونُ خِلاً يبتغيك ولا ... كنتَ الوفيَّ فقل لي .. كيف نتفق؟
ذي بعضُ ذكرايَ أسفارا مُحمَّلةً ... تهوي بظهرك لكن لست تعتنق
من ألف عام أدق العزمَ في سُفُني ... أصلحتُ ما خَرَقوا من عظم من خرقوا
أصيح يا كونُ والطوفان مندلعٌ ... اركبْ معي اليوم.. إني ذلك الرمق
من حوليَ النار صدّت نصفَ عاشقهم ... وأسفرت جنةٌ خضرا لمن صدقوا
في شرعتيْ الحبُّ مقتولٌ وقاتلُه ... وعفةٌ لم يَشِخْ في صدرها الشبق
أمشي على الشوك والماشون في أثري ... تأبى نبوّتهُم صمتا فتأتلق
خاضوا معي البحرَ والأمواج ساجدةٌ ... بادَ المقيمون في شطآنهم .. وبَقُوا
ذي عادة النجم يحيا في تمزُّقه ... لا يَمنح النورَ إلا حين يحترقُ
ماضٍ إليَّ فدعني أقتفي أثري ... لا تأس يا كون.. إن الدرب يفترق

* طالب جامعي/ ك. الطب



على الصخر تزهر

أسامة غاوجي*

وصالـكَ جناتٌ وهـــجـركَ مـقـفــرُ تكتّـم وجـدَ الخافـقـيــن وأظـهــرُ

كأنَّ دموعـيْ فـي وَداعِـكَ أنهُــرُ وبعـضُ اشـتياقـيْ بَعـدَ بُعـدِكَ أبحُـرُ

وصمتُـكَ تطريزُ "البَيَاتِ" مـعَ "الصَـبَا" تُشـذِبُ حـزنَ القلـبِ والحــزنُ يزأرُ

وكنَّـا مَعـاً والمـوتُ يزحـــفُ بارداً ينـامُ بـثـوبِ الريـحِ أيَّـان يـغـدُرُ

غريبـين صرنـا نحتَسـي الموتَ وحدَنا أخيْ لـم تغـبْ فالحبُّ فـي القلبِ يكبُرُ

أخيْ ويـكأنَّ المـوتَ يـبسُـطُ كـفَّـهُ فتلقيْ لَـه الدنيـا فُـتاتـاً وتعبُـرُ

يـرقُّ لحـزنِ الريـحِ مـن ذاقَ حـزنَهـا وكنَّـا كأنَّـا الريـحُ والحـزنُ صَرصَـرُ

أنادي أخـيْ: قلبـيْ وقـلـبـك واحـدٌ فتهمس لـي شـوقـاً وشـوقـيَ أكبـرُ

وربَّ أخٍ مـن غيـرِ قربـى وإنَّـه يفـرِّجُ عـن قلبـيْ إذا الـدهـرُ يقـدِرُ

وعـادةُ هـذا الدهـر نقـضٌ لـعـهـدِه وعادَتُـه أنَّ الـكـريـمَ يحـقَّـرُ

تدورُ بنـا الأزمـانُ حتـى عـقـولُـنـا تـدورُ بنا مـن فـرطِ مـا تَـتَحـيـرُ

فلستَ تَرى إلا الزمانَ كمائناً   صغيراً تعالى أو عظيماً سيصغُرُ
أرى سبلاً بالحزنِ غصَّت رمالُها   تكابدُ أحلاماً على الصخرِ تزهرُ
وهذا زمانٌ ينكرُ الخلُّ خلَّه   تضيقُ قلوبُ الناسِ والصدقُ ينذُرُ
تناثرَ فينا الشعرُ حتى كأنَّنا   شموعٌ ستذوي كي تنيرَ وكي يروا
أخيَّ إن صوتَ الأرضِ فينا قصائدٌ   وإنَّ ترابَ الأرضِ بالحبِّ يعمُرُ
تآخَ فإنَّ الصدقَ يحيي نفوسَنا   وأدركْ صراطَ العُمْر فالعمْرُ يقصُرُ
وهذا زمانٌ إنْ بليتَ بمرِّه   فكنْ أنت صوتَ الحقِّ فالحقُّ يظفرُ
لعل سراجَ الحَقِّ يرجِعُ مشرقاً   وعلَّ ضياءَ الحبِّ في الكونِ يظهَرُ

* القصيدة الفائزة بمسابقة فاشرون كونستانين-دبي

طالب جامعي ك٠ الهندسة





إلى زمنــي*

حسن بسّام حسن*

إلى زمن التصعلك والعصاةِ
أزفّ مشاعراً تنعى حياتي..
تزامنت الأواخر مع قيامي
فخضّ الدهرُ أبهى مفرداتي..
وكنتُ قبيل أن آتي إلينا
صهيلاً في غدير الأغنياتِ..
أأصهل والدّنى حولي نهيقٌ؟
لعمْري ضاع عُمري في الصفاتِ!!
زمانٌ ليس يكفي لاجتهادي
وليس يبين لي حقّي بذاتي..
أتيتُ إليكمُ أهلي، فهلّا
سمعتمْ قصّتي وتخيّلاتي؟
بروحي ألفُ قنديل وألفٌ
بدمعي نكهة الآه المُواتي..

بصوتي لكنةُ الأعراب لكنْ

تشمّسَني على دنيا اللغاتِ..

بصمتي أنثر الدنيا خطاباً

يزلزلُ عرش إبليسِ الطغاةِ..

تشيطنت الأوامر بين حسٍّ

لتحريضي وحسّ لانفلاتي..

فأنّى سرتُ في زمن العصاةِ

أرى ما لا يرى في الكائناتِ..

:تأنّثت الرجالُ ولا رجالٌ

رجولتُهم رجولاتُ اللواتي..

تزعزعت الثقاتُ ولا ثقاتٌ

وهُيّئَت الأوادمُ للسباتِ..

سُباتٌ أيها الإنسان صيفاً!

وحلم بالأماني المُشرعاتِ..

سكبتُ رصاصَ أغنيتي حنيناً

لأزمان الرسوم الدارساتِ..

على طللٍ وقوفا آل شعرٍ

إلى يومٍ يؤذّنُ بالنجاةِ..

* القصيدة الفائزة بمسابقة فاشرون كونستانين-دبي

---

* طالب جامعي/ ك. الهندسة

إن العالـم يفسـح الطريق للمـرء الذي يعرف إلى أين هو ذاهب

رالف. و.أمرسون



الـزَّمنْ*

أحمد عبد الجهمي*

أنامـلُ الوقتِ بالأشـجانِ تَسـقينا ... ونشـوةُ الحزنِ سَـكرى فـي مآقينا
عَاشـت مَخالبُهـا فـي كبْـدِ أوّلِنَـا ... وبالأَسـى سـوفَ تدمي قلبَ تالينا
مـن حَرِّهـا أُوقِدَت فـي البعـدِ أفئدةٌ ... مَاسَـت قُبيلَ النَّوى أغصانُها لِينا
بانَت سُـعادُ فَسَـنَّ الدَّهرُ سَـطوَتهُ ... علـى القلـوبِ وألقَـى رُمحـهُ فينا
ذابـت وعـودُ الأَمانـي فـي محاجِرِنا ... لمَّـا رأينـا وعـودَ المـوتِ تَطوينـا
وقـالَ قائلُنـا إذ شـفَّهُ ولـهٌ ... وأُلبِـسَ الحـزنَ((لا يَبلَـى ويُبلينـا))
((إنَّ الزَّمـانَ الـذي كُنَّـا نُسَـرُّ بـهِ ... أنسـاً بِقربِكمُ قـد عـاد يُبكينا))
يُصلي الصُّدورَ،يَفلُّ الحُسَـنِ, يُرشِفُنا ... كأسَ الخيانـةِ مـن خـلٍّ فيُدمينـا
ما جَادَنا الغيثُ فـي قَحطٍ فأبهَجَنا ... إلاَّ أَتَـت بعـدهُ الأيَّـامُ تُظمِينـا
ومـا نَعِمنـا بـراحِ السَّـلمِ فـي بلدٍ ... إلاَّ هَـوت بَفُـؤوسِ الحَـربِ تُفنينـا

وما تَخفَّت بثوبِ اللَّيلِ قُبلَتُنتا | إلاَّ غَدت في كتابِ الصُّبحِ تَحكينا
كنَّا أليفينِ في صنعاءَ مَرتعُنَا | وفي ربا روضها شعَّت ليالينا
سَرى الهوى بيننا شَهداً يُعتِّقُنا | حتَّى ارتوت من لَماهُ روحُ صَادِينا
في غرَّةٍ وابتسامُ الوصلِ يَلبسُنا | والكونُ يرقصُ سَعداً من تدانينا
وَقُبلةٌ لم تَزل حرَّى مُجنَّحةٌ | فوقَ الصدورِ تَهادى سِحرهُا فِينا
وَدَّعتهُ شارِدَ العينينِ سَاكِبَهَا | يقولُ: أحمدُ، هل ضَاعت أَمانِينا
ودَّعتُهُ وشِفاهُ الوقتِ نادبةٌ | كَأنَّما ساقَنا للحتفِ حَادِينا
كنَّا نَشَقنا عبيَرَ الحبِّ من دَعَةٍ | والآنَ نَنشُقُ حُزناً من تَنائِينا
تبَّت يدُ الوقتِ لا صَادت غَوائِلُها | قلباً ولا غَرست فينا مآسِينا

* القصيدة الفائزة بمسابقة فاشرون كونستانين-دبي

* طالب جامعي يمني/ ك.الدراسات العليا







قصص قصيرة

سونا بدير*

حاجز داخلي

استيقظ عدنان كالعادة على صوت زوجته الثرثارة التي لم تتوقف ـ منذ عرفها ـ عن الإلحاح عليه لزيادة دخله، فراتبه الحكومي ـ كما تظن ـ لايسد جوع أبنائها العشرة، تجاهل عدنان كلامها، وذهب ليغسل وجهه بانتظار شمس اليوم الجديد، فحمل الماء بكلتا يديه وألصقهما بوجهه، فداهمه صوت جارته التي تنتحب حزناً على زوجها الذي قتلته جهةٌ ما.. لأنه متعجرف لايقدر نعمة الحياة، لم يستطع عدنان التغافل عن صوت زوجته المزعج فضربها، لكن ذلك لم يسكن ثورة الغضب المكبوتة في نفسه منذ مئات السنين، فخرج من البيت إلى الشارع ومن الشارع إلى آخر وقد قرر أن ينهي مشكلاته بشكل جذري، لكن ورغم خلو الشارع من «المواطنين» فإن ضمير عدنان لم يسمح له بالمرور أسفل التمثال الحجري دون أن يؤدي انحناءته المعتادة إكباراً وإجلالاً للتمثال، وبعد أن طالت انحناءته تفاجأ عدنان بقدرة أي شخص على هدم التمثال الشامخ، المثبت بمسامير مستوردة. فكر عدنان أنه إذا ما إذا خلخلت المسامير من داخل الأرض بهزة بسيطة قد يسبب ذلك تلاشي التمثال ...!!

صُنع محلياً

تتساقط الأوراق،وتتمايل الأغصان، وتتأرجح الطائرة الورقية يميناً ويساراً،

تمنعها الجاذبية من التحليق بين الصقور، وتحول الرياح بينها وبين الهبوط عند الدجاج، ولكن.. ، قررت الطائرة أخيراً أن تتحكم بمصيرها؛ فاستعانت برياح الشتاء الباردة،التي بادرت لتوها بالاستجابة للاستغاثة وقطعت حبل الطائرة فهوت الطائرة حرة.

معدن

«يجب أن أتنفس» ألحت هذه العبارة كثيراً على نفس محمد أو أحمد ـ لم يعد مهماً تحديد اسمه ـ حاول فتح نوافذ السيارة، لكن فتحها لم يسعفه فقد ضاق عليه المعدن من حوله، فلم يجد بيده حيلة للتنفس إلا أن يشق رقبته من اليمين إلى اليسار ـ لعله يتنفس ـ

زهرة الصبار

اعتادت النظر من النافذة كل صباح، لكن أدهشها العدد الكبير لفجوات الجحور هذه

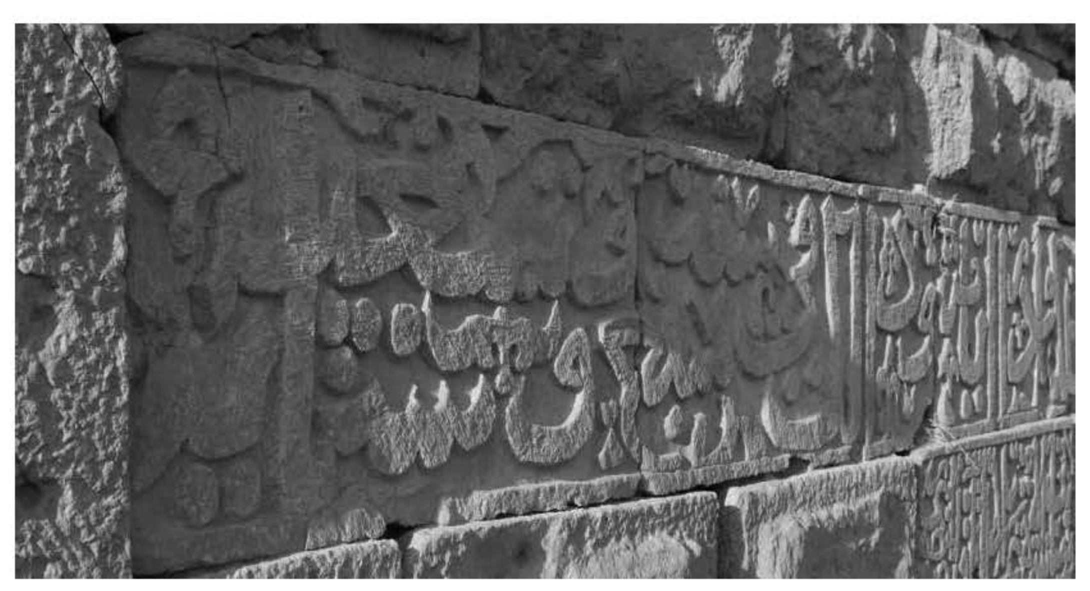
المرة، كل نافذة تطل من جحر أضيق من الآخر، حاولت البحث عن الباب فلم تجده ـ أو لعلها خافت من فتحه ـ .

فعادت إلى النظر من النافذة لكن ما فاجأها هذه المرة هي زهرة الصبار التي تفتحت بين الأشواك أمعنت النظر فيها ثم عادت للبحث عن الباب لكن بقوة هذه المرة.

ثائر

بكى ثائر الطفل حديث الولادة بشكل مستمر، لم تستطع الوالدة إسكاته بالطرق البسيطة كحمله أو إرضاعه، فاستعانت بالجدة ذات الخبرة الكبيرة بالطرق التقليدية في كل شؤون الحياة، فأعلمتها أن الطفل يحتاج إلى التقييد بشكل محكم بقطعة من القماش المطرز، رضخت الأم لنصيحة الجدة وكبلت ثائراً حتى كف عن البكاء، نجحت الطريقة الموروثة فلم يبكِ ثائر بعدها ولم يضحك أيضا!

*طالبة جامعية/ ك.الآداب





عام ٢٠٥٧

عبد الستار ناصر*

انتهت حمّى التفرقة العنصرية بين السود والبيض وانتهى عصر العبيد، فهاهي البشرية، وبعد احتباس حراري دام أربعين سنة، صارت كلها من السود، بما في ذلك من عاشٍ في القطب المتجمد الشمالي والجنوبي أيضاً، ولم يعد العالم يعرف الشتاء القارس ولا الخريف ولا تساقط أوراق الشجر.

بعض العنصريين البيض كتبوا على قمصانهم (كنتُ أبيض كالثلج) ولا أحد يعبأ بما يكتبون، ما أهمية مجنون هنا ومخبول هناك يتباهى ببياض بشرته ما دامت الدنيا كلها صارت سوداء؟ الاحتباس الحراري شطب أيضاً على الفوارق حتى بين الأغنياء والفقراء، فما عاد من أحد يفكر في السيطرة والسلطة سوى بعض المرضى ممن يتلذذون بتأريخ الإنسان الأبيض الذي اندثر تماماً منذ سنين.

مات المئات من البيض برصاصة في الرأس أو رمي أنفسهم من ناطحات السحاب، إذ لا أحد منهم يصدق ما صار إليه، وخاصة عصابات (الكوكس كلان) الذين يكرهون السود حدّ أنهم يتقيؤون في الشوارع والحانات إذا مرّ بينهم رجل أسود أو امرأة سوداء، بينما الممثلات الشقروات وعارضات الأزياء والمطربات وملكات الإغراء في هوليوود أغرقن أنفسهن في مياه المحيط وبعضهن أغلقن الأبواب والنوافذ وكسرن المرايا ولم يخرجن من بيوتهن حتى الموت، إذ لا معنى للحياة بالنسبة لهن حين تكون المرأة سوداء تشبه ووبي أوتايرا أو أوبرا اللواتي ظهرن على الشاشة طوال أعوام مضت دون أي شعور بما كان يفكر فيه البيض آنذاك.

* * *

ظهرت آلاف الكتب التي تفسر أسرار انقلاب الكرة الأرضية وسيادة العرق الأسود واختفاء البيض عن خارطة العالم... احتفل السود في أفريقيا والهند والنمسا بالمساواة الكونية، بينما البيض الذين أصابهم الاحتباس الحراري بكارثة السواد ما زالوا على حقدهم الأعمى نحو كل شيء أسود، لكن كيف يكون الانتقام

إذا كان السواد قد عمّ البشرية ولا أحد يعرف حقيقة الثاني بعد أن تشابه حتى في الحمض النووي والجينات وملامح الوجوه من غلظة الشفاه وجرس الحنجرة حتى الشعر المكعكل والأنف المفلطح وبقية العلامات التي كانت فارقة بين السود والبيض.

* * *

قبل نشرة أخبار الثامنة مساء يوم الخميس الثالث من الشهر التاسع سنة ٢٠٥٧ وفوق عبارة (عاجل جداً) قالت الفضائيات جميعها وفي وقت واحد: جاءنا الآن خبر ولادة طفل أبيض في مدينة بغداد وقد منعت السلطات تصوير المعجزة حتى إشعار آخر.

لم ينم العالم في تلك الليلة، وكل من كان أبيض البشرة راح يرقص في الشوارع والأزقة والبارات، عسى ولعل وربما يعود العالم إلى ما كان عليه من بياض وشتاء ونساء شقروات، وانتظرت الدنيا كلها بقية أخبار الطفل المستحيل قرب شاشات التلفزيون، بينما خرجت عصابات الكوكس كلان في أنديانا ولاس فيجاس بمشاعل النار وهي تقطع الطرقات بهتافات عنيفة تقول (البيض عائدون) بينما السود يضحكون من رجات الكوكس كلان الذين يرفضون عدالة السماء التي حققت المساواة بين خلق الله جميعاً، بالتالي ماذا يعني مجرد طفل واحد إذا كانت مليارات البشرية من السود؟

* * *

فجأة، دون أيّ قرار مسبّق، احتلت أمريكا بغداد كما فعلت ذات صباح من عام ٢٠٠٣، وهذه المرة من أجل طفل أبيض ما يزال في سن الرضاعة!

أخذوه فوراً إلى واشنطن واعتبروه مواطناً كازموبوليتياً بانتظار أن يكبر ليحقق معجزة الخلق كما كانت، عسى ولعل وربما ترى الدنيا مارلين مورنو أخرى وآلفس برسلي آخر.

صارت الحياة بطعم آخر، معلّقة صوب أخبار الطفل الذي أخذته أميركا وأعطته اسم «سقراط» لئلا يبدو اسماً لدولة ما، والصحف والمجلات شطبت على مليارات القضايا بعد أن صارت قضية سقراط البغدادي هي القضية الأولى.

كل ليلة عند الثامنة يزداد سقراط يوماً آخر في إعلانات الجرائد اليومية والفضائيات كلها: سقراط خمسة أيام بعد الشهر الثاني، سقراط بلغ الشهر الرابع، سقراط يقترب من السنة الأولى بعد أسبوع واحد، والنساء اللواتي فكرن بقتل أنفسهن احتجاجا على السواد الذي عمّ الدنيا، ما عاد من شيء يشغلهن غير سقراط الذي سيكبر حتماً ويرجع العالم إلى شكله الأبيض الناصع الجميل.

ليس من أمنية لدى من كانوا بيضاً غير العيش حتى يكبر سقراط ويبدأ في تلقيح النساء الخصبات، عسى ولعل وربما يتكاثر الجنس الأبيض ثانية، وترجع الأرض إلى كرنفالاتها السابقة في السينما والمسرح وعرض الأزياء، فما يزال الحلم الأمريكي متناغماً مع البياض مهما بلغت عدالة الأرض بالمساواة بين البشر.

ملايين الصبايا من كل شعاب الدنيا تبرعن بالنوم مع سقراط، ورأت شركات التزوير الكبرى فرصتها المؤكدة في جمع الأموال بتسجيل الراغبات للبقاء ساعة واحدة مع سقراط لقاء ثلاثمائة يورو، وهو ثمن بخس للنوم مع أشهر كائن على وجه الأرض، وهكذا بزغت شركة (جولوني) في روما ومؤسسة (ميزو) في أمستردام و (بابا نور) في القاهرة و(العم

لينكولن) في نيورك وكلها تحقق الحلم الكبير في أعظم ساعة حب مع سقراط. حققت كنوزاً من الأموال عندما أعطت الضمان بأولوية الدخول إلى غرفة سقراط والبقاء في أحضانه ثلاث ساعات بدلا من ساعة.

بغداد التي أنجبت ابنها سقراط الأبيض، لم تفتح أيما باب لتلك الشركات، وكم حاول العم لينكولن وميزو وجولدني وبابا نور اقناع الصبايا فتح فرع لتلك الشركات من أجل عالم أبيض نرى فيه فاتنات شقروات يشبهن دورسي داي ونيكول كدمان، فما كان من جواب لدى النساء غير ضرب تلك المؤسسات بالحجارة والشتائم.

* * *

لم يعد أحد يعبأ بالرئيس التالي للولايات الأمريكية، ولا أحد يسأل عن أخبار (ناسا) وما فعلته في الفضاء بعد احتلال كوكب المريخ، وليس من امرأة يهمها أن تكون أجمل من سواها، وكم خسرت شركات المكياج وكم أغلقت دور الأزياء نصف أبوابها، فما عاد من شيء في الحياة غير الكلام عن سقراط وما سيفعله عند البلوغ، وماذا عن سلالته القادمة؟

يمشي الزمان ببطء قاتل، وصارت صورة سقراط تملأ البيوت والفضائيات والجرائد بعد السماح من الحكومات جميعها بنشر أخباره في كل شبر من القارات السبع المحشوة بمليارات السود وهم ينتظرون الطفل الأبيض. وجاءت تلك الساعة في أعياد الميلاد عند منتصف الليل من عام ٢٠٧٣ وكان سقراط في أول يوم من دخول عامه السادس عشر.

واحدة من صبايا نيوأورليانز كان لها شرف الدخول إلى عرين الفارس الأبيض، والثانية من باريس، والثالثة من بيروت، بحسب الرقم السرّي الذي تحتفظ به النساء في كل بيت ومدينة، واكتشف العالم لعبة الشركات التي تبيع الأوهام والتي سرقت أموال الصبايا في روما وأمستردام والقاهرة ونيويورك، ولم يتحقق الحلم الكبير في أعظم ساعة حب مع سقراط الأبيض، واختفت تلك الشركات في لمح البصر.

* * *

ثلاث صبايا كل يوم، حصّة سقراط، برغم من أن المظاهرات عمّت الدنيا بأسرها من أجل زيادة الراغبات ما دام سقراط نفسه قال في حديث خاص (لا مانع أن تأتي إليّ عشر نساء في اليوم الواحد).

في عام ٢٠٧٤ والعالم كله ينتظر صراخ أول طفل أبيض من سلالة سقراط، نزل الطفل المنتظر فجر الثامن من شهر آب قبل موعده بأسبوعين، أبيض المسامات مفتوح العينين، احتفلت به الدنيا من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها، وقبل أن ينتهي قطار الدهشة جاء الطفل الثاني والثالث والرابع والخامس، بنات وبنين من أجمل مخلوقات باريس ونيوأورليانز وحتى من مدغشقر والصومال وأثينا وساحل العاج، خرجت الأرض من ثيابها فرحاً وتوزّع الصبيان البيض على شعاب الدنيا ومخابئها وزواياها من أجل أن يبدأ العالم رحلته إلى بداياته التي كان عليها منذ الخليقة، عالم أبيض وأسود كما الليل والنهار وكما تشاء الطبيعة بعد أن اندثرت طبقة الأوزون وخفّ الاحتباس الحراري وعاد القطب الشمالي إلى ثلوجه وحيتانه، كما رجعت الفقمة إلى القطب الجنوبي

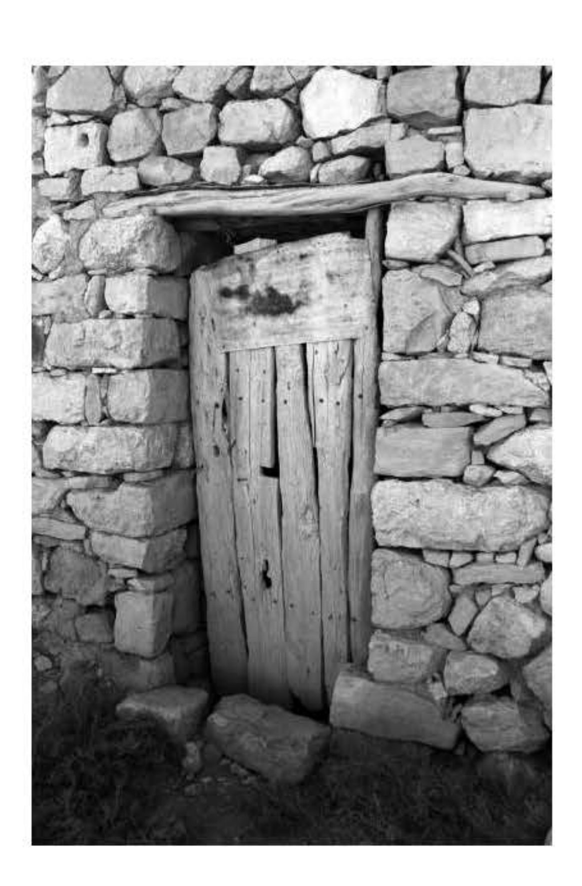
وراحت الدببة ترقص تحت الماء، بينما عصابات الكوكس كلان ترقص في كل جزء من شيكاغو وبنسلفانيا حتى حدود المكسيك.

الآن، الشقروات وعارضات الأزياء والممثلات رجعن إلى حياتهن الصاخبة بعد أن فتحن الأبواب والشبابيك وعادت المرايا في البيوت أكبر مما كانت، ولم يعد من أحد يكتب (كنتُ أبيض كالثلج) فقد عاد الجنس الأبيض بقوة وعادت معه الفوارق بين الغنيّ والفقير وبين السيّد والعبد، مزقوا آلاف الكتب التي تحكي عن سيادة السود على الكرة الأرضية وصار الحقد على غلظة الشفاه والأنف المفلطح والشعر المكعكل أكبر مما كان عليه الحال قبل ما يزيد على خمسين سنة، وتحقق شعار الكوكس كلان (البيض عائدون) وغرزت التفرقة العنصرية مخالبها وأنيابها في جسد العالم عشوائياً هذه المرة وفي كل مكان، وعاد عصر العبيد.

* * *

بغداد التي جاءت بسقراط، وغيّرت أحداث الدنيا كلها معادلة الطبيعة ما بين البيض والسود، لم تسأل ولم تعترض ولم تفتح أيّ باب لمؤسسات بيع الأوهام، ذلك أنها ما زالت تئن تحت الاحتلال برغم أنهم أخذوا منها سقراط ولم يعد إلى بيته حتى الآن، ولا أظنّه يعرف الطريق إلى هنا...ك.

*كاتب عراقي







قدسية التفاهات

عبير حسن العاني*

اتصل بها بعــد طول غياب، حيث (الظروف السيئة للعمل).. بررَّ لها من جديد، لتصدقه من جديد!

كانـــت الغيبة طويلة هذه المرّة.. اتفقا على اللقاء في المكان نفسـه.. والوقت نفسـه..

وقفت وقفتها المعتادة في الشـــارع نفسـه الذي اعتادت أن تنتظره فيه، كما التقته فيه للمرّة الأولى قبل ست سنوات!!

كانت اللهفــة تملؤها،وكانت تحاول أن تقنع عينيها بالصبر فسوف تراه بعد دقائق!!

كانت تقنع مشاعرها..أنوثتها..الأيام العشر الماضية (لقد كانت دهراً كاملاً!!) كانت تقنع (كلّها) بأنها ســتراه مــن جديد،لتعود الحياة حياة من جديد.

لمحت شـبحاً لسـيارته القديمة البالية من بعيـد.. (يــا إلهي..هــل هــذه هي الســيارة؟) الســيارة الباليــة التــي تثير ضحـك العالم وسخريتهم وتثير كل ما فيها من أحاسيس ،كيــف لا ورائحته تملأ كل فضاءاتهـا. تلك الســيارة التي شــهدت أجمل ذكريــات.. أول قبلة.. أعذب الأغنيات.. الدفء الذي ملأها في ذروة الشـــتاء..الدموع التــي نزفتها فيها حين قــررت أن تودعه يوماً ولم يصمــد ذلك القرار لأكثر من ساعة!

(نعم إنها هي..إنه هو)..

أوقف الســيارة مبتسماً ابتسامة جديدة.. كانت باردة، لكنها كانت تريد أن تســتمر في مجابهة حدسها الذي يدرك أن حبيبها مجرد (أكذوبة)!

- مرحباً ياحبيبتي..

- أهلاً قالتها بلهفةٍ مبتســمة وهي تفتح باب السيارة لتصعد.

كانــت تتأملــه.. تتفحــص تفاصيله..تكاد تلتهمــه باشــتياقها.. بينمــا كان ينظر إلى الأفق ولم يلتفت إليها الاّ بعد دقائق ليســت بالقصيرة..

كانت تنتظر أن يبادر هو بالأسئلة، وبالفعل بادرها قائلاً: ما أخباركِ؟

ابتسمت وقالت: أنتظرك!

ضحك ضحكة المنتصر ثمّ عاد فسأل:

- ما جديدكِ؟

ابتســمت من جديد ابتســامتها الساحرة وقالت بصوتها العذب:

- أحبك!

فضحــك ضحكة مَن يملــك الدنيا وما بها

وأراد أن يؤكد انتصاره أكثر فعاد وسأل:

- وما قديمكِ؟

ومازالت تفيض سحراً وأنوثة وهي تردد:

- أحبكَ!

صمتَ الاثنان وكأنَّ كل مواضيع الدنيا قد انتهت.. كانا كمن يبحث عن موضوع ليتكلما به لكنهما عجزا عن إيجاد أي موضوع مشترك!

وفجأة.. انتفض ليفاجئها بصوته العالي:

- ها.. نسيت أن أقول لكِ..

ابتسمت وهي تنتظر ما تتوقعه..ما تتمناه (اشتقت إليك.. اكتشفت أن الحياة دونكِ عدم.. كانت الأيام الماضية قاتلة..إلخ)

وضعت آلاف الاحتمالات (الوردية).بادرها قائلاً:

- سأبيع السيارة.. وبسعر أقرب ما يكون للخيال.

فضحكت.. ربما من نفسها أولاً وقالت بلهجةٍ ساخرة لم يتبينها:

- مبروك!

فقال ومازال في ثورته:

- احزري بكم سأبيعها؟كم تساوي برأيك؟كانت تود أن تقول له:

(تساوي عمري كلّه) لكنّها حاولت الاستمرار معه في الحوار فذلك أفضل من انتصار حدسها الذي كانت لاتريد له سوى الهزيمة!

ثمّ أضاف:

- تعرفين أنها لا تساوي شيئاً.. أنها بالية ونصف معطلة لكنهم دفعوا فيها سعراً لا تتوقعينه.

همست داخلها:

(نعم..هنالك الكثير مما لا أتوقعه..عليَّ التسليم به الآن!)

استمرّت في الحوار مستسلمة لحدسها هذه المرّة كي تحاول أن تُسقِط المزيد من الأقنعة:

- وكيف ستأتيني إن بعتها؟

فتغيرّت لهجته وخفتَ صوته وأجاب:

- قد لا أستطيع القدوم إليكِ الأيام المقبلة وسأحاول أن أوفر مبلغاً في الأشهر القادمة لأضيفه إلى ثمن بيعها مع المبلغ الذي تملكين لأشتري سيارة أخرى أفضل.

(الأشهر القادمة.. إنه يتحدث عن الأشهر! وأنا أمضيت ليلة أمس أعدّ لحظاتها كي يأتي الصباح لأرى شمسه في وجهه..

فلتشتر سيارة أفضل.. ولتجد امرأة أفضل مني..فأن أمرأة تهتمّ بالتفاصيل الصغيرة.. تقدسها..لأن التفاصيل الصغيرة تختصر الأمور العظيمة .. وتُسقِط أقنعة عديدة..

أنا امرأة.. إذا أحببت.. أحببت الكل لا الجزء..

أنا امرأة.. لا تحب إلا مرّة.. ومن حقها أن تكون هذه المرّة ذات قدسية.

أنا امرأة امتزج الحب معها بالمبادىء.. لكن الحب اذا هدّدَ بوجوده المبادىء، فليذهب إلى الجحيم . لم تكن تدري أن صوتها كان مسموعاً لديه.. ربما لأنَّ رد فعله كان معدوماً وهو يقود السيارة بتأنٍ ودون أي انفعال..

فجأةً.. صرخت.. نعم.. صرخت هي هذه المرّة ولأول مرّة يسمع صوتها الحقيقي واضحاً مدوياً منذ سنوات:

- قف هنا!

وقف.. فتحت الباب ونزلت.. اقتحمت الشارع.. ولأول مرّة تنتبه لهذا الكم من السيارات الحديثة.

مشت إلى الأمام.. وعاد هو فأدار سيارته ليعود من حيث أتى.

* كاتبة وصحفية عراقية





تشكيلات سحابية

عثمان مشاورة*

قبـل بدء حصة التربيـة الفنية التي كنت أكرهها كبقيـة الدروس بطبيعة الحال، وضع الأطفال أقلامهم الملونة على المقاعد أمامهم بشكل متناسق. ووضعوا محاة وقلم رصاص بشكل متناسـق أيضا. كانوا فرحين بانتظار حصة الرسـم. تسـتطيع أن تـدرك ذلك إذا ما نظرت إلى وجوههـم وهم يُعدّون الأدوات. فقد بـدوا وكأنهم يجلسـون حـول كعكة العيد. استحموا لتوّهم، مُشطين شعورهم، ومكتّفين أيديهم. ينتظرون أمهم أن تقسمَ لهـم. يبلعون ريقهم ويُحدّقـون بحبة الكرز التـي تتوسـط الكعكـة ليتهـا تكـون من نصيبهم. ثم كان مـن معالم البهجة أيضا أن تجمعـوا حول أحـد الطلبة الذي جلس في مقعده. يضع أمامه عُلبة ألوان فاخرة باهظة الثمـن. ربما ثمنها نصف دينـار! أو أكثر!. أحد الأطفـال فتح عينيه كثيرا وقال وآآو..ونسـي فمه مفتوحا وهـو يتأمّلها. ثم فتح الأطفال دفاترهـم علـى صفحـات بيضـاء. وأخـذوا يفكرون ماذا سيرسمون..ماذا سيرسمون..؟! أحدهم قال إنه سيرسـم البحـر الذي ذهب إليه فيما مضـى. وآخر قرّر بكل حزم بعد أن أخذ وقته بالتفكير واضعاً إصبعه على خدّه، أن يرسـم باقة الورد التـي أهداها أبوه لأمه.. دون أن يرسم القُبلة طبعاً. إلا أنَّ المعلم قطع حيرة الجميع وطلب منّا أن نخرجَ إلى الساحة ونتأمل السـماء، حيث نهاية الشـتاء وأوائل الربيع، والسحاب يتشكل بسهولة كأنه في قبضـة فنان ثـم يمضِي عابـرا خفيف الظل، يحثُّ الخطى إلى بلادٍ أخرى يقدم بها نفسـه قربانا للتلال والمروج.

كلُ واحدٍ منكم يرسم ما يراه في تشكيلات السَّحاب. قال المعلم.

وفي نهاية الحصة، أنهت ميسون الطفلة الرقيقة ذات الشعر الأسود الداكن والعيون البرَّاقة رسم حصانٍ لوَّنته بالبُني، له جناحان زرقاوان يُحلِّق بهما مِّثل عصفور فرح. ورسمت وجها ضاحكا، وحبَّاتٍ من الحلوى، وزهرية حمراء. ورسم سامر الطِّفل الذي يعيش بالمنزل الكبير، حمامةً مُلونة، تفرد جناحيها، وفراشات تطير، لوَّنها بالألوان الفاخرة، وكعكة كبيرة. قال بأنه سيشتري مثلها يوم عيد ميلاده. أما أنا فرسمت بقلم رصاص، فقط،حيث لا أملك ألوانا؛ وجهاً لشيطان له قرنان، وبالقُرب منه كانت الغيمة أشبه ما تكون بشيءٍ مثلَ صُندوقٍ لتلميع الأحذية ورسمت تشكيلاً يُشبه رجلاً غاضبا، ينهرني، ثم يضربني بسوطٍ يلتفُّ على فيلسعني.

---

* طالب جامعي/ ك. الصيدلة





قصص قصيرة جداً

محمد جميل خضر*

أخبـــار

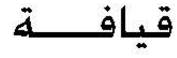
أمامه مســتلزمات المشهد جميعها، طبق مكســرات، وآخــر لفاكهــة الموســم، وثالث لخضــروات المعادن المفيدة، وأمامه آخر الأخبار، وفيها مشاهد لأطفال لن يكبروا على الأغلب بعدمــا قتلتهم الغــارة المباغتــة. أمامه كل شــيء، ويســتطيع أن يتخذ قراراً فذاً بترتيب موعد احتجاج مهذب في اليوم التالي، يحتوي على كثير من الشــموع، والعبــارات المكتوبة باللغــة الإنجليزية من باب تحقيق الوصول إلى وجدان الآخر، وأمامه بضع ساعات لنوم مريح وآمنٍ قبل أن يشــرع بتنفيــذ فكرته!!! أمامهُ أخبــارٌ كثيرةٌ وعليه أن يختار من بينها الأكثر بشــاعةً وتأثيراً مشــهدياً. أمامه صورٌ وصورٌ وصور، تؤسس ببرودٍ لثقافة العصر الجديد!!

حداثـــة

انفض الموعد، توجه سمير من توه إلى نادي اللياقة، وغادرت ســناء برفقة ندى إلى موعد الســباحة، وأكملت نيفين طريقها إلى بيت جدتهــا حيث أمها بانتظارهــا لتعود بها إلى البيت، واختار شــادي النوم المبكر لعله يفعل شيئاً مفيداً في امتحان غد. وبعد شد ورخي ودّع ماهر وسوسن بعضهما، فلا شيء واضح بينهما، ورشــف رعد آخر نفــس من أرجيلته قبــل أن يتركهــا ويمضي، في حــين أن أرجيلة منــى كانت تقريبــاً كما في بداية الســهرة، نحّتها جانبــاً وحثت الخطى باتجاه ســيارتها مودعة الصحب. وحده محمود ظل جالســاً علــى أحد مقاعــد الطاولة التــي فرغت من ســمّارها، يندب الوحدة ويحاول فك طلاسم الحداثة، ويحصي عدد كلمات بلا معنى ذرفت على مذبح اللقاء اليوميّ المتكرر!!!







قيافـــــة

مثل ديكٍ تمشـــي، ومثل عســـسٍ قديمٍ أرقب خطوها، ومثلنا كثر، لا أحد يرغبٌ بمكاشَّـــفة أحـــد، ولا نـــار تغلي فـــي المرجل، ولا إشـــاراتٍ حقيقيـــةٍ عن نيـــةٍ حقيقيةٍ بمعنـــى حقيقي فـــي زمن الحقائق الكاذبة، مثـــل ديك، إلا أنهاً، سألتني بشكل صاعق عن رأيي بـ (النيولوك) الجديد الذي اســـتعارته على سبيل التواصل الإنساني مع المغنية الدلوعة دانا!!!

شـــــلل

وضعـــت حقيبتهـــا فـــوق الطاولـــة، جـــاء اللص الظريف مبتســـماً على الأغلب، طلب منهـــا بهدوء رصين أن يتســـنى لـــه خطفها، اســـتفهمت منـــه: أنـــا أم الحقيبـــة؟؟ توقف الجميـــع، توقف المشـــهد، لم يســـتطع المخرج إكمالـــه، تركـــه ومضـــى إلى بيتـــه، اتصل به الجميع، خصوصـــاً المخرجة المســـاعدة (قليلة الجمال) ماذا بخصوص نهاية المشـــهد، وكان جوابـــه الوحيد فـــي المرات جميعهـــا، اتركوه كما لن ينتهي!!!!

---

* قاص وصحافيّ أردنيّ



قصتـان

محمد عطية محمود*

خـــواء

احتوت عينـاي المقعد الخالـي، على الجانب الآخر من المنضدة «تشـممت» عبقا يسكن ذاكرتي...

منـذ احتوانا ركن المقهـى، ودنا كل منا من الآخر، لامست حواسنا شجوننا، واكتوينا بنار كلينا، بات كل منا يلقي بهمومه؛ لنهوي في بئر سـحيق. عاجلني النادل بفنجاني المعتاد، مومئـاً بطرف عينه إلـى ذات المقعد، ومضى ترتسـم علامات السـؤال على وجهه!! يعلو صوت ارتطـام زهر النـرد بطاولتنا، ويصخب المقهى الحافل، نتجاوز حد الهمسـات.. يعلو صوتانا.. نذيب ما علق بنا من بقايا شـجون.. تردنا الأمسـيات، كل إلى بيتـه، بوجه جديد. تناولت رشـفة من فنجانـي المتحفز لالتهام برودة الجو المحيط.

البارحـة، تقابلنا صدفةً بعد زمن انقطعت فيه أسـباب اللقـاء.. وتضاعفـت فيه الآلام وظلّـت حبيسـة الصـدور.. بـثّ كل وجه بما فيـه، وألحت دواعي اللقاء بمـكان البوح الأثير. ماجت قدماي يمينا وشـمالا. تبعثرت نظراتي على الأرض؛ حركات مضطربة.. «تمسحات».. خربشة في قوائم مقعدي. لحظات، وغادر قط أعرج أسـفل المقعد.. تزوغ نظراته المنكسرة نحو الشارع، عبر زجاج النافذة، تراءى لي رفيق الأمـس يجتاز الطريـق إلى المقهـى. تهللت أساريري...

حين مر بجوار النافذة، وتجاوزني، بدا لي جليا ذلك الاختلاف الشـديد في الملامـح و...عدت لفنجاني البارد، فعادت عيناي تتمسحان في المقعد الخالي.

خطوط متقاطعة

تستقبلني نسائم الصباح الرطبة، تدغدغ حواسي. يتلقفني الميدان الفسيح ـ الغاص في حركات بشرية آلية مدهشة.. يلفظني نحو الشارع التجاري الطويل؛ تواجهني واجهات محلاته الموصدة.. الموعد المتفق عليه لا يزال أمامه وقت حتى يحين؛ لكن العجلة تدفعني دائما إلى «التبكير»..

تنخرط خطواتي في مشي وئيد، تتقدم.. تتأخر.. ترتاد ـ قافلة ـ خطها المقطوع.. تعاود التوقف ـ حيث بدأت ـ عند ناصية تقاطع الشارع بآخر. الفتاة خمرية اللون، متسقة الجسد ـ الجالسة قبالتي في (الباص) تلفها نظراتي المتتابعة من خلف ضفتي الجريدة ـ حال بيني وبينها صعود الركاب ونزولهم.. اختفت قبل أن تودعها عيناي المتشاغلتان. الجريدة الصباحية منذ انفضت بكارة صفحاتها، قرأت عناوينها الرئيسية ثم أغلقتها، لم تبارح إبطي المستكين عليها.. تقحمني معدتي الخاوية في محل الوجبات السريعة. أعود بخطوات يحفها الأمل؛ أن تلحق بها خطواته نحو الناصية.

لم يخبرني من أي اتجاهات التقاطع سوف يأتي؛ حيث نبدأ إحدى محاولاتنا الجادة، لكن همسه بادرني: إن تعذر وصولي في الميعاد؛ فسوف يكون لقاؤنا بالمقهى... تتحرك جبال الوقت، كحركة قدميّ المقيدتين داخل حذائي. هاتفي الساكن بجيبي يلازمه خرس لا يبارحه، علّه يأتيني ينبئ بقرب مجيئه.

تتردد التفاتاتي نحو جهات التقاطع الأربعة.. ثم تأخذني قدماي نحو المقهى ـ قليل الرواد ـ في مواجهة السور الحجري الواطئ للبحر.

تنساب النقوش عبر جدارات المقهى اللامعة زجاجية الملمس.. تتوزع بانتظام.. تعترضها خطوط عريضة متقاطعة موشاة بأغصان ملتفة.. لافتة الألوان، وتتقارب.. تحيط بلون الخطوط الرمادي الرصين، لا يقطع تواصلها إلا حدود المربعات الفاصلة.

فيتوقف امتدادها من أعلى إطار خشبي، ويتنازع الأسود والبني الغامق لون طلائه. أعالج كوب الشاي بحفنة من السكر. أتناول رشفة منه.. أوقن حاجته للمزيد. تبادر يدي بإخراج الهاتف من جيبي.

ربما أدركه اتصال، ولم تلتقط رنته أذناي، يجثم الهاتف فوق المنضدة خاليا من محاولة اتصال.. يعيقني نفاد شحنه عن المبادرة بإيصال صوتي إليه..

ومع رشفات من كوب الشاي، تجزعني الأولى، يقل الجزع مع الثانية، يعتاد اللسان ميوعة المذاق في الثالثة، فتعاود الأنامل اختراق صفحات الجريدة، وتفاضل عيناي ما بين التوغل في ما بعد العناوين، والشرود في ما وراء السور الحجري... في انتظار قدومه.

---

* كاتب مصري

> **الذين يستغلون وقتهم أسوأ استغلال هم أكثر الناس شكوى من قصر الوقت .**
>
> كارليل



صدى الرحلات

فادي محمد الغوانمة*

لله درك يا جزائر!

لله درّك يــا شــيخ صــلاح! يا مــن رويت لي بصمتــك أروع حكايات العــز الجزائري. ويا من بهدوء تأملاتك أنشدت قصائد العشق الأزلي لأرضك، أرض أجدادنا الأحرار. أرض منٍ يأســوا اليأس ففتحوا بصبرهم للحرية باباً.

حكايتي مع الشيخ صلاح ورفاقه الشباب يرويها الزيتون من على ســفوح جبال الجزائر، وتزخرفها نسمات الغروب العليلة إذا احمرت وجنات الســماء خجلاً من رجولة وشــهامة باتــت قصصاً من الماضي، إلا في الجزائر، حيث بالشــهامة والكــرم يتصل التاريــخ بالحاضر ويفتح للمستقبل الشرفات.

هو معلــم للغة الإنجليزيــة، إلا إنه مصاب بمتلازمة «نقص المناعة المكتســبة»، لا أقصد الإيدز أو الســيدا، إنما أقصد نقص المناعة عن ترك العمــل الشــبابي والتنموي مــع رفاقه الشــباب فــي مدينتهــم «أقبــو» وقريتهــم «فلدن». فهو معلم لجيل من الشباب الناشط في مؤسسات المجتمع المدني هناك.

أســرّتني رفقته، ورفاقه الشباب المضياف. فهذا الشــيخ صــلاح يأتــي بالتــين الطازج المقطــوف تــواً، وبكــرم هو شــيمتهم طيلة مكوثي عندهم يأتي الشــباب بالكســكس وباقة من الطبايخ الريفية المحلية. كم أحببت الغداء معهم! فهو طعــام ذو نكهة محلية أصيلة كتــراب الجزائر، وهو مبهــر خير تبهير مثل نسيمها. وهذا ما لم أجده في فطورهم الفرنســي الصرف، لذا فحبــي للجزائر يزداد وقت الظهيرة!

هم شباب متقد حماسة للدفاع عن الجزائر وعن الثقافــة المحليــة لمنطقتهــم، القبائل، التي هــي إحدى جنــات الوجــن الجزائري. في كل قريــة في الجزائر هنــاك مقبرة يرقد فيها بســلام عشرات من شــهداء الثورة الجزائرية، ويزورها المئات من الأطفال والنســاء والرجال. بصمت شفاههم وبلون الإصرار في عيونهم

المترقرقة يقولون:

قسما بالنازلات الماحقات
والدماء الزاكيات الطاهرات
والبنود اللامعات الخافقات
في الجبال الشامخات الشاهقات
نحن ثرنا فحياة أو ممات
وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر
فاشهدوا...فاشهدوا...فاشهدوا..

أحببتهم وأحببت الجزائر، وأحببت كيف أتوني يعلمونني حروف الأمازيغية، هم مصرون على إحيائها. والفتى العربي القادم من المشرق لا يخفي تخوفه أن يحول تنامي الاهتمام يها على حساب العربية بين أهل القبائل وبين إخوتهم العرب واللغة العربية، وحين تتزاحم وجهات النظر المتوافقة حيناً ومتصادمة حيناً آخر، أتذكر أن الإسلام هو من جمعنا. فأخرج نفسي من صراع لست أهلاً للخوض فيه، لأدخل مقام الشهيد منشداً:

وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر
فاشهدوا... فاشهدوا...فاشهدوا...

تجربتي التونسية

أحب ذكرها كل حين وفي كل مجلس. سوسة تستفز أوجاع كل عاشق لصفاء الروح قبل صفاء شاطئها المشرق. من رباطها التاريخي مروراً بأسواقها العتيقة وصولاً إلى بحر جسد الله فيه بديع صنعه. حب الموج لسوسة يشده مسرعاً نحو شاطئها. ربم موجها بيضاء تسابق لهفتها لعناق رماله الحارة. أعشق إنعام النظر فيها مقبلة والكبر ميزتها. بحرها عصي كأسوار رباطها إلا على المحبين. ماؤء كوثر ما سكب ملحه إلا عيون متيميه لحظة الوداع. مسكها إن غادرته ذرات رمله تزين جفنها. ربي سبحانك كيف أبدعتها؟ لا أنكر عجزي عن إيفائها بالوصف حقها. تحرمني دهشتي إطالة الشرح فأختصر. حبها بصدق فريضة على كل زائر...

في رحاب هذه المدينة الجميلة، مررت بتجربة فريدة. منها عرفت أن التعلم لا تقف حدوده عند أسوار مدرسة أو جامعة، لا بل إن نوعاً من التعلم تعجز حتى أساليب التعليم اللامنهجي «التقليدية» من مؤتمرات وملتقيات ومهرجانات عن تحقيقه. فعلى الرغم من اكتساب هذه الصنوف خصائص فريدة تميزها عن التعليم المنهجي؛ كاهتمامها بما هو تطبيقي تجريبي، وغزارة عناصر التنوع المعرفي فيها ، واختلاف الأساسيات والخلفيات لكل مشارك مما يغذي روح التنوع البناءة... على الرغم من هذا كله، إلا أنها تفتقد لميزة العفوية، أو بمصطلح علمي أوفى «الشفافية».

فكل مؤتمر أو مهرجان يروج لفكر منظميه؛ وعليه يسخر المنظمون ما لدى بلدانهم وشبابهم من إمكانات لخدمة هذا الفكر. فيركزون على ما يخدمه، ويتجاهلون - قاصدين أو ناسين- ما يخالفه الرأي، وهنا يغطي ضباب تنظيم هذه الفعاليات ميزة العفوية أو الشفافية.

التجربة التونسية، عرفتني على ما هو أقرب للشفافية من الملتقيات والمؤتمرات. فالغرض من الزيارة كان حضور ملتقىً شبابي أورومتوسطي والتنسيق لاستضافة شباب تونسي يشارك في فعالياتنا الثقافية. وعلى الرغم من نجاح هذه الزيارة على المستويين الشخصي والمؤسسي، وأن النتائج الطيبة لها باتت قاب قوسين أو أدنى ، إلا أن العفوية

ذهبت بي لما هو أنجح من ذلك، وهو أن أنظر إلى هذا البلد العربي الشقيق نظرة من الداخل،،،بمنتهى الشفافية.

ريم ، فتاة سوسية في العشرين من عمرها، شاركتنا آخر أيام الملتقى. استفزتها الدبكة الشعبية الأردنية فأقبلت لتشاركنا، وما إن أنهكتنا «الدبكة الشمالية» بحيويتها وتلقائيتها حتى جلسنا كل يداعب آلته. فأمسكت الناي ودندنت «جاري يا حمودة»، وضرب آخر الإيقاع لا على آلة ولكن على طاولة الشاي الأخضر، وغنت ريم.

كان أداؤنا ارتجالياً هدفه إمتاع الذات لا أكثر. ومع ذلك، لمسنا فيه نوعاً من التنظيم في الأداء، ساقنا هذا إلى الاسترسال في الحديث. فحدثتني عن تجربتها في دراسة المالوف والموشحات الأندلسية في المعهد العالي للموسيقى. ولأن المالوف من أحب القوالب الغنائية على قلبي استرسلت معها في النقاش،،،ولا أدري كيف انتهى بنا المطاف على طاولة الغداء مع أمها وأخويها في جلسة عائلية بسيطة لكنها حارة، بل حارة جداً. وكيف لا تكون وطبق الغداء الرئيسي كان الكسكسي مع الهريسة الملتهبة!

ولأن أمها كانت قيروانية، أبت إلا أن تأخذني إلى مدينتها العتيقة لأطلع على حضارة أجدادنا الفاتحين. كما اصطحبتني العائلة الصغيرة إلى عرس قيرواني لأحد الأقرباء. وبينما نحن بين هنا وهناك، تجاذبنا أطراف الحديث؛ فحدثتني الأم تارة عن نظام التعليم المدرسي في تونس وعن عملها كمعلمة، وتارة استرسل ابنها رامي في مدح نادي مدينته الرياضي «النجم الساحلي»، وأخرى أتتني الطفلة رغدة بعقدٍ ياسمين يفوح عطراً، لهو عندي أعظم أثراً من قراءة مجلد بألف صفحة يصف المشموم والياسمين التونسي.

ما كنت لأطلع على واقع الحياة الاجتماعية التونسية بهذه الشفافية لولا هذه التجربة الفريدة. فمن تجربتي بالعمل المؤسسي وصلت إلى نتيجة يقينة؛ وهي أن «التجاور» بهذه الكيفية يصعب على العمل المؤسسي إيجاده. إنما يقتصر دور المؤسسة هنا على توفير ظروف ونشاطات شبابية من شأنها جمع الشباب في مكان ما يسهّل عليهم التعارف والتجاور.

ومن هنا خلصت إلى تطبيق هذه الآلية على مبادراتنا الشبابية. فنحن وقد شارفنا على الانتهاء من فترة الإعداد لـ «الملتقى الشبابي للأغنية الشعبية الأردنية» نسعى لاستقطاب شباب موسيقي عربي يشاركنا فعاليات هذا الملتقى وذلك بالتعاون مع الملتقى التربوي العربي/برنامج سفر. ولأني أدركت أهمية «التجاور» بعد تجربتي التونسية، رأيت أن بيوتنا أولى من الفنادق باستقبال ضيوفنا الكرام.

صدقت الحكمة القائلة: «مدرسة الحياة أعظم مدرسة» وشكراً لمن كان لهم الفضل في ترسيخ هذا المفهوم لدي

---

*طالب جامعي/ك.الهندسة



في انتظار الرحيل الأخير !!

عصام عبد الجيد عمرو*

هذه الدنيا فناءٌ ليس فيها مــن ســرور
قاضياً طـول الليالي تائهاً بـين القــبور
ما عشـقت القبر يوماً لكـن الدنيا غـرور
صاحبي ما كنت أدري أنَّ دنيانا غدور

* * * *

صار لي في كلِ قــبرٍ صاحبٌ أهــلٌ وجــار
فاتخذت الحزن أُنسي واستبحت القبر دار
إن دنـيانا كـطــفلٍ بعــد طــول الــذُلِّ ثـار
كلُّ حلــمٍ في رضاهــا مثـل قــشٍ فــوق نـار

* * * *

لم يعد لــي بعد موتي أيّ مــأوىً أستعــير
ليس من قبر بلا ضــيفٍ فيؤوي المستجــير
صاحبي جد بعد موتي صحبة القبر الصغير
صاحبي واعذر عظامي لو عـلا منها صــرير

* * * *

"دنيتي" كالذئب والأغنام لا تقوى المسير
صاحبي هذي حياةٌ نحن فيها كالضرير
كل من فيها ضريرٌ تـائهٌ قرب الشـفير
هذه الدنـيا فــناءٌ فاستعــدوا للمســير

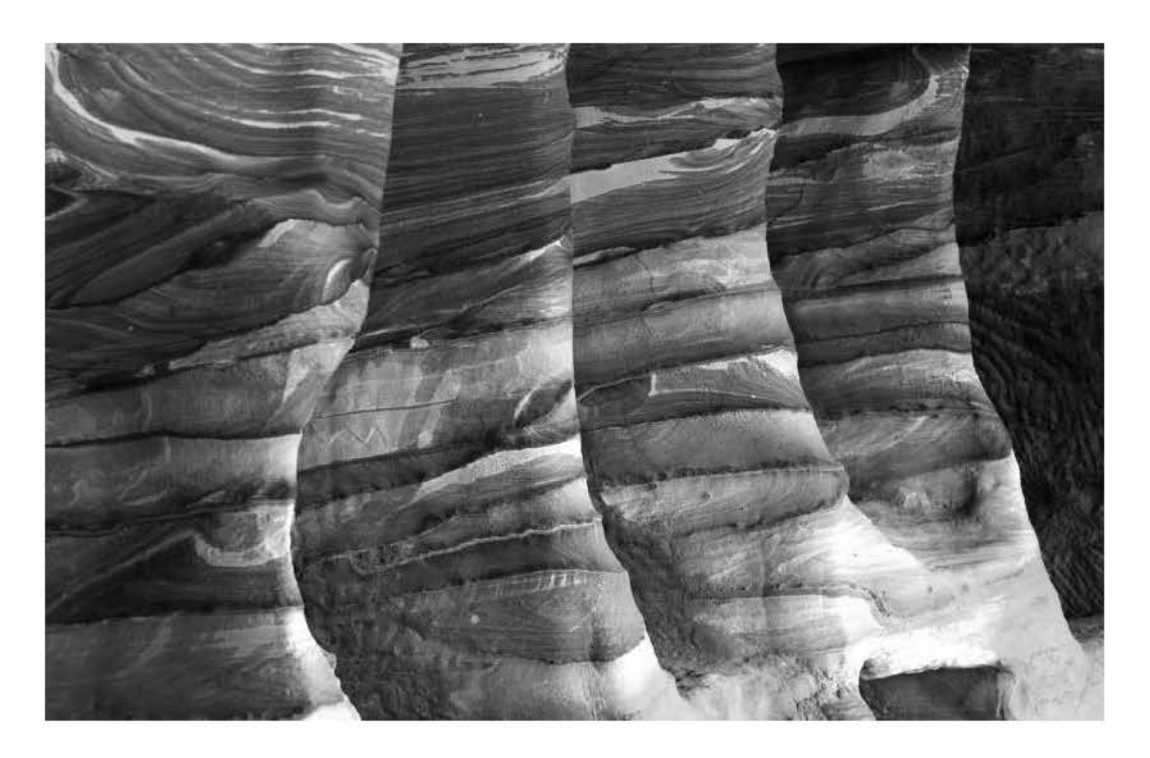
* طالب جامعي / ك. الزراعة

ودعته

سكينة يوسف الحلايقة*

متكامل وجمال وجهك حيرا ... بدرا تسامى في السما فوق الورى
لولا عبيرك ما تنفس نرجس ... ولربما ما كان مرج أزهرا
فلطالما قيدت حرا قد درى ... أن الوصال بجنة فاستأسرا
ولطالما فجر تعجل وقته ... حسدا لليل نمت فيه فأُخِّرا
وترى الكلام يحار في أوصافه ... والوصف يحلو كلما هو قَصَّرا
وعلى مديد العمر جسم يرتدي ... ثوب السقيم لهجر صبٍّ أسفرا
قلبا تهاوى كالظباء على الثرى ... يا ظبيتي ما زال ضلعك عنبرا
ما زال فيك جماله متمثلا ... علم الغزال غيابه فتحَوّرا
ودعته والجمر يكوي القلب مع ... كي الرحيل معاتبا ما أخبرا
أمرا تواري وجهه متبددا ... بين التجافي والتنائي صُوّرا
أمرا أقاسي الليل من نسيانه ... والليل شيخ رام أن يتذكرا





برحيله ما بت أذرف دمعة ... بعد العزيز أرى دموعي مُنْكَرا
وأرى الحياة مريرة أنفاسها ... ليت الفناء سبيل قلب هُجّرَا
ودعته والنار تكويني على ... عفو الكريم مسامحا لما سرى
يا دهر، رفقا بالخليل وبالذي ... جهل الردى ورأى الحبيب مُعَمَّرا
ما ظن أن الداء يرديه وما ... حسب الثرى لحدا يعد ليُحْفَرا
قد حاك بالذكر الجميل لباسه ... فابيضَّ من ذكر يروم له الورى
واحرّ قلباه من دمع بدا ... قهرا أذاب الوجنتين ولم يُرا
وأذاب حبا ما تمنى غيره ... ومع الأماني ضاع ما قد أُثْمِرا
إن المنايا والحتوف مصائر ... فبغيرها خلت الغياب مُزوّرا

---

* طالبة جامعية/ ك. الآداب





عائدٌ من حَيفا

فوزي باكير*

قَلَمي ينزفُ فوقَ الورقِ الشاحِبِ شَجَنا...
ترجِفُ الأوراقُ من الكلماتِ وتبكي
تُصغي لِرَحيلٍ يتبعثرُ في أسطُرِها
تستجدي قلبي أن يصمتَ شيئا
لِيَكُفَّ القلَمُ قليلا عن سَكبِ وداعٍ أشعَلَ في قلبي وَهَنا..

صبراً يا قلبَ على دربِ الآهاتِ وصورَتِها
فالصورةُ تبقى شيئا من ذكراكَ و تمضي..
والآهاتُ كذلك..
لكن
إياك وأن تنسى أنّك ما زلت أسيراً في طَورِ العشقِ
وفي درب بَنفسَجِها...
إياك وأن تدمع عند الأطلالِ حنيناً
فدموعُ حنينكَ تحرقُ ما في الطَّلَلِ من الأحلامِ
وتغدو الأطلالُ كَجُبَّةِ عَدَمٍ
لا يعرِفُ دمعي فيها وَسَنا...

أشتاقُكِ حيفا..

وأغادر قُدسَ تُرابك والشاطئ والكرمل والذكرى خوفا

حيفا..

يا مُلهِمةَ الأنثى نُضجاً..كيداً..دفئاً..عصفا..

يا مُلهمة العُمرِ بأيام العشق وبالصيفِ وبالعزفِ على لحظةِ موتٍ

يُخلقُ فيها من جنّات الخلدِ الموعودةِ ألفا....!

شكرا حيفا

فعلى شاطئك اختلط الدمعُ بحبّات الرمل ليَحفظَ للبحرِ ملوحتَهُ

فاض البحرُ بملحِ العين قليلاً

فاضَ ومدَّ وهاج وراقَ فقالْ:

خذ درباً آخرَ يا وَلَدي

ليست مُلككَ حيفا

خذ دمعَكَ وارحل

يكفيها ملحَ الأيام وعلقمُها...

سَلِمَ البحرُ..

سَلِمَ المنفى....

سَلِم العائدُ من رحلةِ قهرٍ نحو التابوتِ وقد شاهَد حيفا

سَلِمَ العائدُ مَيْتاً وَهْوَ يَقولُ:

أُدفَنَ في هذي الأرضِ جميلاً

وكَفى...!

* طالب جامعي/ ك. الصحافة والإعلام



قصتان

سلمى عبد الله عويضة*

امتلاء المحابر

في لقاءات الغيـم المذبوح قربان حب طائع لقداســة عطر الأرض المسبية بالحنين.... يورق نيســان يورق... غضاً... متســللاً من شرنقات المدى.... سالكاً سبل الزنابق التائهات.

يبتهج... بوسع المرج محتضناً آماد الاعتباق بأنيس وقعته.

ليتحيّن نـوّار اللوز درب المجيء.... ولينتشـج الدوح بعتبى الأمسيات....

وليضـجّ الكون بأهزوجة راعٍ أخلف مواعيد نيســان... مواعيـد لقيـاه بـذات الجديلـة الشـقراء!!! فافترش النداءات واغتمس خبزاً ملّح بالدموع!!!!!

هو نيســان... ملهم شمسـاً ضائعة.. فيه اجتلاب العميـق من العميـق ... لنقف على مدارك أمس كانـون الأول, وفي حضرة التورد نرثي اشتعالاتنا فوق فتات الرمل المكنوس !

ليَهَبَ هو ... كلاً منّـا نايا بحنجرةٍ بكماء... لن تتقـن الغناء إلا أن بثّ في صبحها أنفاس حالم عشق أكوانه

بسـماء ... بغيم ... بقمر وبحـرا!!! ليعلمنا كيـف نشـتجر مداخـل الطرقـات وأروقـة الضلوع ...

كيف نوقن بأنه عائد ... باقٍ ... ينتظرنا على شرفات نذرناها منفى وقت احتراق الأصيل ...

ليؤرجحني هو ببهائه مداً ... وجزراً

إلـى أن يلقـي بـي طريحـاً .... فـي ائتلاق مروجه...

لأنفتـق أنا عن شـرنقتي وأشـدو المجيء ... بامتلاء محبرتي:

ليت كل الدروب تودي بنا إلى ...

نـيــســان

يمامة

ينــزف مستشــرفا زرقــة البحــر، يحــدق بانغماســات ريش جوانــح نــوارس أنهكتها مداعبات نصف القمر المغدور... فشــرع يدور معبقــا عنــق الناي بعطــف أناملــه... ليزداد القمــر نقصانــا... ويعتلــي الغــارب صهوة موجه... وتبتدي انتحابات الســكون، وتراتيل رجع التســابيح؛ ليغني المولــه أكذوبةعمره مرتجلا ألف ألف عام... ويبكي!!

يبكــي... لأنهم علمــوه الخــوف إذا ما حلّ المساء

ليلــوذ بعنقــود داليــة مرنحــة علــى هزج المواسم ويشــكو تخثّر الدم في شرايينه..... ودمعه المستباح!!!!

فهو على الموعد كل مساء

يحدق بوسع ســمائه... حتى تسقط على مغانيه الجرداء...... يمامة

يلملمهــا... ويدثّر عريها الدامي بأســمال التراب!

---

*طالبة جامعية ك. الآداب







فلتذهبي إلى الجحيم

غدير شريم *

بعد أن وصلَت إلى القمة.. شعرت بالخوف، والرهبة والقليل من الشك، بدأت تشك بنفسها من دون أي سبب. ماذا حصل؟ لا تدري.. لا تدري سوى أنها في لحظة واحدة وجدت نفسها تتساقط شيئا فشيئا،، ولا تدري أين ستكون النهاية....

ربما ستخرج من الهاوية، لكن متى؟ وكيف؟ ومن سيمسك بيدها ليخرجها من الحفرة؟ وأي أبواب ستطرقها بعد أن تخرج؟ ..

لقد تعبت من التفكير . وبدأت تشعر أن دماغها يتآكل خلية وراء الأخرى.. لم تعد تحتمل.. إنها الأفكار.. التي لم تكن تجرؤ على افتراس دماغها، افترسته، لكن ما الذي حل بها وجعلها تفترسه؟ من أين أتت؟ وأي رياح حملتها؟ ومن أي ثقب دخلت؟

تعجبت تلك الفتاة من نفسها... فكيف استطاعت تلك الأفكار أن تأتي بها إلى تلك الحافة التي لو سارت لبضع سنتمترات ستسقط منها .. وصرخت بصوت باكٍ: « أين أنا؟؟ وماذا فعلت لأفكر بشيء لم يحصل، بل والأسوأ أنني أفكر بما سيحصل من بعد شيء لم يكن... كيف ذلك لا أدري .. وما حقيقة تلك الأفكار؟ أيضا لا أدري...»

يا ليتها تقوى تلك الفتاة وتمسك تلك الأفكار الشريرة التي غرزت أنيابها برأسها، جعلها أشلاء متطايرة لتتخلص منها إلى الأبد. وتخلص البشر جميعهم، وتفك الأسر الذي يطوقهم ويجعل كلاً منهم رهينة لأفكاره... سجينا بين الأفكار والأفكار.. مقيدا بقيود لا يراها.. حتى توصله في النهاية إلى مرحلة لا يستطيع فيها التحدث مع نفسه... وكذلك هي تلك الفتاة،، أصبحت عاجزة عن النطق بما يعصف في رأسها...

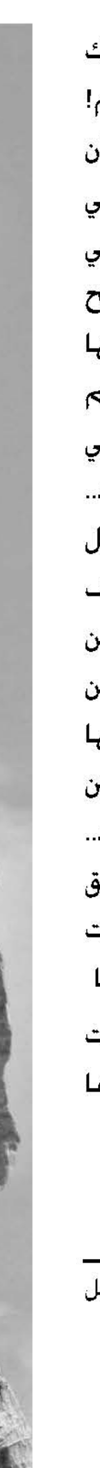
أصبحت تجلس وحدها بين الجدران.. لم تعد تقوى على الحراك. شدت الأفكار رباطها حول تلك الفتاة.. وأجبرتها على المكوث طويلا في زنزانة الظلام.. سدت بوجهها جميع النوافذ المهترئة التي تكاد تسمح لقليل من النور بالدخول، لكنها لم تعد كذلك.. فقد عششت الأفكار في ثقوب النافذة حتى أصبحت الأوهام تغشي عيني الفتاة لتحجب عنها رؤية الحياة.. صارت تلتف حول نفسها محاولة الهروب. لكن قوتها لم تعد كافية للمقاومة، حاولت إيقاظ عقلها.. إيقاظ نفسها. لعلّها تخرج من تلك القوقعة الخشنة. أُرهِقت كثيرا .. ولم يبق أمامها سوى الاستسلام .. ارتمت في مكانها . وطا ل غيابها عما حولها.. تذكرتها إحدى الزميلات، وسألت عنها .. لم تغنم بجواب صافٍ من الجيران. ولم تجرؤ على الذهاب لبيت الفتاة فحاولت تناسي أمرها: «وماذا سأستفيد وأنا أسأل عنها وأتعب نفسي في سبيل مجرد زميلة غافلة عن زميلاتها تركض وراء مصلحتها ..!!».

لم تعد تسأل عنها و تلك القابعة في زنزانة الظلام مازالت تتخبط بظلال الوحدة.. تتألم حيرة.. وتبكي حسرة... تارة تفكر بطريقة لتعصر نفسها من تلك الزنزانة.. وتارة تجلس تبحث عن جماد مثلها لينسيها عجزها النفسي عن تخليص نفسها من وحشية البشر.. صمت المكان فجأة منتظرا مشاهدة الفتاة وما ستفعله ليكون شاهدا عليها..

انتفضت كالمجنونة وذهبت تركض إلى ذلك المطبخ المتعفن.. يكاد سقفه ينهار، أمسكت سكينا من دون أي تفكير.. كانت في تلك اللحظة مجرد جثة إنسان. خالية من العقل. خالية من الأعصاب. لكنها تملك الروح التي جعلتها تهوي إلى هذا المكان لتكون نهايتها.. لم تكن تملك طريقا للخلاص سوى تلك السكين، التي ظنت أنها ستقتل كل أوجاعها.. وستسحب روحها منها للأبد حتى ترتاح من هذه الحياة الموحشة..

هل ستكون هذه هي نهاية إنسان؟ هل ستُترَك وحدها بين أربعة جدران لا سقف لها؟؟ أم...؟؟...ما مصير فتاة عذبتها أفكار ليست ملكها .. تلك الأفكار التي أجبِرت على التهامها من دون أن تدري أنها في طريقها إلى الهلاك .. وكانت تأخذها وكأنها جرعات علاج يتشبث بها إنسان أوشك على الفناء..؟. أم أنها ستضعف وتجعل السكين تمتطيها لتقودها إلى اللحد..؟

هدأت قليلا بعد أن سمعت صوتا ينبهها بقدوم أحد .. ذهبت وهي ترتجف.. وراحت تمشي في خطوات متأرجحة محكمةً قبضتها على السكين.. اقتربت من الباب ولم تجرؤ على النطق بأي حرف. قرّبت أذنها أكثر لتتأكد هل ما سمعته كان حقيقياً أو أنها ما زالت تعيش في شِباك الأوهام... وارتعبت حينما سمعت صوت طرق عظام أصابع على بابها الخشبي، وتراجعت للوراء بعد أن تيقنت أنها تعيش الواقع .. ثم عاودت الاقتراب من الباب وثار غضبها عندما سمعت صوت تلك



الزميلــة يناديهــا.. تمتمت في نفســها «تلك الحقيــرة لــم تتنازل بعــد عن دورهــا اللئيم! مازالت تفترس البشر وهم أحياء ولكن دون ان تنهشهم بأنيابها. حسناً ..سأريك كيف هي الحياة وســأجعلك تجربين الموت قبل أن تعرفي بوجوده...» ما زالت تنتظر في الخارج أن تفتح لها الباب.. متمتمة بعبارات مقنّعة لتقنعها أنها الأحســن من بــين صديقاتها اللواتي لم يفكرن بالســؤال عنهــا .. والفتــاة تقف في الداخل تســتمع وتصك أســنانها.. وتتنهد.. فتحت لها الباب ومدت لها ذراعها لتتفضل في الدخول. وكانت قد أخفت السكين خلف ظهرهــا. وبــدأت زميلتهــا بالاستفســار عن طول غيابها وهي تخلع معطفها.. ولم تكن تلــك الفتاة تمتلك صبراً كافياً لتســتمع لها فلفت ذراعها حول عنقها وغرســت السكين في جسدها قبل أن تكمل حديثها دون تردد.. وتخلصــت من الغــدر الذي لعــب دور الرفيق المخلص لها طيلة الأشهر الماضية... سقطت الضحية في أرضها.. اقتربت الفتــاة منــها

و حركتهــا بقدمها لتتأكــد انها قد ذهبت إلــى الجحيم.. ثم خرجت مغلقةً الباب وراءها لتكمل حياتها في زنزانة حقيقية.....

---

* طالبة جامعية /ك. علوم التأهيل







الطائر السمين

نجوى إبراهيم العبادي*

زقزوق ليس كغيره من الطيور، فهو يمتلك جسماً ضخماً وأجنحة صغيرة، ولذا لا يمكنه الطيران أو اللعب مع الطيور الأخرى التي كثيراً ما حلم بالقفز معها من مكان لآخر..

في كل يوم، وبكل الطرق المتاحة، كان زقزوق يحاول الطيران، مرة بعد مرة بعد مرة.. لكنه كان دائماً يمنى بالفشل.

فكر زقزوق أنه قد يجدي نفعاً لو حاول الصعود أعلى الشجرة ثم القفز والتحليق بالهواء! لقد كان مصمماً على الطيران. ورغم أنه كان من الصعب على طائر صغير مثله تسلق الشجرة إلا أنه نجح في ذلك وجلس على غصن من أغصانها وأخذ نفساً عميقاً قبل أن يفتح جناحيه محاولاً الطيران.. لكن زقزوق المسكين وقع على الأرض فوق كومة من أوراق الشجرة.

جلس فوق كومة الورق وراح يفكر: إنه على الرغم من رغبته الشديدة التي يبدو من الصعب تحقيقها، إلا أنه يملك أموراً أخرى لا تملكها الطيور ولا يمكنها القيام بها، كان التحدي الذي يواجهه زقزوق هو كيف يمكنه العثور على تلك الأمور!

---

* طالبة جامعية

الصديق الحقيقي هو الذي يقف إلى جوارك إن أخطأت أما إن أصبت فكل الناس تقريباً يقفون معك ..

ماري توين



عودة إلى عمود الشعر وطغيان التناص

هيا الحوراني*

أمــام أكثــر من خمســة نصوص شــعرية متألقة تُـلزم نفســها بحراً وقافية واحدة لا يســعنا إلا أن نعود لمقولة أســلافنا «الشعر ديــوان العرب»، فقــد أبدعت الأقــلام الجديدة نصوصاً شعرية موزونة رائدة تنبئ عن موهبة خلاقة تتناص مع الشــعراء العرب الأوائل في ألفاظهم ومعانيهم وأغراضهم الشــعرية، موهبــة تمتلك أدوات النص الشــعري من وزن وقافية وإيقاع متناغم لا تنافر فيه.

أما القصــة القصيرة فقد اســتطاعت أن تعبّر عن تجارب أصحابها، فصاغوها نصّاً نثرياً مكثفا ممتلئاً بالدلالات والمعاني.

الزمن – أحمد الجهمي

يعيدنــا الشــاعر منذ ابتــداء قصيدته إلى أجواء قصيــدة ابن زيدون «أضحــى التنائي» فيوظف القافية نفسها والبحر نفسه، حتى إنه يقتبس منه بيتا شعريا كاملا:

«أن الزمان الذي كنا نُسرّ به
أنساً بقربكم قد عاد يبكينا»

إلا أن هــذا لا ينفــي أن الشــاعر عبــر مــن موضوعــه بشــعريّة عالية، وقــدرة واضحة علــى الصياغة والســبك، وقــد وظف بعض الألفاظ التي تحســب على الشعر القديم وقلّ اســتخدامها في شــعرنا المعاصــر من قبل «بانــت ســعاد - مرتعنا- للحتــف»، ويتناص الشــاعر مع النص القرآني فــي البيت الأخير من القصيدة:

«تــبَّت يدُ الوقتِ لا صَادت غَوائُلُها
قلباً ولا غرست فينا مآسينا»

فقولــه «تبت يــد الوقت» تنــاص مع قوله تعالى في ســورة المســد «تبت يــدا أبي لهب

وتب».

ونرى القدرة على الإتيان بالصورة التي تتسق مع الحالة الشعورية للشاعر، وهذا يظهر في بيان موقف الوداع الذي صوره بصورة جليّة، فشبه هذا الوداع بالموت الذي لا لقاء بعده:

«ودّعته وشفاه الوقت نادبة

كأنما ساقنا للحتف حادينا»

عارض غيم - مناهل العساف

هذا نص شعري يسير على عمود الشعر العربي بالتزامه الشطرين والقافية الواحدة، تسير فيه الشاعرة على نهج القصيدة القديمة، فبدأت بمقدمة موفقة، ثم شكت بعد ذلك ما آلت إليه حال الأوطان، وصورت شعور أهلها بالغربة وسوء الحال، وعبّرت عن هذه الأوضاع بصيغة الاستفهام والسؤال:

«ما بال أهلك مرتابين في ضعة؟

ما بال تربك للأعداء مرتهنا

ما بال من آمنوا بالحق وامتثلوا

يكابدون ومن عاداهم أمنا؟»

وتجلّت قدرة الشاعرة في براعتها وصياغة الصور المعبرة عن الحالة الشعورية التي تعيشها، وفي إتيانها بألفاظ متناغمة غير منفرّة، مما أكسب النص جمالية وسهولة في القراءة تتناسب وموضوع القصيدة المليئة بالشجن.

قالو اعتزلت – أنس عرابي

يبدأ الشاعر قصيدته بافتراض وجود طرفين يدور بينهما حوار، يمثل هو الطرف الثاني، وهنا أيضا ينهج نهج القدماء، بافتراضه أحداً يقف أمامه ويوجه له الاسئلة، فيجيب هو عنها، وهذا ظاهر في البيت الاول من القصيدة:

«قالوا: اعتزلت! فقلت: الشعر معتزلي».

ثم ينطلق الشاعر في الأبيات التالية بتفسير اعتزاله ولجوئه إلى الشعر هرباً من الأحزان والأشجان التي قد يحياها، وهنا يشبه الشعر بكأس الخمر التي تُذهب العقل وتنسي الإنسان همومه وأحزانه، وكذلك يشبه الشعر بالمرأة المعشوقة التي تسلب العاشق لبّه وقدرته على الكلام.

ويظهر التناص في أكثر من موضع في القصيدة. فقد تناصّ الشعر مع معلقة الأعشى باستخدام ألفاظ البيت الأول من المعلقة:

وقيل: «ودع فإن الركب مرتحل

«وهل تطيق» بعاداً غير ذي أجل

والحارث بن حلزة يقول:

ودع هريرة إن الركب مرتحل

وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

وكذلك ثمة تناص قرآني، يقول الشاعر:

«فقلت «صبرٌ جميل» حضّه أمل

إلى اللقاء فلولا الصبر لم أنل»

وهذا تناص واضح وبيّن مع الآية القرآنية الكريمة: «فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون».

ومما يؤخذ على الشاعر استخدامه للفظ « أقبح الشعر» فجاءت اللفظه ثقيلة غير متناسبة مع النص الشعري، ثم إن انتقاله من وصف الشعر إلى بيته «وقيل: ودع فإن

الركب مرحّـل» كان انتقالاً مفاجئاً منقطعاً عما سـبقه من أبيات ، فوقع فيما يسمى بـ «سـوء التخلص» لكن هذا لا يقلل من قيمة القصيدة التـي تخبـئ بين صورها وتراكيبها شاعراً بموهبة شعرية متميزة.

يوسف والنشيد – أشرف خليل

نحن هنا أمام نصّ شعري يرقى إلى مستوى فني عالٍ، سـواء في صياغة الصور أو القدرة علـى الدّخول في الجو الشـعري الـذي يمكّن الشـاعر - رغم اعتماده النص القرآني- مُثلاً بسـورة يوسف- من الاندغام الكلي مع نصّه وصياغته شـعراً جديداً جميـلاً. فمنذ ابتداء القصيدة يتناصّ الشـاعر مع سـورة يوسف في المعنى واللفظ، ومن أمثلة هذا قوله:

«هل كان مشتعلاً -أبي

حين اشتهى لغتي

وراود أحرفي عن نفسها».

فالنـص القرآني معروف في أن زوجة العزيز راودت سيدنا يوسف، ولكنّ الشاعر هنا قلب المعنى بصـورة جميلة ومعبّرة عن مراودة من نوع آخر، فاللغة وحروفها حلّت محلّ سـيدنا يوسف والأب كان هو المراود.

ومـن الأمثلة الأخرى علـى التناصّ في هذا النص الشعري الفني قول الشاعر:

«تناوموا ليروا على وجه البلاد النور

أو ليحدثوا

عن سبع بقرات

وبعض سنابل»

وهـذا من غير شـك تناصّ إشـاريّ إلى رؤيا العزيز في سورة يوسف «إني أرى سبع بقرات يأكلهـن سـبع عجـاف»، وهنا أيضـا يتميز الشاعر في قدرته على قلب المعنى المقصود: فالطغـاة هنا هم الذين يترقبون خير أوطاننا ليسلبوه.

هـذه موهبـة شـعرية خلاّقـة ندعوهـا للاستمرار والتقدّم.

وعودي إنني قلق – حسن بسام حسن

يتألق الشـاعر في هـذه القصيدة الجميلة التي هـي في أصلهـا عمودية تلتـزم قافية واحدة، لكنها جاءت بصورة أسـطر شـعرية متتاليـة وليسـت عمودية، وفـي معارضته لقصيدة الشـاعر أحمد بخيت جرأة خلاّقة، نتج عنها نص شـعري لا يقـل أصالة وفنية عن قصيدة (لا أفق لي) للشـاعر بخيت، حتى عندما يسـتعير منه سطراً شعرياً كاملاً فلا نشـعر البتة أنه ملصق بالنص أو زائد عليه، بل النص نسـيج متناسـق متكامل لا نفور فيه ولا اختلاف:

«لما أضاؤوا نجوماً في غضون دجى»

أيقنت أنهم بالعشق قد صدقوا

ولا أظن الشاعر كان سيأتي بمعنى يخالف سطر الشعر الأول السابق في تكوين معناه الذي قصد إليه.

قدرتـه على اسـتحضار النمـاذج القرآنية والتراثيـة واضحـة وموظّفة لخدمـة النص، فاستدعى من القرآن الكريم شخصية سيدنا موسـى عليـه السـلام، والطاغيـة فرعون. واسـتحضر مـن التـراث الشـاعر الجاهلي عنتـرة، وكذلك حضـرت الأندلـس الضائعة بوضوح في نصه.

في انتظار الرحيل الأخير

عصام عبد المجيد عمرو

يستدعي هذا النص الشعري إلى ذهن القارئ بدءًا بسطره الأول شعر إيليا أبي ماضي وجبران خليل جبران، بهذه الفلسفة العميقة في فهم الحياة التي تخفي بين ثناياها تشاؤمية ليس من الصعب اكتشافها. نص يستحق التوقف عنده؛ فمن ناحية الشكل استطاع أن ينتقل في المقاطع الشعرية بحرف الراء بما يتناسب والمعنى الذي يقصد إليه، ففي المقطع الأول جاء حرف الواو قبل الراء مشيرا إلى هذا السرور الدائري غير الدائم، وإلى القبور التي تضمّنا بدائريتها بما يجعلنا نشعر بالدوار. أما في المقطع الثاني فامتدت الراء بالألف التي سبقتها لتوحي بالامتداد، فهذا الجار قد يكون أخًا وملجأ وقت الحاجة، أما دلالة القبر فتغيرت إلى دار تتسع للشاعر يستبيحها كما يشاء، وكذلك النار الممتدة التي لا تبقي على شيء.

هذه موهبة شعرية تنبئ بخير.

سكون – محمد الدحيات

تضجّ قصيدة «سكون» المفارقة لعنوانها بالحركة والتموج والانتقال بين صور هي أجمل ما تكون، وتعبر عن حالة خاصة يحياها الشاعر ويعبر عنها بهذا الدفق من الصور المغلّفة بتراكيب ليست غريبة عنا لكنها تشكل بمجموعها - دون فرط عقد عناصرها - نصًّا شعريًّا ناضجًا يبشّر بشاعر قد نقرأ له في مقبل الأيام نتاجًا شعريًّا مكتمل الأدوات مزدحمًا بالدلالات الموحية، ومفارقًا لنصوص تدعي أنها شعر.

ولأنّ الشاعر منذ البداية صرّح أنه هيّأ نفسه لمحبوبته واستعدّ للقائها حاملاً في صدره كل مشاعر الحب والغزل التي تسلم له قيادها دون تمنّع أو دلال، فكانت قصيدته هي هذه المحبوبة التي لم يبخل عليه بشيء؛ فبادلته العطاء بنص شعري ولا أجمل، ألا تراه يقول:

هيّأت نفسي جيّدًا
لقصيدتي
في الصبح كسرت
المرايا كي أفاجئها
....
وتهيّأت هي لي كذلك
وارتدت فستانًا ابتاعته
من عند (الفراهيدي)
وكحلت العيون.

خـواء – محمد عطيه

البداية الحقيقية لهذه القصة تظهر لنا من قول الكاتب: «البارحة، تقابلنا صدفة بعد زمن انقطعت فيه أسباب اللقاء»، وقد جاءت هذه الجملة بعد فقرتين من القصّة، فما أقصده هنا أن الكاتب وبتقنية سرديّة ذكيّة يُجمل لنا أحداث زمن ماض جمعه بمن يحبّ ويسرد علينا ما كانا يفعلّانه. ثم يطلعنا بالجملة السابقة على افتراقهما وعودة اللقاء بينهما، لكنه اللقاء الباهت الذي لا يحمل حرارة لقاءاتهم السابقة في ذلك المقهى الذي كان شاهداً على اجتماعهما وحبهما.

نص نثري بلغة شعرية معبّرة، ومن الأمثلة على هذه الشعرية قوله:

- ودنا كلّ منا من الآخر، لامست حواسنا شجوننا، واكتوينا بنار كلينا.

بثّ كل وجه بما فيه، وألحت دواعي اللقاء بمكان البوح الأثير.

ويمكن تصنيف هذا النصّ بأنه قصة قصيرة جداً كثّفت الماضي والحاضر وعبرت عنهما بأسطر معدودة لكنها استطاعت أن تشرك المتلقي في الأحداث وتطلعه على ما لم يُقل.

تشكيلات سحابية – عثمان مشاورة

في قصة تشكيلات سحابية لعثمان مشاورة نستطيع القول إننا أمام نصّ قصصي لقاص يمتلك أدواته الفنية، ويشكل فيها نصّه بحرفية متميزة وقدرة تنبىء عن فنّان حقيقي، يصوغ فكرته ويعبر عنها بأقل العبارات وأكثرها امتلاء بالدلالات الموحية التي تجعل القارىء يشارك الكاتب تجربته ومقصده.

يحاول الكاتب في قصته أن يرصد واقع المجتمع باختلاف طبقاته وما ينتج من اختلاف في التفكير وطريقة العيش وحتى الاختلاف في الآمال والأحلام بين هذه الطبقات، فصّور نفسه ضمن الطبقة المسحوقة التي تفتقر إلى كثير من الأشياء التي قد لا تكون ذات أهمية كبيرة، لكنها عند الأطفال- الفئة التي عرضها الكاتب ولا تشكل الأمل والمبتغى.

ومن المفارقات الجميلة في القصة قول الكاتب في البداية: «قبل بدء حصة التربية الفنية التي كنت أكرهها كبقية الدروس بطبيعة الحال»، فأي قارىء يتوقع أن هذا الطالب يكره حصة التربية الفنية فقط ويحب الدروس الأخرى، لكنه سرعان ما كسر توقعه ويفاجئه بأنه لا يحبّ أيّاً من الدروس والحصص.

حاجز داخلي – سونا بدير

كلٌّ منا يخفي في داخله حاجزاً يظن أن من الصعب كسره وتجاوزه، إلا أننا في بعض المواقف قد نمتلك الشجاعة في كسر هذه الحواجز التي تسكننا وهي في أصلها أضعف من أن تقف بيننا وبين الحياة بكل معطياتها.

هذا ما أرادت الكاتبة إيصاله للقارئ بأسلوب قصصي جيد؛ فعدنان الذي ظن أنه بضرب زوجته يحقق شيئا يريده منذ زمن، أيقن أن في نفسه غضباً لا يطفئه ضرب هذه الزوجة، بل كان يهدم هذه التماثيل التي نظنها عصية على التكسير والتهشيم.

نشجع الكاتبة ونخضعها لمزيد من الدربة على كتابة القصص حتى تواصل بقوة أكبر تهيئ لها مكاناً في ساحة القصة القصيرة جداً.

---

* عضو هيئة تحرير



الساعة

بقلم الإسباني : بيو باروخا
ترجمة: إيمان قاسم الرواشدة*

في تلك العوالم الخيالية تقع تلك المناطق الخلابة حيث تتنهد الأشجار متمايلة و تنساب جداول الماء الصافية كسلاسل من البلور الصافي منشدة ترانيم للنسيم العبق برائحة الزهور التي ما تلبث أن تتلاشى في زرقة البحر. بعيدا عن تلك المناطق؛ يقبع مكان مخيف و غامض تعانق فيه الأشجار السماء بجذوعها العجفاء، حيث الصمت و الغموض المبهم يلقي من خلال ظلاله الثقيلة مشاعر من الحزن و الأسى و الموت.

و أكثر ما يبعث على التشاؤم في هذا المكان المعتم قلعة سوداء كبيرة بأبراج ذات شرفات و أروقة مهدمة و مدمرة كانت قد صممت بأسلوب معماري قبطي الى جانب خندق يفيض بالمياه الراكدة الآسنة.

كنت أعرفه، ذلك الإقليم المفزع. في إحدى الليالي كنت ثملا و أرزح تحت نير حمل ثقيل من الأحزان و المآسي، كنت أسير مترنحا كقارب قديم يتخبط على إيقاع أغنية بحرية. كانت تلك أغنيتي أغنيها على المقام الصغير، أغنية عن قرية نائية حزينة كأغنية لوثرية، هادئة تحكي قصة معاناة كبيرة، قصة الحزن و الحنين.. قصة الجبال و الغابات. وذات ليلة

و بشكل مفاجىء شعرت بفزع كبير. وجدت نفسي أمام القلعة، دخلت صالة خالية ليس فيهاا إلا تمثال صقر مهشم الجناح ملقى على الأرض.

نظرت من النافذة لأرى القمر يلقي بنوره الطيفي على الريف المقفر، في تلك الخنادق التي ماجت فيها المياه الآسنة التي تنبعث منها روائح نتنة.

هناك في السماء يتلألأ لنجم بارتعاشة غامضة. و في المدى البعيد تموج ألسنة لهب النار المتقدة بفعل ريح عاتية. و في الردهة

الواسعة تنسدل ستائر سوداء، بعد ذلك أويت إلى مضجعي الأشبه بفرش القابعين في السجون. كانت الردهة خالية إلا من موقد تشتعل فيه نيران أضاءت جوانب الردهة، و تنتصب على أحد جدران الردهة ساعة عملاقة تمتد كتابوت من خشب أسود تشق دقاتها في الليالي المثقلة بالصمت المطبق منذرة متوعدة.

«آه، أنا سعيد- أخذت أكرر لنفسي- بعد الآن لن أسمع الصوت الآدمي البغيض أبدا أبدا.»

كانت الساعات الحزينة تتواتر من غير اكتراث من خلال دقات موحشة تحمل رنين معدن الساعة.

و بعد زحمة الحياة كنت قد عثرت على الراحة و بدأت روحي تنعم برعب الليل الموحش أكثر من استمتاعها بصباحات الفجر البيضاء.

الآن أنا أنعم بالهدوء لا شيء يكدر صفو عيشي، هناك سأعيش حياتي وحيدا إلى الأبد، و تحت ظلال الصمت المرير أخذت أقلب أوجه الفكر بروح منتشية بالسكينة، كرحلة في الخريف من دون آمال مجنونة و لا أوهام حمقاء.

كانت الساعات الحزينة تتواتر من غير اكتراث من خلال دقات موحشة تحمل رنين معدن الساعة.

كان يصحبني فقط في هذا الجو السوداوي نقيق الضفادع.

و أنت أيضا تعيش في وحدة. هكذا أنشد مطرب الليل، في عمق مخبئك ليس هناك من يجيبك سوى صدى ضربات قلبك.

و كانت الساعات الحزينة تتواتر من غير اكتراث من خلال دقات موحشة تحمل رنين معدن الساعة.

و في ليلة يملؤها السكون شعرت بالفزع من أمرمبهم خيم على روحي، شيء مبهم كظل حلم في البحر هز أفكاري. و لاحت لي من النافذة السماء المظلمة حيث ترتعش وترتجف النجوم. هناك في اللانهاية لا نهاية الوجود لا تسمع أية صرخة و لا حتى رعشة حياة في تلك الأرض المظلمة.

و كانت الساعات الحزينة تتواتر من غير اكتراث من خلال دقات موحشة تحمل رنين معدن الساعة.

أصغيت بإمعان، لا شيء يسمع. السكون، السكون يخيم على كل شيء! و فجأة بدأت أهذي، صرت أتوسل للأشجار التي كانت تتنهد و ترافقني تنهيداتها في الليل، أتضرع للريح التي تتمتم بين أوراق الشجر، و لطنين قطرات المطر الهاطلة على أوراق الطريق الجافة، و أبتهل للأشياء و الناس الذين لم يهجروني، و سألت القمر أن يخلع رداءه الأسود الأبنوسي، و يداعب عيني، عيني المسكينتين المكدرتين بحزن الموت بملامحهما الفضية.

و بقيت الأشجار و القمر و المطر و الريح غير عابئة. و توقفت الساعة التي تتواتر من غير اكتراث عن الرنين إلى الأبد.

---

* طالبة جامعية / ك. اللغات الأجنبية



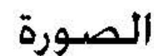
قصص

إنريكه أندرسون إمبرت- الأرجنتين

ترجمة: رامز الحداد*

آخر النظرات

جال بنظره في الجوار، دخل إلى الحمام وغسّل يديه بصابون يعبق برائحة البنفسج. بقيت المياه تقطر من الصنبور بعد أن أغلقه. جفف نفسه ووضع المنشفة على الجانب الأيسر من العلاقة إذ إن الجانب الأيمن يخص زوجته. أغلق باب الحمّام ليحول دون سماع وقع قطرات المياه. دخل مرّة أخرى إلى غرفة النوم، ارتدى قميصاً نظيفاً بأردان فرنسية وشرع يغلق أزراره. كانت الجدران مغلّفة بورق مزركش برسومات رعاة وراعيات، بعض أزواج الرعيان اختفى وراء لوحة منسوخة عن لوحة المحبين لبيكاسو. وفي الأمام حيث يقطع إطار الباب جزءاً من ورق الجدران يقبع بعض الرعاة وحيدين دون رفيقاتهم. دخل إلى غرفة المكتب وتوقف أمامه، ففي قطعة الأثاث الضخمة كالمبنى هذه يُعد كل جارور بيتاً مستقلاً من الأشياء، فداخل أحد تلك الجوارير تؤذي شفرتا المقص من يدخل يده لتناول أحد الكتب القابعة في العمق. وعلى أحد الرفوف تحرّك خنفساء يائسة قوائمها محاولة النهوض بعد أن وقعت على ظهرها، فساعدها بدفعة بقلم الرصاص من ثم سار- الساعة الرابعة- نحو الردهة ذات الستائر الحمراء التي تتحول بخفة حين تضربها الشمس إلى اللون الوردي، وحين وصل إلى المخرج استدار ونظر إلى مقعدين متقابلين يظهر عليهما أنهما غارقان في نقاش عميق. خرج من المنزل و هبط الدرج، عدّ خمس عشرة درجة، لكن ألم تكن أربع عشرة؟ كاد أن يعود ليعدّها مرّة أخرى لكنّ الأمر لم يهمّه، لم يكن أي شيء ذا أهمية. عبر إلى الرصيف المحاذي، وقبل أن يتوجه إلى مفوضية الشرطة نظر إلى نافذة منزله، حيث كانت هنالك زوجته مستلقية والخنجر مغروز في قلبها.



الصورة

تزوج خايمي وباولا. وأثناء شهر العسل تبين لهما أن باولا سوف تموت. فكما تنبأ الطبيب بالكاد بقي لها القليل من الأشهر. طلب خايمي منها أن تسمح له بتصويرها كي يخلّد جمال محيّاها ذاك. فأسعدت الفكرة باولا التي كانت تزرع بذرة دوار الشمس في أصيص؛ فجلست والأصيص على تنورتها وتبسمت ومن ثم ...

كليك!

وبعد ذلك بزمن قصير توفيت. قام خايمي بتكبير الصورة التي التقطها- فكان وجه باولا جميلاً كالزهرة- . وضع لها إطاراً وزجاجاً ووضعها على منضدة السرير.

وفي أحد الأيام، حين استيقظ، لاحظ وجود بقعة صغيرة على الصورة. أبفعل الرطوبة يا ترى؟ لكنّه لم يعرها اهتماماً. وبعد ثلاثة أيام، ما هذا؟ ليس بقعة على الصورة فحسب بل برعم برز من الأصيص داخل الصورة. الشعور بالغرابة تحول إلى خوف عندما تحقق في الأيام التالية بأن الصورة حيّة مثله تماماً. في كل صباح، حين يستيقظ، يلحظ تغيراً ما. كانت النبتة المصوّرة تنمو. نمت ونمت حتى أضحت زهرة دوار شمس غطت وجه باولا.

---

* طالب جامعي / ك. اللغات الأجنبية



أدب عالمي

قصص

ترجمة: صفاء سلامة*

سلة النفايات

لويس ماتيو ديث - إسبانيا

كنت قد رأيت، وعلى أقل تقدير، سبعة أو ثمانية أشخاص، لا يوحي مظهرهم بتسولهم، يدخلون أيديهم في سلة النفايات قرب أحد أعمدة الإنارة، بالقرب من الموقف حيث تقف سيارتي كل يوم.

كان حدثاً سوقياً سبب لي نوعاً من الحقد، إذ من الصعب تجنب تلك الصورة المؤلمة التي يفتعلها الناس كرذائل طيور العقعق، وبالأخص إذا ما فكرنا بالمفاجآت القذرة التي يمكن لسلة النفايات أن تحتويها.

من الصعب أن أرى نفسي واقعا في ذلك الهوس السيء، ولكن في ذلك الصباح وبعد النقاش المرعب الذي دار بيني وبين زوجتي في الليلة السابقة، والذي بسببه لم يغمض لي جفن، وبينما كنت متجهاً إلى مكتبي، جذبتني سلة النفايات كالمغناطيس شديد القوة، وقبل أن يلاحظني أحدهم وضعت يدي فيها تبعا للقرار الأحمق ذاته الذي دفع أولئك الحمقى الذين سبقوني إلى فعل ما فعلوه.

أكون مبالغاً إن قلت بأن حياتي هكذا كانت قد تغيرت، لأن الحياة هي أكثر من المادة التي تدعمها، ومن الحلول التي نتخذها لمواجهتها، فالحياة قبل كل شيء، من وجهة نظري المتواضعة، هي الشعور بما نكونه نحن أكثر من التقدير الذي نحصل عليه. ويجب أن أعترف بأن كثيراً من الأشياء في حياتي قد اتخذت مجرىً آخر.

أصبحت رجل أعمال قديراً، وانفصلت عن زوجتي وتزوجت شابة فاتنة، واشتريت مزرعة رائعة ويختاً طالما كنت مجنوناً به. وأهم شيء أنني أجريت عملية زراعة شعر في أفضل عيادات سويسرا و أزلت من حياتي وللأبد عقدة الصلع التي ظهرت منذ بداية شبابي.

كانت ورقة اليانصيب التي أخرجتها من سلة المهملات متسخة ومجعدة كما لو كان أحدهم قد تقيأها ولكنني استطعت أن أتمالك نفسي وألا أشعر بالتقزز تجاه هذا الحظ الذي انتظرني في يانصيب عيد الميلاد.

قصة قصيرة للاعتراف

مانيول بييرو - الأرجنتين

في ربيع عام ١٢٣٢ وبالقرب من أبينيون، طعن السيد غونتران دوربيليه الكونت البغيض جيوفروي، وهو سيد المنطقه. و في الحال اعترف بأنه قتله ثأراً لأن زوجته كانت قد خانته معه.

حكم عليه بضرب عنقه، و قبل إعدامه بعشر دقائق سمحوا له برؤية زوجته في الزنزانة.

- لماذا كذبت؟ سألته غيزيل دوربيليه. لماذا ملأتني عاراً؟

- لأنني ضعيف، أجاب. فبهذه الطريقة وبكل بساطة سيقطعون رأسي، فلو اعترفت أنني قمت بقتله لقاموا في البداية بتعذيبي.

«وداع الحماة»

فرانثيسكو اسكاته - البيرو

قصت راكيل عليّ الحكاية الفظيعة التي عاشتها بعد وفاة حماتها. فقد اضطرت وزوجها قبل سنوات عديدة إلى الانتقال للعيش مع والدته للعناية بها لتقدم سنها؛ لم تكن راكيل و حماتها منسجمتين على الإطلاق في أي من الأشياء وأضحى عيشهما معاً لا يطاق. كانت العجوز تنتقد راكيل في كل شيء تفعله أو تعدل عن فعله؛ طريقة لبسها، وتسريحة شعرها، وطريقة تنظيفها، وأي شيء تقوله ... كل شيء. ويبدو أن العجوز كانت تستمتع في ملاحقتها وإثارتها في كل لحظة. لدرجة أن صديقتي رغبت بأن تَخرج تلك العجوز من حياتهما فوراً. توفيت العجوز، كانت تلك صدمة للعائلة بأسرها. أحبط الزوج كثيراً، أما هي، فبالرغم من انشراح صدرها المستتر، كان عليها أن تتولى الاهتمام بمراسم الجنازة. بيد أن راكيل في الحقيقة وفي أعماق قلبها شعرت بالأسف لأنها لم تتمكن أبداً من الانسجام مع العجوز. وبعد قرابة أسبوعين من الدفن، بدأت أحداث غريبة بالحصول في المنزل، كانت راكيل تستشعر حضور العجوز في جميع أرجاء المنزل، حتى إنها كانت تسمع وقع خطواتها في الحجرات بشكل متواصل، و سعالها الأجش أثناء استحمامها عندما لا يكون أحد سواها في المنزل. وفي إحدى الليالي حينما كانت نائمة شعرت راكيل بنظرة أحدهم عند طرف السرير، وفجأة أحست بضغط كبير يغمر جسدها بأكمله، إذ منعها من أن تحرك أية عضلة، وشعرت بيد حماتها العظمية تداعب شعر رأسها. حاولت الصراخ لكن صوتها لم يخرج. أرادت أن تدير رأسها لترى زوجها غير أن جسدها كان مخدراً بتأثير طيف أسود لا يمكن أن يكون إلا لتلك العجوز. وفي نهاية المطاف تواري. تكرر ذلك الأمر مرات عدة على مدى أسابيع، كل ليلتين أو ثلاث ليال. عانت راكيل من تلك التجربة الفظيعة، لم تكن لتعرف ما إذا كان ذلك حقيقة أم مجرد كابوس مزعج. هل تأتي حماتها بالفعل إلى جانبها وتداعب شعر رأسها؟ لم يكن زوجها ليصدق ذلك، ولم يستطع أحد مساعدتها إلى أن نصحها أحدهم بأن ما عليها فعله

هو الاســترخاء ومواجهة حماتهــا, فإنها إن استرخت بشكل كافٍ سيكون باستطاعتها أن تتحرك و تكتشف سبب عودة تلك العجوز وما الذي تريد قوله لها في البداية. رأت راكيل أن ذلك ضرباً من المســتحيل, بيــد أنها قررت المحاولــة حتى تســتطيع النوم قريــرة العين. وهكذا, وعندما شعرت راكيل في تلك الليلة بذلــك الضغط الكبير على جســدها, أرخت عضلاتها وشــرعت تتنفــس. فتحت عينيها ورأت طيــف حماتهــا المعتم فوقهــا يداعب شــعرها ويضغــط علــى جســدها بأكمله, تجمدت راكيل من الخوف, بيد أنها عزمت على الأمر وفتحت شفتيها وهمست بأقصى قدر ممكن:

ما الذي تريدين قوله لي ؟

اقترب طيف حماتها من وجه راكيل دون أن يكف عن ملامسة شــعرها ,من ثم همست بلطف في مسمعها:

هذه الصبغة لا تليق بك .

إن هذه العجــوز اللعينة عادت من الجحيم فقــط لتنتقد لون صبغتهــا! لم أصدق هذه القصة قط , ولكنني أعلم أن راكيل لم تعد تستشــعر حضــور حماتها في المنــزل على الرغــم من أنها الآن تســتخدم لون صبغتها المعتاد.

* طالبة جامعية/ ك. اللغات الأجنبية





مقالات

استراتيجية الفشل..

بنان الصبيحي*

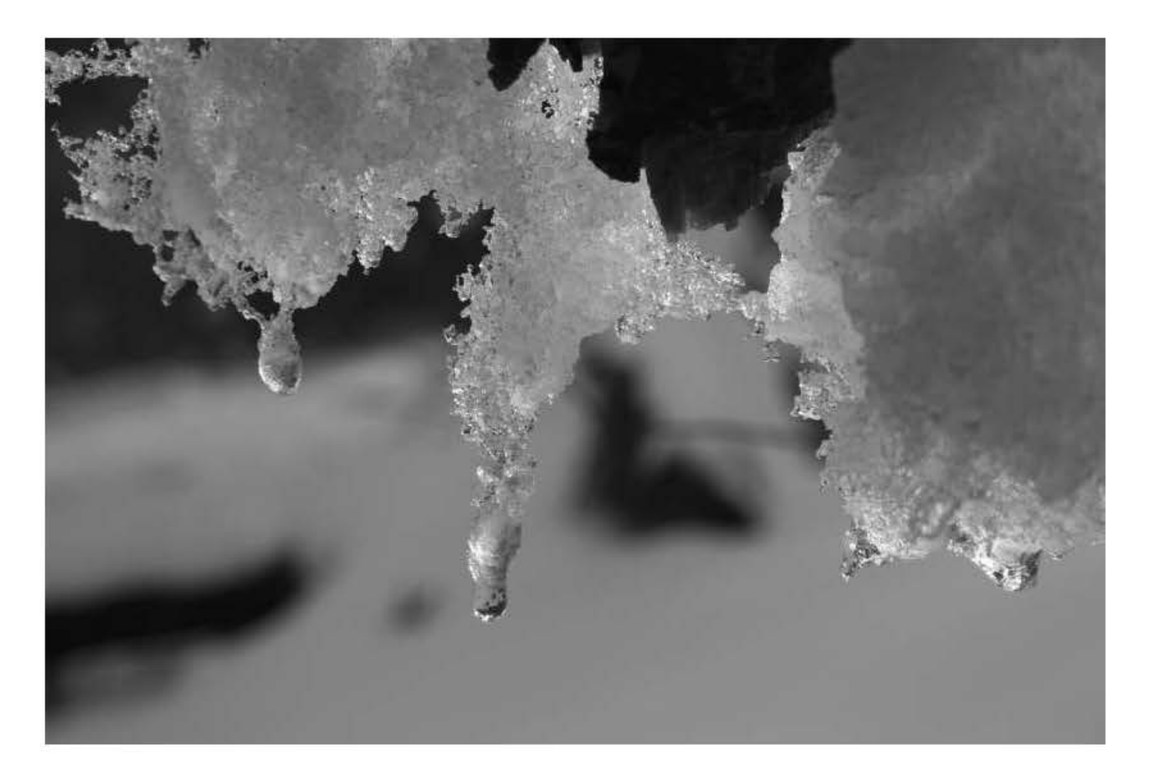
يعد الفشل مرحلة مؤقتة في حياة الإنسان وبداية لنجاحات حتمية مشروطة بقدرته على استغلال الفرص بطريقة سليمة مبنية على أسس ومفاهيم منطقية.. ولعل ديناميكية التفكير على هذا الصعيد هي التي تميز بين الإنسان الذكي القوي المفعم بالإرادة الفولاذية وذلك الذي يعدّ الضعف جزءاً لا يكاد يتجزأ منه؛ فيصنع نهايته بيديه بمطلق إرادته.. تماماً كالذي يرفض الحياة بل وترفضه هي أيضاً، إذ ليس فيها متسع لمن يظل قابعاً في جهله، مستسلماً لفشله.

أما في مجتمعاتنا الراهنة، فلا نكاد ندرك ذلك، إذ نلحظ الغالبية العظمى من الناس يغزوها الاستسلام والخضوع لكل ما حولهم حتى باتت تتخذ من الظروف ذريعة لتسويغ ما هي غارقة به من فشل وضياع...

ما أردت قوله هنا أن باستطاعتنا جميعا أن نوجه الظروف لصالحنا، بعد ذلك سيصبح الحظ لعبتنا؛ إذ ليس من المنطق أن نلقي باللوم على القدر والظروف بالمطلق، وهذا ما يؤكده «برناردشو» في قوله: يلوم الناس ظروفهم على ما هم فيه من حال، ولكني لا أؤمن بالظروف، فالناجحون في هذه الدنيا أناس بحثوا عن الظروف التي يريدونها، فإذا لم يجدوها صنعوها بأنفسهم. وأنا أقول إنه لا بد لنا أن نؤمن بالظروف التي يسخرها القدر إلا أننا نجحد قدرة تلك الظروف على السيطرة علينا والإحاطة بنا من كل جانب فينتهي بنا الأمر في دائرة مفرغة..

وُجِدَ الإنسان قادراً على التكيّف مع أي ظرف يوضع فيه إلا إذا كانت لديه تصورات مسبقة باستحالة التكيف. حين سأل الممكنُ





المستحيلَ: ما الذي يجعلك مستحيلاً..؟ أجابه: اعتقادي بأني مستحيل. وهكذا نحن يبدأ الأمر بسلسلة من الاعتقادات التي نكونها حول أنفسنا إلى أن نصل إلى ما نحن عليه..

بعد كل ذلك يصبح من السهل علينا أن ندرك أن الفشل ما هو إلا ظرف زمان منصوب بالنجاح. برهاناً على ما أقول. فالنماذج كثيرة. لنأخذ مثلا «والت ديزني» الذي أفلس ست مرات قبل أن يبدأ ببناء مدينته الحصينة «ديزني لاند»..!!

كذلك «كولونيل ساندرز» الذي لم يستسلم للفشل حين قوبل دجاج كنتاكي بالرفض. بل على العكس استمر في محاولاته الحثيثة إلى أن وصل إلى مكانته المرموقة عالمياً.. أما فورد فمن منا لا يرغب بالحصول عليها هذا طبعا بعد أن أفلس «هنري فورد» خمس مرات قبل أن يحقق هذا النجاح العظيم .

من زاوية أخرى. فإن باستطاعتنا أن نرى أن الفشل ما هو إلا صورة معكوسة من صور النجاح. أي أننا إذا أنعمنا النظر في الوجه الآخر للعملة سندرك قطعاً أن الإنسان الفاشل هو في حقيقته إنسان ناجح.. ناجح بفشله حين استطاع أن يحوّل ظروف الفشل إلى ظروف نجاح.. أي أنه تمكن من ممارسة الفشل بإتقان واحتراف عجز عن ممارسته الناجحون في نجاحاتهم وإخفاقاتهم أيضا..!

* طالبة جامعية /ك. العلوم





«لوكليزيو» ومفهوم الكتابة الإبداعية

«الربيع و فصول أخرى»

صدوق نورالدين*

يحق القول في هذا التقديم بأن القارئ العربي تعرف إلى الكاتب الفرنسي «جان ماري لوكليزيو» في زمن متقدم (١٩٩٧)، عندما أقدم الناقد و الروائي والمترجم «محمد برادة» على ترجمة المجموعة القصصية لـ«لوكليزيو»:«الربيع وفصول أخرى» (الفنك/ الدارالبيضاء)، ومهد بمقدمة مركزة رسمت صورة عن عالم الكاتب وتوجهاته من حيث الإبداع إلى رصد مواقفه بخصوص مفهوم الكتابة.

انخرط «لوكليزيو» (نوبل/٢٠٠٨) في الكتابة السردية مبكرا، في سن الثامنة كما يعبر هو ذاته، فقد كان يتعمد تأليف كتابه وتجهيزه بنفسه، على أنه في سن الثالثة والعشرين نشر أول رواية: «المحضر» (١٩٦٣)، ليحوز جائزة «الروندو» الفرنسية، و ينتخب لاحقا من طرف قراء المجلة الأدبية (١٩٦٥) «أكبر كاتب معاصر للغة الفرنسية» كما ورد في تقديم Lire محمد برادة..

يتحدد مفهوم الكتابة الإبداعية الروائية بالنسبة لـ «لوكليزيو» في اعتماده قاعدة الانفتاح على فضاءات و أمكنة متعددة، إذا ما ألحت لحضور موضوعة السفر في تجربته الإبداعية..بمعنى أن الخصوصية التي تنطبع بتأسيس القول لما يعد محليا، لا نقف عليها في هذا المسار وفق ما دلت رواية «الإفريقي» مثلا.. هذا النزوع يجعل النص الروائي يتداخل أجناسيا و ما يندرج في أدب الرحلة إلى كونه يضع التلقي أمام عوالم متعددة تحق المقارنة بينها..

إن مفهوم الكتابة في ضوء هذا، يميل من جهة إلى التعريف و الاكتشاف، و أخرى إلى المواجهة «والمجابهة مع العالم»..يقول «محمد برادة» في تقديمه: «من هذا المنظور تصبح الكتابة، عند لوكليزيو، مجابهة مع العالم، أو كما يقول: «لا تعني الكتابة الوصول إلى النرفانا (الفناء المطلق) والانفصال عن الآخرين، بل الدخول في المعركة.» (المقدمة/ص:٩).. بيد أن المجابهة المشار إليها تروم استجلاء واقع الإنسان في معاناة وجوده إلى ما يعرفه العالم من صراعات وإحباطات متعددة متنوعة.. من ثم يحق اعتبار التجربة الإبداعية لدى «لوكليزيو» إنسانية بكل المقاييس، إذا ما أشير لرهان الكتابة المؤسس على منطق الحكي و الوصف بعيدا عن التجريب الذي تقوم فيه الكتابة الروائية على حرية الاختيار التي يباين فيها «لوكليزيو» التوجهات الإبداعية المحلية على اختلاف مشاربها..

يرى «محمد برادة» أن «معركة لوكليزيو تبدأ من تشخيص اختلالات العالم ومأساة الإنسان المتجددة، ولكنها تجعل من الحل و الطبيعة وتلقائية العواطف، عناصر للمقاومة وتشييد عالم ممكن يعطي لتجربتنا معنى..»(المقدمة/ص:٩)

وتأسيسا على السابق، فكتابة الرواية لدى «لوكليزيو» هي كتابة الحياة، وفق مبدأ وقناعة الحرية، حيث انتفاء الخضوع لانتماء ما، أو لاشتراطات مسبقة ومن ثم تكمن أهمية التجربة وقيمتها..

الربيع وفصول أخرى

تجليات أسلوبية:

تتشكل بنية المجموعة القصصية «الربيع و فصول أخرى» من خمس قصص متفاوتة الطول..بيد أن اللافت كون القصة الأولى «ربيع» تتميز بنفس روائي إذ تشغل ضمن المتن ما يزيد على المائة صفحة، فيما بقية القصص متقاربة على مستوى الكم.. ومن جانب ثان فالقصص صيغت بالانبناء على ضمير المتكلم إلى كون الشخصية الفاعلة أنثى: «سابا»، «افتتان»، «زبيدة»، «زينة» و «جابي» وهو ما يخول إمكان استبدال عناوين القصص في شموليتها باعتماد الاسم العلم..

إن البناء المعتمد في هذه المجموعة يحتكم إلى نفس واحد، و كأن الأمر لا يتعلق بمجموعة قصصية، وإنما بنص روائي يتم تنويع فصوله، وإن كانت دلالات المعنى واحدة.. على أن ما يهيمن على الصوغ الإبداعي للقصص، إن لم يكن على تجربة «لوكليزيو» في الكتابة، التركيز بشكل قوي على الحكي، بعيدا عن السقوط في افتعال تجريب قد يكون خاليا من أية دلالة..لذلك يوظف فعل «كان» بكثرة بحثا عن إحاطة كلية جامعة بـ «الحكاية» التي يبغي إيصالها للقارئ علما بتأطيرها الزمني ـ ككل كتابة إبداعية ـ في الماضي، حيث الإحالات على سياقات سياسية اجتماعية وثقافية، كأن يشار إلى زمن الاستعمار وقضايا الهجرة ومشاكل الهوية:

«كانت الذكريات تتمسك بالليل، وكان ذلك قديما، كان بالأمس سيان..عندما جاء السيد والسيدة هيرشي ليسكنا بـ «لازوردي» ذلك الطابق في تلك الدار القديمة التي زال «ملاطها» قليلا والواقعة على الهضبة، كان كل شيء صامتا وفارغا.. لم تكن هنالك ذكريات.. وكانت الحياة قد توقفت في اللحظة التي صعدا فيها جسراً بآخر «الكومندان كيري» ليشاهدا ابتعاد المدينة على شاطئ البحر. (ص/ ٧٢) بيد أن ما يكسر واقعية النصوص، النزوع إلى الحلم و الأسطرة، حيث الإغراق في التخييل، إلى صعوبة الفصل بين الواقعي / الخيالي بحكم التداخل.. وهذا يتأسس على مرجعية المؤلف الثقافية الفكرية، المتمثلة في مقارناته الحضارية، فالرواية بحث أنثربولوجي يطول اللغات والعادات والتقاليد العربية والإفريقية والآسيوية، إذ نقف مثلا في القصة الأولى «ربيع» وهي النواة المختزلة لما يرد في القصص اللاحقة على معجم يرتبط بثقافة الأكل و الطعام: «كانت تقول: «هل تعلمين؟ لقد حلمت كأنني مقبلة على الموت.حلمت أن كل ما عشته سيتوقف وأنه لن يبقى شيء» (ص/٤٠)..« لم يكن قد سبق لي استنشاق مثل تلك الروائح:الكم والإبزار، والزنجبيل، والكزبرة.«(ص/٥٣) «بعض الأولاد كانوا يأتون ليجلسوا بجانبي ويكلمونني بلغتهم البربرية (تشلحيت)..» (ص/٥٤)

« وكان قد اخترع جهازا كاملا كي تكون الورود مناخاً يشبه مناخها بإفريقيا الاستوائية».. (ص/٦٥).

إن قوة الصيغة الإبداعية في كتابات «لوكليزيو» نابعة من تعدد أسفاره، وانفتاحه على ثقافات عدت هامشا، فيما نجده يوظفها لإغناء تجربته الإبداعية. من ثم سر احتفائه بالصورة الأدبية، حيث يشمل الوصف الأمكنة والشخوص والإحساسات، في توازٍ مع مكون الزمن الدال عليه عنوان المجموعة، إلى المعجم الموظف لخدمة سياقات إنتاج المعنى في النص وهو ما لاحظه الأستاذ «محمد برادة» في تقديمه..

قضايا ومشكلات:

تحفل نصوص المجموعة القصصية «الربيع و فصول أخرى» بدلالات و قضايا تبدو متقاربة في معانيها، ولئن كان الاختلاف يتمثل في نوعية الحالات الإنسانية التي يراد التعبير عنها، إلى الفضاءات التي يتم استجلاؤها علما ـ وكما سلف ـ بالتفاوت الذي يسم النصوص من حيث الطول.. تستوقفنا في النص الأول «ربيع» قصة فتاة مغربية «سابا» تنحدر من الأطلس بالضبط قبائل «زيان» فبعد فقدان الأب، أقدمت الأم على تسليمها للسيد «هيرشيل» وزوجته بغاية التكفل، بمقابل مادي.. هنا انبثقت علاقة عدائها لأمها، إلى نشدانها متعة الحرية المطلقة، وحلمها تدوين تفاصيل ما تعيشه من صراعات وجودية: «أنا من زيان»(ص/ ٣٢) «أنا لم أعد هي أنا»(ص/٢٠).

إن شخصية «سابا» من خلال النص تتوزع بين:

ـ الفقدان..

ـ الحنين..

ـ والرغبة في الحرية..

يكاد لا يختلف نص«افتتنان» مع النص السابق ففيها يرصد «لوكليزيو» حياة «الغجر» انطلاقا من أم وبنتها، من حيث رغبتهما في العيش والوجود، إلى مجابهة وصد الآخرين لهما، وكأن التواصل منعدم اجتماعيا بين فئة لها نمط وجودها الأشبه بالبدائي، وثانية تنزع إلى عزلتها بعيدا عن تمثل القيم الإنسانية: «وعند كل توقف، كانت العجوز تبرز، نصفيا من سلتها وردة اكتسحها الذبول وتقترحها على المتعشين الذين كانوا يديرون وجوههم في سأم وربما في اشمئزاز..»(ص/١٢٨) «إلى أين ذهبوا؟ كيف تريدني أن أعرف؟ لقد رحلوا إلى موضع آخر، إلى أي مكان..هؤلاء الناس لا يبقون طويلا في نفس المكان..» (ص/ ١٤١).

إن الحضاري في هذا النص الثاني، يكشف غياب الإنساني.. في النص الثالث «الزمن لا يمر» نقف على قصة حب جمعت شخصية «زبيدة» و «دافيد» الذي آثرت النداء عليه «داوود»..هذه القصة على المستوى الزمني تترسخ كذكرى ثابتة لا يمكن محوها، إذا ما ألجنا لتعقب «دافيد» الدائم لها. ثمة حب، وفي مقابله حرية يتوق إليها: «أنا دائما في الشوارع أتبع ظل زبيدة لأحاول الكشف عن سرها..»وفي النص الموسوم بـ زينب»، تطالعنا شخصية فتاة يهودية تحكي معاناتها وتمزقها الذاتيين بعد فقدان الأب والأم، والتعلق بـ«طومي» أو «غزال» كما تفضل تسميته.. وفي هذا النص نحس وكأننا بصدد حكي سيرة شخصية أنثوية مختزلة في قصة قصيرة.. وينتهي النص بموت «زينب» بعيدا عن إقرار ذلك: «كانت زينب جد غريبة كأنما خرجت من البحر». (ص/ ١٦) «كان الفراغ بصدد التهامها».(ص/١٩٢).

وتحضر في النص الخامس والأخير «موسم الأمطار» شخصية «جابي كيرفيرن» الآسيوية، والتي تهاجر إلى فرنسا ويفتن بجمالها «جان».. هنالك تعيش ظروفا قاسية بعد إنجابها ابنا، وسقوطها صريعة مرض أودى بحياتها: «هكذا أتصورها، بالغة الجمال، جذابة، ترتدي فستانها الخفيف من القطن الأزرق ذي الياقة البيضاء الذي زينته بحزام اشترته خلسة من بازار بور لويس وشعرها الأسود في شكل عقيصة وقد وضعت فوقه قبعة من القش متسعة الأطراف».(ص/ ٢٠٠) «ما بك؟ هل أنت مريضة؟ كان يسأل جان.. (ص/٢١٢) «ماتت بدون ضجة عندما كان نائما على سرير المخيم إلى جانبها». (ص:٢٤٠/ ٢٤١)

المعنى المشترك

إن ما يمكن ملاحظته عن المعاني والدلالات المستجلاة، كونها تنحو منحى الإيقاع الواحد.. يتحقق التنويع بتحديد هوية الانتماء: مغربية، يهودية، غجرية وآسيوية.. وإلى الهوية تمثل شخصية الأوروبي المنفتح على العالم، حيث العلاقات المبنية على التسامح والحرية، والتأسيس لمظهر من مظاهر الحب والتعامل الإنساني..بيد أن اللافت السمة التعددية للاسم العلم سواء العربي أو الأعجمي، فالشخصية تحمل أكثر

من اسم. وكأن إرساء هوية واحدة غير ممكن..
على أنه بالإضافة لهذا.يستكشف الإنساني انطلاقا من ا لمعاناة:

الاجتماعية:

حيث تحضر الطفولة بما تحسه من فقدان حقيقي يتجسد في وفاة الأب. الأم. أو هجرة طرف عن الآخر داخليا أو خارجيا..ومن الممكن أن يكون الفقدان رمزيا يعكسه الحنين إلى الأصل..

الاقتصادية:

وتطالعنا في سياق الرغبة في تأكيد الوجود والحياة. حيث البحث عن أسباب العيش وفق مختلف الأساليب..

الثقافية:

وتختزل البعد الثقافي الفكري. والنزوع للتعبير. إلى الحرص على القراءة والمتابعة..

العاطفية:

وتتجسد في الحب. بما هو الحياة.. فالقصص في شموليتها تستحضر موضوع الحب بوصفه رغبة إنسانية في / ولتأكيد الذات.. فالحب هو التعويض الفعلي عن الفقدان..

في الختام:

إن مجموعة «الربيع وفصول أخرى» ترسم صورة دقيقة متكاملة عن مسار إبداعي لكاتب فرنسي «ج.م.ج.لوكليزيو». اختار الرهان على الإنساني مادة والحكي الوصفي الشعري صياغة. وهو ما أكسبه فرادة متميزة دلت عليها حيازته «نوبل/ ٢٠٠٨» في الآداب...

* كاتب من المغرب







الأفكار الصوفية في الأدب الباكستاني

أ.د عبد الرزاق عبد الصمد صابر*

إن للتصوف الإسلامي أصوله في القرآن الكريم؛ فكلمة صوفي مشتقة من المصطلح «صوف» و«صحافة». وكانت «الصحافة» فرقة من المسلمين متفرغة لأداء الصلاة والتأمل، وكانت العبادة وتهذيب النفس شغلهم الشاغل. وعلى مر القرون أصبحت «الصحافة» ترمز للرجال الأتقياء، الذين يُعرفون اليوم الآن بالصوفيين.

لم يكن في الصوفية مكان للتطرف، وفي تاريخ الصوفية الإسلامية القديمة كان الإنسان يهتم بأن يكون صوفياً بالتماس القرب من الله وذلك باتّباع منهج الإسلام كما هو في القران الكريم والسنة النبوية الشريفة. كما أنّ المتصوف هو من أصلح نفسه وهذبها بابتعاده عن رغد العيش ورفاهيته وجعل تفكيره صافيا.ولكن الصوفية تغيرت مع الأيام، فظهر تغيرٌ كبير على التصوف على يد (ابن عربي) المتصوف العالم الإسلامي.

وتُعرف أرض باكستان الجميلة بـ« أرض الأولياء والشعراء الصوفيين»، وبسبب الصوفية فإن بعض مقاطعات وأقاليم البلاد تسمى «بلاد الحب والسلام». كما أنّ الصوفي له أتباع كثيرون من المسلمين وغير المسلمين على حد سواء، وغالبية السكان في باكستان هم من المسلمين، لأنّ الإسلام هو العقيدة الأساسية في البلاد. أما الأدب الباكستاني فغنيٌّ بالأفكار الصوفية والشعر الصوفي.

الشاعر شاه عبد اللطيف بهتاي (١٦٨٩-١٧٥٢) كان من الشعراء الصوفيين بلغة (سندهي)، وديوانه الأكثر شهره (شاه جو ريسا لو)، وقد أحبه الناس وقدروه واحترموه من كل مكان مرشداً روحيّاً صوفيّاً. ويقع ضريحه في بلدة بهيت شاه، في سنده بباكستان، وتزور ضريحه المئات من الناس كل يوم. وقدا ستشهد شاه بهتاي في شعره بآيات كثيرة من القرآن الكريم، وعرض شعره

طريقة الإيمان في التصوف الإسلامي، وتناول الحب الإلهي متصوفاً بالحب. وقد اهتم أيضا بتشبيه الجمال والعطف واللطف والحنان الإلهي.

واستخدم في شعره رموزا مختلفة موجودة في حياتنا اليومية يألفها الإنسان:

«جسدي هنا وقلبي معك يا الله

لن يصيبنا من ضر إلا ما يرد ..

إلا ما يرد... لم يلد ولم يولد...

حبه فيك لا تنشده في القريب والبعيد...

فهو أقرب إليك من حبل الوريد...

فنفسك تحول بينك وبين حبك، كسياج عتيد.

إن كنت تبحث عن الله

فليس كمثله شيء

فمن كان منهم قد رأى الله

فهو في الحاد....

ومن لم يره في الدنيا

فكيف سيرونه يوم التناد؟!».

وكان الشاعر بابا بلي شاه (١٦٨٠-١٧٥٨) شاعراً صوفياً مشهوراً كتب بلغة بنجابي وسيريكي في باكستان. وكان يسمى عبد الله شاه فأصبح اسمه «بلي»، وقد كانت عائلته متدينة؛ فأبوه رجل دين. وكان من أتباع انيات شاه، وهو صوفي على الطريقة القادرية.

نظم بلي شاه الكثير من الشعر بلغة البنجابي والسيريكي، وكان أسلوبه في الشعر يدعى (كافي). يقع قبر بابا بلي شاه في (قصور) في باكستان، وله احترام وتقدير في إقليمي سينده وبنجابي. وفي شعره الصوفي وصف رؤية الصوفيين للدنيا، والفكرة العامة في شعره مشابهة للمفهوم العام لله تعالى . وقد لاحظ أن هناك تغيرات أساسية تحدث في المجتمع من حوله.

«ياصاح إن التراب في اضطراب....

فانظر للاختلاف.

فالأرض هي الفرس والأرض هي الخيال...

والتراب يطرد التراب...ونسمع صرخة التراب...

والتراب يقتل التراب من أسلحة من تراب

فالتراب وبكثرة فيه تكبر...

فالتراب هو البستان والتراب هو الجمال

والتراب يعجب بالتراب في كل أشكاله العجاب.».

أما الشاعر خواجه غلام فريد (١٨٤٥-١٩٠١) فهو أعظم شاعر روحي بلغة السيرايكي. وقد ولد في عام ١٨٤٥ ميلادي، في كت ميثان في بنجابي لعائلة عربية مستوطنة كانت قد جاءت إلى البلاد مع الجيوش العربية. وكان قد نظم بيوتا من الشعر بأسلوب (كافي). وكان مطلعا على سبع لغات: العربية والفارسية والأوردو والسيرايكي والسندهي والهندية والسنسكريتية.

عاش حياة نقية ونذر نفسه في سبيل هدي النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وفي شعره يأخذ القارئ أو السامع من خلال شرح أحوال الصوفية في وصف أخّاذ عن حياة المرء اليومية. ونتيجة لذلك فإن تعابيره

الصوفية في الاحترام والمودة والتواضع زادت من عدد تلاميذ الصوفية.

وكالصوفيين الآخرين في شبه القارة، فإن حلمه جعله ذا مكانة بين المسلمين وغير المسلمين حتى يومنا هذا. ويزور الآلاف ضريح خواجه فريد في ذكرى وفاته.

يتكلم فريد في شعره عن الحزن الذي ينتابه بسبب الابتعاد عن الله تعالى و حبيبه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فهو لا يعتقد أن نفسه بعيدة عن غايتها، ولكنه يشعر أحيانا بالابتعاد الكبير ولذا فهو يجهش بالبكاء. ويتغنى بمتعة الحب الذي يجعله قريبا من خالقه، ولكن من خلف ستار بينهما.

يقول:

«لمحة المحبوب تقتل..

والشعر الداكن يتدفق

وظل العين سواده شديد....

تقتل الحبيب ولا تعتذر..

فوقفت على الأطلال أرقب من بعيد....

فلما بان الحبيب رميتُ بسهم سديد

فقلبي موطن الآلام والأسى ..

وعشت في عالم الدموع أنا فريد.».

كان الشاعر عبد الرحمن بابا أشهر شاعر صوفي بلغة (الباشتو)، وقد كان أعظم شاعر في تاريخ أدب الباشتو. وقد ذكر بعض علماء الباشتو أن عبد الرحمن كان على طريقة (النقش بندي) الصوفية. وهو أحد زعماء طرق التصوف في الإسلام. وكان قد أخذ علوم الدين عن أبناء بير بابا وهو رجل دين مشهور.

كان لعبد الرحمن شخصية جذابة. هجر في شعره ملذات الدنيا ملتمساً رحمة الله.

يروي في شعره الطريقة المثلى للعيش بواسطة الإسلام، وعاش حياة عزلة ولم يرغب أن يزعجه أحد عند أداء الصلاة، ما أدى به إلى كتابة الكثير من الشعر فيه تمجيدا له، ومن خلال فهم دينه كتب شعراً رائعاً جعله ذا شهرة في فترة زمنية قصيرة.

أصبح معروفاً ومحترماً بين البشتون في باكستان وأفغانستان. وقد وجد العلماء الدينيون المعنى الحقيقي للحياة في شعره. استخدم القادة السياسيون والوطنيون أشعاره لأهدافهم الخاصة، واستعمل الموسيقيون أشعاره في أغانيهم. وقد حصل على لقب بابا (أي الأب الكبير للأمة) بسبب شعبيته الكبيرة. يعطي الشاعر عبد الرحمن بابا في شعره المعنى الحقيقي للحياة من خلال حب الله وكرامته. وقد ركز في شعره على الجمال والعظمة الخالدة لله والتي هي بالنسبة له هي حب الله.

يقول:

«عش في دنياك دون تكبر....

فالعاصفة مرت ولن تأتي...

ولن تعيد الوقت المبدد المبعثر.....

فاعرف الخير وانفر من الشر.....».

يعد مست توكلي شاعراً صوفياً مشهوراً بلغة البالوشي في باكستان، وهو أعظم شاعر صوفي في القرن التاسع عشر. كان شعره يتناول معاناة الإنسان العادي وقد سطر رسالة للإنسانية وللحب والسلام. كان

يقضي وقته بالتجــوال في الجبال والصحاري القاحلــة مع علمــاء الديــن أو الفنانين وبمرور الوقت. ومن خلال خبرته وإدراكه اعتاد توكلي أن يقدم أبياتاً شــعرية لتســلية من يستمع إليه. وبالتدريج امتزجت أشــعاره بالصوفية. أجبــر مســت توكلــي علــى المشــاركة في العداء القبلي ولكنه اســتل ســيف العقل؛ فالحب والكره لايجتمعان. فبين أن التســامح والترابط والوحدة أفضل من إراقة الدماء بين الناس. كان شعر مست توكلي أكثر ضخامة من باقي شــعراء التصوف في شــبه القارة. وكان ذا شعبية كبيرة بين شعب (البالوتش)

يعــد تــاج محمــد تاجــل أشــهر شــعراء التصــوف بلغة البراهوي. فقد عرف شــاعراً وعالماً صوفيــاً. نظم بلغة تاجل براهوي ولغة ســندهي. وهــو لــم يبتكــر أفــكاراً صوفية في براهوي حســب بــل ابتكر شــعراً صوفياً مقتبســاً من أســلوب «الكافي» في براهوي. كما أنه ينتقد في شــعره ضيق أفق العلماء الدينيين:

«دع الملا وكازي يشتكي....

فهم ليسوا نقيين كامرئ عابد.....

فهم يظنون ويشكون. وفي يوم الدين...

سيخجلون من إلههم الواحد...».

* أستاذ جامعي ـ ك.اللغات الأجنبية

المراجع

١.د-صابــر عبــد الرزاق. تــاج محمد تاجل شــاعر صوفــي فــي بلوشســتان. صحيفــة بحثيــة كل عامين «بلوشســتان ريفيو» بواسطة مركز دراسات بلوشستان. جامعة بلوشستان.كويتا.

٢ .ماري. صحاح محمد «مست توكلي» الأكاديمية الباكستانية للكتب. إسلام آباد.

٣. ديوانــا: عبد الرحمن «مترجم إلــى الأوردو» أمير حمزة شنواري. باشتو. بكلية الباشتوبشاور ١٩٨٧.

٤. شــاه جو راســالو. ترجمة شــيخ عيــز. مجلس سندهي آدابي. حيدر ابادسينده.





«الحبّ في المنفى» لبهاء طاهر

حب في الغربة.. أم غربة في الحب..

وردة كنوت*

«عندما تقرأ عملا روائيا فأنت تدخل في صميم عالم يتجاوز السياسة والاجتماع إلى جوهر وعمق الأشياء جميعا..»، هذا ما قاله بهاء طاهر، وهذا تماما ما شعرت به في قراءتي لرائعته «الحب في المنفى»، التي نالت جائزة أفضل رواية سنة ١٩٩٦م.

يقول عنها بهاء طاهر: (لهذه الرواية قصة طويلة، استغرقت كتابتها عشر سنوات أو أكثر، ولكن لم أكن أكتب بشكل دائم. بدأت فيها بعد «صبرا وشاتيلا»، كنت مهزوزا بعنف ومنفعلا من هذه المذابح، ولكني قلت: من الافتعال أن أكتب عن تجربة لم أشاهدها ولم أشارك فيها، فتوقفت وبقي بداخلي- رغم ذلك- شئ يلح علي أن أكتب لأسدّد دين هؤلاء الشهداء.

كتبت في هذه الأثناء «أنا الملك جئت»، و«قالت ضحي»، و«خالتي صفية»، وبقيت «الحب في المنفى»، ظللت أعود إليها أنظر فيها وأتركها وهكذا، كنت قطعت في منتصف عام ١٩٨٤م حوالي سبعة فصول منها (وهي أحد عشر فصلا) فقال لي صديقي العزيز مكرم محمد أحمد: «هات حاجة ننشرها» وأخذ هذه الرواية - رغم أنها لم تكتمل-. قال: «سأنشر سواء أكملت أم لا». قلت له: «كيف؟!» قال لي: «سأكتب إلى هنا ينتهي الجزء الأول من الرواية وأنت أكمل براحتك».

«واستفزتني الحكاية، فكنت أكتب فيها وهي ما زالت تنشر. هكذا كتبت فصولها الباقية».

تحكي الرواية قصة رجل قاهري من الناصريين طردته مدينته للغربة في الشمال بعد أن تولى منصبا عاليا في الجريدة الثورية -أو التي كانت ثورية- ليصبح مراسلا لصحيفة في القاهرة لايهمها أن يراسلها؛ فهي تنشر ما يرسله إليها - إن نشرته - بعد أن تختصره وتخفّفه وتؤخر فقرات وتقدّم أخرى بحيث لا يفهم القارئ ما الذي حدث بالضبط ولا ما هي الحكاية.

ابتدأت الرواية بذكر مشهد يستدعيه الراوي من الذاكرة وهو يسرد علينا حكايته، يوهمنا المشهد بأن الرواية عاطفية «اشتهيتها اشتهاء عاجزا، كخوف الدنس بالمحارم كانت صغيرة وجميلة وكنت عجوزا وأبا ومطلقا.. لم يطرأ على بالي الحب».

أو أننا إزاء تعارض الأنا (العربي) والآخر (الأوروبي)، « كنت قاهريا، طردته مدينته للغربة في الشمال، وكانت هي مثلي أجنبية في ذلك البلد، لكنها أوروبية وبجواز سفرها تعتبر أوروبا كلها مدينتها».

ولكن ما إن نمضي في رواية بهاء طاهر حتى نكتشف أن للرواية زاوية أبعد من هذا، وأنّ هناك بعدين للرواية، البعد الذاتي والبعد الموضوعي.

تعددت شخصيات الرواية وتكدست بالسير الذاتية والأحداث الخاصة لمعظم شخصياتها، (البريجيت وللدكتور موللر، ولإبراهيم الماركسي، وليوسف الذي باع نفسه للأمير الخليجي ولزوجته إلين ولألبرت الإفريقي زوج بريجيت الذي ارتد أخيرا ولوالد بريجيت، ووالد وأم إبراهيم، وللأمير الخليجي، ولدافيديان اليهودي المتعاون معه في صفقات تجارية ومشروعات مريبة، فضلا عن بيدرو المواطن الشيلي الهارب من التعذيب بعد مصرع أخيه فريدي، هذا إلى جانب شادية مطلقة إبراهيم، ومنار مطلقة الراوي وابنه خالد وهايدا، وبرنار الصحفي التقدمي وابنه الذي يتاجر في السلاح للأفريقيين).

إلا أن البعد الموضوعي الذي يمثل جوهر الحكاية يتمثل بفشل التجربة الناصرية القومية، وانتصار الثورة الساداتية المضادة، وأزمة تضعضع التجربة السوفيتية الأممية، ويحكي أحداثًا بعينها مثل العدوان الصهيوني على بيروت ومجازر عين الحلوة وتل الزعتر، وتحول استقلال البلاد الإفريقية إلى دكتاتوريات تابعة وتفاقم العنصرية في أرقى البلاد الأوروبية، وانتصار الفاشية في اسبانيا،وأنهار دماء الشيوعيين الجارية في أندونيسيا، وجرائم التعذيب في شيلي، ومحاولة دفن النفايات الذرية الأوروبية في الصحراء المصرية، وصمت الصحافة الغربية عن جرائم الصهاينة في فلسطين، وتواطؤ أمريكا مع القوى الرجعية في العالم وسعيها للهيمنة.

الحب في المنفى والغربة.. أم الغربة في الحب..

لقد اختار بهاء طاهر «الحب في المنفى» عنوانا لهذه الرواية، ولكن لعلها لا تعبّر في جوهرها وبنيتها وشخصياتها وأحداثها وواقعها الموضوعي التاريخي عن حب في الغربة: فالحب في هذه الرواية هو نفسه الغربة، لايصادفنا حب خالد في هذه الرواية، أو بعبارة أخرى لا يصادفنا حب إلا وقد باء بالفشل المعلوم مسبقا، وما يتمناه البطل هو أن تتأخر لحظة النهاية بالمجيء، بقوله: «دع هذا اليوم يمر ببطء».

إن الرواية تعبر عن الغربة في الحب وليس الحب في الغربة «لا مجال لحب حقيقي وفرح حقيقي وسط هذا العالم الشرس الأكذوبة..» هكذا تقول الرواية.

وهي تلقي اللوم على العالم وتدينه، ولعلها عبرت عن ذلك على لسان إحدى شخصياتها تعبيرا ميتافيزيقيا على لسان المتنبي في قوله «أطاعن خيلا من فوارسها الدهر»، على أن العالم المدان في الرواية ليس الدهر

أو القدر بل هـو الواقع المحض الذي يتمثل في الصهيونية والرأسـمالية العالمية والهيمنة الأمريكيــة والأنظمــة الرجعيــة التابعة في بلـدان العالـم الثالـث، وفي مختلـف أنحاء عالمنا المعاصر.

* البطولة لهذا الشرس..

والشـخصيات المذكورة بإجمال أو تفصيل ليس لأحـد منها بطولة فردية في الرواية، أي أن العالـم بأسـره هو ما يلعـب دور البطولة هنا، الرواية ليسـت رواية شـخص بعينه أو بلـد محـدد؛ فالشـخصيات فيها تنتسـب لأكثر من بلد، ليست لمصر وحدها، أو للعالم العربي، وكذلك الأحداث والمآسي تنتسب في الرواية لأكثر من بلد، إنها تنتسـب إلى مصر وفلسـطين المحتلـة وصبـرا وشـاتيلا وبيروت وبلجيكا وبلغاريا وإسـبانيا وروسيا وإفريقيا وتشيكوسلوفاكيا وأندونيسيا والمجر وفيتنام وإيران والعراق وأمريكا والخليج.

كما أن أسماء من التراث القومي والفكري والسياسي والأدبي والنضالي والإنساني عامة تبـرز في هذه الرواية؛ من طرفة بن العبد إلى أمل دنقل إلى المتنبي إلى ساطع الحصري إلى جميلـة الجزائرية إلى لومومبا إلى بيكاسـو إلى مالـرو إلى لوركا إلى نيرودا إلى جيته إلى عبد الناصر إلى السادات إلى بيجن.

خيط من نور ..

مع وجود الهزيمة الروحية واليأس والهبوط في شخصيات الرواية، إلا أن بصيصا من الأمل والقـوة لا يخفـى أيضا، فنرى فيهـا إبراهيم الـذي كان يحلم أن يصبـح صحفيا، يتحول إلى عميـل للأمير الخليجـي، وإلبرت المناضل ضـد الدكتاتـور الإفريقـي ماسـياس تدفع بـه العنصرية في النمسـا إلى الاستسـلام والعـودة إلى بـلاده خادمـا لهـذا الدكتاتور، وبيدرو المواطن الشـيلي الهـارب من تعذيب الحكـم الدموي في شـيلي والذي يتحول إلى تاجر صغير من تجار المخدرات.

فضلا عن حالة العجز العامة من مواجهة هذا الأخطبوط العالمي الشرس..

لكننـا فـي مقابل هـذا نسـتطيع أن نرى بوضوح خيط النـور؛ فهذا والد بريجيت الذي يناضل للكشـف عن الشـباب الذين تسـببوا فـي قتـل طفلها، ومثـل برنار الـذي يتحدى الظـلام والتّواطؤ السـائد، ويفضـح الجرائم الصهيونية الأمريكية، بل نجد الراوي يقول عن إبراهيم: « إنه مثلي، يتشـبث بيقينه لكي لا ينتهي عالمه، لكي لا يضيع الحلم الذي دفعنا ثمنا له عمرنا بأكمله».

كما نجـد الراوي يرفـض التعامل مع الأمير الخليجي المريب، ونجده يحضّ ابنته على رفض الطريـق الديني المتعصب الذي سـقط فيه أخوها خالد.

ونجد إبراهيم في لبنان يعيش في قلب المجزرة، لايتوقف رغم مرضه عن المطالبة بالعمل من أجل فضحها في مواجهة التعتيم الإعلامي، وكذلك الأطبـاء المتطوعون من أنحاء العالم للدفاع عن حقوق الإنسـان، والممرضة ماريان أريكسـن البلجيكية والصحفـي الأمريكي رالف وفضحها للجرائم الصهيونية والتواطؤ الأمريكي فـي عين الحلوة وفي تل الزعتر.. إلى غير ذلك.

جمالية السرد..

تزينت الرواية بحلى الطبيعة، بسماتها الصيفية والخريفية التي تبعتنا في فصول الرواية جميعها «كانت الغابة رطبة وهادئة والأوراق الجديدة التي عادت تكسو الأشجار منذ وقت قليل زاهية الخضرة، تكاد تكون شفافة.. تتجمع في قبة هشة ناعمة تحركها الريح الخفيفة فتتسرب أشعة الشمس من بين ثقوبها المتناثرة، موجات صفراء تسبح بسرعة فوق الحشائش ثم تختفي لكي تعود كالمفاجأة. وكانت تلك الموجات المتتابعة تنير في مرورها الزهور البرية الصغيرة الصفراء والبيضاء التي تزخرف الأرض في الصيف..».

كما تتزين بدقة الوصف والتصوير في رسم مشاهدها عامة، ففي وصفه لما حدث في بيروت على لسان الصحفي إبراهيم يقول: «توجد جبال من الجثث. ويوجد ملايين من الذباب. الذباب مازال يغطي عيني، وتحت جلدي رائحة الموت..

رأيت زينب مقداد. كانت حاملا في شهرها الأخير. شقوا بطنها وأخرجوا منه الجنين. مزقوا أطرافه ووضعوا ساقيه وذراعيه وجسده على شكل دائرة على صدر أمه.. وضعوا رأس الجنين وسط الدائرة وكان الدم متجلطا وكان الدود والذباب يأكل في الرأس المبتور..»

يتابع طاهر على لسان الراوي «تقيأت على الفور. خرج كل ما في جوفي دفعة واحدة.

سمع إبراهيم سعالي وشهقاتي فأجهش بالبكاء لأول مرة».

ويختتم الرواية بمشهد مثير يأتي على لسان الراوي، يقول: «لم أكن متعبا. كنت أنزلق في بحر هادئ.. تحملني على ظهري موجة ناعمة وصوت ناي عذب.

وقلت لنفسي: أهذه هي النهاية؟ ما أجملها! وكان الصوت يأتي من بعيد. كان الصوت يكرر يا سيدا!.. يا سيدا!.. ولكنه راح يخفت وراح صوت الناي يعلو.

وكانت الموجة تحملني بعيدا.

تترجرج في بطء وتهدهدني.. والناي يصحبني بنغمته الشجية الطويلة إلى السلام والسكينة».

هكذا ترتفع جمالية السرد عند بهاء طاهر في بعض المواقف إلى أفق الشعر الصافي ذي العمق الدرامي.

---

* طالبة جامعية/ ك. الآداب



فيكتور هوجو

الشغوف بالحرية.. الثائر على الموت

أقلام جديدة

منذ أن نشأ أمير الأدب الفرنسي وتآلفت يده مع قلم الإبداع الأدبي وهو يعرض صوراً رائعة متكاملة للتضحية من أجل الحرية والوقوف في وجه العدوان بكل صوره، وفي كل أعماله ومنجزاته الأدبية ظل يرسم رمزاً واضحاً طيلة تسعة وخمسين عاماً من وجوده في الساحة الثقافية العالمية، فاستحوذ على قلوب الشعوب المتعطشة للحرية وملك أفئدة النقاد التواقين لأعمال أدبية تخرج عن المألوف.

ولد هوجو في بيزانسون في إقليم دوبس شرقي فرنسا عام ١٨٠٢ وكان أبوه يحمل رتبة كونت على الأسطول الفرنسي في فترة الغزو الفرنسي لأسبانيا، ونظراً لطبيعة عمل والده فقد كانت أسرة فيكتور هوجو دائمة التنقل.

أرسله والده إلى المدرسة في إسبانيا، وكانت هذه الفترة كما يصفها هوجو فيما بعد من أقسى فترات حياته لا سيما بسبب ذلك الأحدب الذي كان يوقظ الطلبة كل صباح والذي اشتق منه هوجو فيما بعد شخصية « أحدب نوتردام» وأيضاً بسبب صبيين كانا يضربانه كلما وجدا فرصة لذلك. وقد اشتق من أحدهما شخصية مجنون كرومويل في مسرحيته الشهيرة «مجنون كروmويل» ومن الآخر شخصية جوبتا البغيض في روايته « لوكريس بورجيا » وبعد ذلك عاد إلى باريس حيث كان والده يأمل في أن يدرس ابنه الهندسة ولكن الابن « فيكتور » رفض ذلك وصرح باستحالة إمضاء حياته بين الأرقام والمعادلات الرياضية خاصة مع ميله الكبير للشعر، ولذلك ترك الهندسة واتجه لدراسة الحقوق وتلقى تعليماً جيداً في الأدب اللاتيني فعاقبه أبوه بقطع المعاش الشهري الذي كان يرسله له ولذلك اضطر هوجو أن يعتمد على قلمه ليكسب رزقه .

وعندما عاد إلى إسبانيا كان ما يزال يذكر زميلته أديل التي كان يميل إليها أيام الدراسة، فتقدم لخطبتها ولكن والدها رفض

بســـبب أوضاعه المادية فصدمه ذلك، وكتب رائعتــه « هان ديزلاند »، وفيهــا يصف حياته هو وأديــل وبعدها رق قلب والدها لهما ووافق على الارتباط. وقد قرأهـــا الملك لويس الثامن عشـــر وأعجب بها فقرر راتباً سنوياً لفيكتور هوجو مقداره ألف فرنك فرنســـي، فســـاعده ذلك على إتمام زواجه عام ١٨٢٣.

وفي عـــام ١٨٢٤ توفي لويس الثامن عشـــر وخلفه أخوه شـــارل العاشـــر ودعا هوجو إلى حفل تتويجـــه فكتب قصيدةً بعنوان «تتويج شـــارل العاشـــر »، أعجبت الملك شـــارل فزاد راتبه السنوي.

قيـــل إن هوجـــو تأثر بالشـــرق كثيـــراً؛ فقد قـــرأ التـــوراة والإنجيل والقرآن الكـــريم وترجمة ألف ليلة وليلـــة، وذُكر أيضاً أنه قرأ عن تاريخ الإســـلام، فتأثر بذلك كله وأصدر ديواناً سمّاه (الشـــرقيات)، وقـــد ترجمهـــا الأســـتاذ أحمد حســـن الزيات في مجلة الرسالة، وقد احتوى هـــذا الديـــوان البديع علـــى ٢٢ قصيدة منها: (ضوء القمـــر) و (الســـلطانة المفضلة) و (نور الصهبـــاء) و (وداع الفاتنـــة العربيـــة) و (مـــن ربـــوع الأندلـــس) و (كناريس) و (نـــوار) و (رووس السـراي).

وطالـــب هوجـــو فـــي مقدمة مســـرحيته كروموبل (١٨٢٧) بتحرير الكُتّاب المســـرحيين مـــن القواعـــد الأدبيـــة الصارمـــة. وأصبحت مقدمـــة هـــذه المســـرحية بمنزلة إعـــلان عن ظهور الرومانسية الفرنسية. ويعدّ الدارسون مســـرحيته الشـــعرية هرنانـــي (١٨٣٠) بداية الحركـــة الرومانســـية فـــي فرنســـا بســـبب خروجهـــا المتعمَّـــد علـــى التقاليـــد الدرامية ورغم نجاحها الباهر إلا أن هوجو عزل نفســـه عن العـــالم وأودع ملابسه الخارجية في خزانة ليكتـــب رائعته الروائيـــة «أحدب نوتردام» عام ١٨٣١ .كتـــب هوجو أيضاً فـــي مجالي الرواية والشـــعر منها: الشرقيات ١٨٢؛ أوراق الخريف، ١٨٣١، أغاني الشـــفق، ١٨٣٥ الأشعة والظلال ١٨٤٠ .

قلـــل هوجو من نشـــاطه الأدبي، وتوجه إلى العمل في السياســـة إثر فشـــل مسرحيته حُماة القلاع وغرق ابنته وزوجها. ومرت عشـــر ســـنين دون أن ينشر شـــيئا بالرغم من أنه لم ينقطع عن الأدب.

كان هوجو سياســـياً محافظا في شـــبابه لكنـــه تحـــول إلـــى الليبرالية مع الزمـــن. وقد انتخب في الجمعية الوطنية التي تأسســـت عقب ثورة ١٨٤٨م لإقامة الجمهورية الثانية في فرنسا ووصل أيضاً لرئاسة الحزب الاشـتراكي اليساري. ومن خلال مواقعه السياســـية ناضل هوجـــو مـــن أجل التعليـــم المجانـــي، ومن أجل إعادة النظر في حقوق الانتخاب، ساند هوجو في البدايـــة لويس نابليون رئيـــس الجمهورية ولكنه ســـرعان ما عارضـــه عندما أحس بأنه بدأ يتحول إلى طاغية.

أطـــاح لويـــس نابليـــون بالجمهوريـــة فـــي ديســـمبر عام ١٨٥١م، ونصب نفسه دكتاتوراً بلقـــب الإمبراطـــور نابليون الثالث، وبســـبب رفـــض هوجـــو واحتجاجه على هـــذا النظام، فقد اضطر إلى الهرب خارج فرنسا، وبقي في منفاه ما يزيد على عشرين عاماً، ورفض دعوة من الحكومـــة عام ١٨٥٩م للعـــودة إلى وطنه حيث صـــرح بأنه لن يعود إلا مـــع عودة الحرية إلى فرنسا.

ونشـــر هوجو خلال فترة نفيـــه العديد من الأعمـــال التي تعد مـــن أفضل مـــا كتب من أمثال ديـــوان تأملات ١٨٥٦الـــذي يحتوي على

أفضل شعره الغنائي، وأسطورة القرون (١٨٥٩) الذي أضاف إليه أجزاء أخرى في عامي ١٨٧٧ و ١٨٨٣م، وتعد هذه المجموعة رائعة هوجو في الشعر الملحمي، كما كتب رواية البؤساء عام ١٨٦٢.

وعاد إلى فرنسا في عام ١٨٧٠ بعد سقوط حكم نابليون الثالث كرجل دولة وأديبها الأول، وقد انتخب نائباً عن باريس في شباط من عام ١٨٧١ ولكنه استقال في آذار بعد وفات ابنه شارل.

وألف هوجو عبر مسيرته الأدبية الطويلة التي تزيد على ستين عاماً عدداً كبيراً من الأعمال الأدبية المهمة. وقد عرفه الشعب الفرنسي أثناء حياته كاتباً مسرحياً، إلا أنه اشتهر في بريطانيا والولايات المتحدة كاتباً روائياً، بينما يعده الفرنسيون اليوم عملاق الأدب لروعة ما أنتج من الشعر.

نظم هوجو ألواناً مختلفة من الأنماط الشعرية منها الشعر الملحمي والغنائي والساخر والمرثيات والأغاني. وغالباً ماكان يمزج هذه الأنماط في ديوان شعر واحد أو في قصيدة واحدة كما يظهر ذلك جلياً في ديوان العقوبات. أما في ديوانه تأملات فإن هوجو يفصح عن العديد من معتقداته الفلسفية والدينية، وفي ديوانه أسطورة العصور يتبع هوجو التطور التاريخي والروحي للإنسانية منذ بدء البشرية حتى مطلع القرن العشرين.

أما فيما يتعلق بمسرحياته، فقد استخدم العديد من الصور الميلودرامية كالحبكة المعقدة غير الواقعية، والعطفة الجانحة، واللغة المنمقة، إلا أن مسرحياته هذه تسمو عن الإثارة لما فيها من مواقف أخلاقية وسياسية إلى جانب استخدامه الرفيع للشعر.

وقد كُتب لروايات هوجو الانتشار والديمومة لما تحويه من دروس أخلاقية واستحضار حيوي للتاريخ. وقد جعلت رواية أحدب نوتردام من هوجو سيد الرواية التاريخية، فأحداثها تجري في القرن الخامس عشر الميلادي في باريس. ومثلها رواية ثلاث وتسعون (١٨٧٤)، التي تعالج أحداث الثورة الفرنسية، ورواية البؤساء التي تتخذ من أحداث التاريخ الفرنسي في عهد هوجو قوامًا لها. والتي يَعبِّر فيها هوجو بوضوح عن مشاعره الإنسانية وإيمانه بالديمقراطية.

وقد تراجعت شهرة هوجو كاتبًا مرموقًا بعد وفاته. فقد اعتقد كثير من النقاد أن أفكاره كانت سطحية، وأن أسلوبه يميل إلى الإطناب والحدة في الانفعال. لكن أعمال هوجو استعادت اهتمام الدارسين بها بسبب معالجة الكاتب الخيالية لموضوعاته، واستعمالاته الحاذقة للأشكال الأدبية.

وفي ١٨ مايو ١٨٨٥ أصيب هوجو بالتهاب رئوي. ولما زادت وطأة المرض، شعر بدنو الأجل فودّع أصدقاءه قائلاً آخر بيت من الشعر: (ها هنا يقتتل الليل والنهار).

وتوفي فيكتور هوجو في يوم الجمعة ٢٢ مايو ١٨٨٥ وتوقف بموته القلم السيّال الذي بهر العقول والقلوب.

ويرقد جثمانه اليوم تحت قوس النصر في مدفن العظماء إكراما للأديب الذي كان لأعوام قلب فرنسا النابض بالحرية.



أعلام

«أحدبُ نُوتردامْ» .. رائعة الفرنسي هيجو

رواية في قصة قصيرة

عثمان المشاورة*

تعرض الآن مسرحية شعرية في دار العدالة بباريس، لمؤلفها الشاعر الفاشل «بيرنجوار» .وذلك ضمن الاحتفالات التقليدية بعيد المغفلين. ملَّ الحضور. أخذوا يتململون، ما جعل «جاك كوبنول» وهو من الشخصيات المحبوبة بباريس يقترح تسلية أكثر متعة: حيث صاح بالحضور:

حسنا.. حسنا.. ما رأيكم أن نبحث عن أمير المغفلين.فكرة جيدة .أليس كذلك؟

نعم ..نعم ..أمير المغفلين..صرخ المشاهدون، وألقوا بالمسرحية عرض الحائط.

ويا لها من سحنة تلك التي وقع الاختيار عليها. كان وجها قد انطمست إحدى عينيه. وتألقت الأخرى تحت حاجب كث الشعر، كأنه غابة من شجيرات متشابكة. ونُحت الأنف حتى أصبح لا شيء. أنفٌ أفطس، ملتصق بالوجه. تحته فم واسع كأنه حذوة فرس. وقد تبعثرت الأسنان الكبيرة الطويلة بغير انتظام. ناهيك عن نابٍ طويل، استطال حتى الشّفة السفلى. بالإضافة لهذه الدمامة المخيفة. فقد احدودب ظهره. وبرز صدره. وغار رأسه بين كتفيه. وله ساقان شبه ملتصقتين. ومنفرجتان من عند الركبة. وقدمان غاية في الضخامة. يا لها من بشاعة يشيب لها الرأس. كان هذا «كازيمودو»: قارع الأجراس الأحدب في كاتدرائية نوتردام.

حملته الجموع على الأكتاف. طافت به الشوارع والزقاق، أمير المغفلين بلا منازع.. يصفّقون ويصرخون.

أحس «كازيمودو» بشعورين في الوقت ذاته: الحقد على الجموع التي تحمله. وأحس بالأهمية. كونه محمولاً على الأكتاف في مسيرة حاشدة تُصفّق الأكفُّ من أجله.

في ميدان قريب من الجموع. كانت «أزميرالدا» ترقص بخفة النسيم. غجرية، آيةٌ في الجمال. حوريةٌ سقطت من الجنة. رشيقة كأنها غصن بان. في مقتبل العمر. كانت قد علَّمت عنزتها الصغيرة «جالي» ألاعيب

عجيبـــة. فالعنزة تدقّ الــدّف بحافرها لتخبر كم الساعة الآن، وأي شهر من السنة يكون. عنـزة ظريفة، ولا تصدقـوا إن قلت إنها تقلد الشخصيات المعروفة بطريقة مضحكة.

بعـد الرقـص الشّـاحر على ضوء ألسـنة النــار، غنّــت «أزميرالدا» بالأسـبانية، بصوت دافئ حنون. جعل «بيراجوار» الشاعر الفاشل الذي تركت الجموع مسـرحيته، يبكي بهدوء وتنحدر دموعٌ ساخنة من مآقيه. أحبها، أحب الغجرية وجعــل يتبعها فــي الطرقات. رآها تصرخ وتتفلّت من بين يدي الأحدب الذي حاول أن يخطفهـا برفقة رجل آخر. حــاول إنقاذها لكن لكمة قوية من الأحدب قذفته خمســة أمتـار في بركة من الوحل. فاقدا الوعي. على أيــة حال،جاء ضابطٌ وسـيمٌ يدعــى فيبوس، سحبها من يدي الأحدب وقذفها على صهوة جـواده. فــارس أحلام تنعس الجفــون لأجله، خطف قلــب الغجرية، إلا أنها انزلقت بخفة من علــى ظهر الجـواد واختفت فــي الظلام.



ووجه فيبوس لا يغيب عن ذهنها.

اسـتيقظ « بيرنجوار» من غيبوبته .لم يجد «أزميرالـــدا». حزن وهام على وجهه في الزقاق ليجد نفســه في دار العجائب، دار الشّحادين والمجرمـين، اللصـــوص، والتائهين في شـــوارع باريس.

هناك في دار العجائب حكموا عليه بالإعدام شـنقا، أو أن تقبل به إحدى بنـات الدار زوجا لها. فكان أن رأفت إحداهن به وأعلنت قبوله زوجا لها، كانت هي «أزميرالدا». فهي تسكن فــي هذه الــدار أيضا مــع عنزتهــا الصغيرة، وتبحــث كل يوم عن أمها التي خطفت منها وهي صغيرة.

في المحكمــة، حكـم علـى»كازمــودو» بالجلد وسـط الجموع الغفيرة، فقد قــاوم الضابط فيبوس ورجاله وعبث بهيبة الدولة، بالإضافة إلــى جرمــه الأصلــي: محاولــة اختطــاف «أزميرالـــدا». وتم جلده بالسـياط المشـعّبة، قذفـه النــاس بالحجـارة، والأشـياء المتوافرة فــي أيديهم، تخيلوه وحشــاً آدمياً، طلب ماء فلم يعطوه ومن النســاء مــن كانت تغطي وجههــا بيديها لكي لا تــرى دمامته.تقدمت «أزميرالـــدا» إليــه ببطء.أعطته شــربة ماء، شـعر بمدى دناءته.حاول تقبيـل يدها، لكنها سحبتها ببطء.

في إحدى المرات التقــت «أزميرالدا» بفارس الأحلام من جديد. تمشيا في الظلام. جرها إلى الشـيطان. وفي العتمة كان هناك شــخص يتبعهمــا. وهنــاك في بيت الشـيطان حاول أن يتقــرب منها، لكنّها رفضت. عبرت له عن حبها. قالت له:

علمني دينك



ولماذا؟

حيث أني سأصبح زوجتك

ضحك فيبوس. وقال

وهل شـرط أن نتزوج. ليس بالضرورة الزواج في الحب.

امتعضت «أزميرالد» لجوابه. مد يده وحاول أن يطـوق خصرها. أبعدتها. حـاول أن يتقرب أكثر. لكنَّها صرخت ودفعته. وفي هذه الأثناء دخل شـخص من النافذة وطعن فيبوس في ظهره. رأت «أزميرالدا» المشهد وفقدت الوعي.

ألقي القبـض على «أزميرالدا» بتهمة قتل أحـد رجال الدولة. والصقـوا بها تهما أخرى. الشعوذة والسحر. واتهموا العنزة بذلك. إنها شـيطان. شيطان في جسـد عنزة. كما قال القاضـي. عذبوها. عذبوا «أزميرالدا» الرقيقة لتعتـرف. تعرض جسـدها الجميـل للنَّهش والكي.اعترفت تحت سـطوة الألم. حبسوها بزنزانة بانتظار شنقها في الغد.

دخل عليهـا القس «كلودوفرولـو» الزنزانة ليلقنها التوبـة. عرفته. إنه قـس كاتدرائية نوتـردام . الرجل الـذي ربى الأحـدب فأصبح الأخير كالعبد له. انكمشت في أحد الأركان. صرخـت.. ماذا تريد مني؟ مـاذا فعلت بك؟؟!! لماذا أرسـلت ذلـك الأحدب المخيـف لخطفي؟؟ أيـن فيبوس..لـماذا قتلته؟.. انحـدرت الدموع علـى وجنتيها..كانت كالـوردة الذابلة.. لماذا قتلته.. لماذا.. أين فيبوس.. أين هو.. وأجهشت بالبكاء..

أحبك.. أجل ..أنا القس «كلودوفرلو» أحبك حبا عظيما.. منذ أن رأيتك اشتعلت حياتي.. حولتِهـا من البراءة إلـى الجحيم..لم أعِد أرى غير وجهك في كل شـيء أمامي.. لم أطق أن أرى أحدا يأخذك منـي..

أين فيبوس... رباه..أين هو..؟؟!

لقد مات. اسمعـي..إني على قدرة أن أخرجك من هنا.. نهرب إلى أي مكـان.. إلى أخر الأرض.. فقط كوني معـي..

أين فيبوس.. آه أيها المتوحش .. أين هـو..

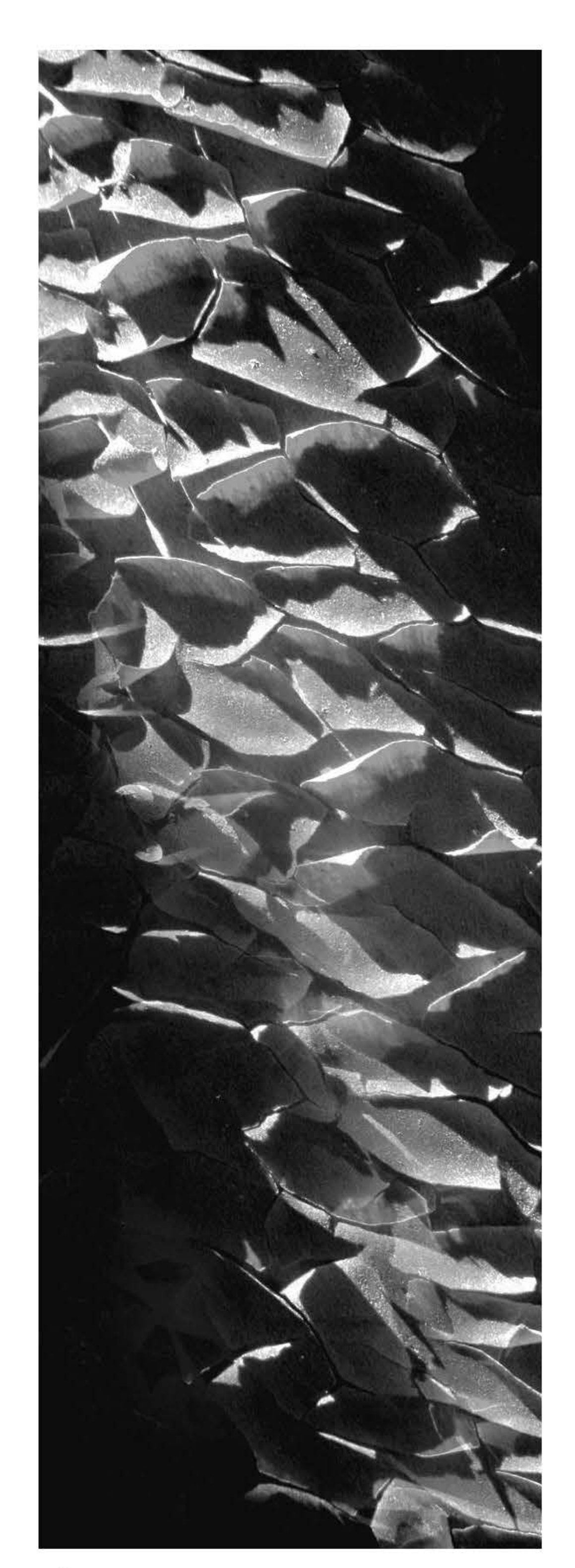
لا تذكري اسمه أمامي... لقد مات

إذن فلأمـت بعـده.. اغـرب عـن وجهي وإلا بصقت عليك...

في الغد كانت الجموع تنتظر تنفيذ الحكم بالفتـاة المسـكينة «أزميرالـدا» الفراشـة.. وضعهـا المنفـذون علـى الخشـبة وشـرعوا بمراسـم الإعدام بجانـب كاتدرائيـة نوتردام حيـث يقرع الأحـدب الأجـراس.. وفجأة هبط الأحـدب من أعلـى الكاتدرائيـة بحبل ربطه بالأجراس وسحب الفتاة من أيدي الجنود وهرب بها كأنه يحمل دميـة بيده..صفق الجمهور.. ابتهجوا.. وعلاهم الحبـور.. أخفاها في غرفة علـى سـطح الكاتدرائية. حيـث يتمتع من يدخلها بالحصانة من القضاء.

ولما علم القـس بوجودها. حاول اختطافها مـن تلـك الغرفة. اتفـق مع «بيرانجـوار» زوج «أزميرالدا» على أن يأتي بسكان دار العجائب ليخطفوها مـن الكاتدرائية. حيث سـيأتي جنود الملك لأخذها في أقرب وقت.

تجمـع جيش كبير مـن دار العجائب. زحفوا باتجاه الكاتدارئية. ومـن باب منع الفتنة. أمر الملـك أن تؤخذ الفتاة مـن حصانتها ويطبق عليهـا الحكم. جـن جنون الأحـدب. لم يجد الفتاة في غرفتها. صال وجال فوق الكاتدرائية كأنه أسد حبيس. بحث عنها في كل الغرف. كان القس قـد خطفها.وللمرة الأخيرة طلب



منهـا أن ترضـى به وتذهـب معـه . إلا أنها صاحـت به. سـأموت بعـد فيبوس..ثـم إنه ذهب بها إلى الأخت «جيدول». تلك المشهورة بكرهها للغجر الذين خطفوا ابنتها الوحيدة منذ زمن.

أيتهـا الأخت «جيدول». إليك هذه الغجرية وخذي بثأرك منها.. وسلميها للجنود

صاحت «أزميرالدا».. الرحمة..الرحمة.. ماذا فعلت لك.. أطلقي سراحي..

لقد خطفتم صغيرتي منذ ست عشرة سنة.. حرمتموني من فلذة كبدي

ولكني لم أكن لأولد بعد...

من الحديث الـذي جرى بين الأخت «جيدول» و«أزميرالدا»..وبعد أن جـاءت «جيدول» بفردة حـذاء صغيرة كانت للطفلـة صاحت الفتاة بأنهـا تحمل الفـردة الأخرى وأنهـا تبحث عن أمها..وهكذا حضنت الأخت «جيدول» ابنتها الوحيدة بعـد طول غياب.. ولكن الجنود كانوا قد جـاؤوا.. اخذوا الفتاة من حضن أمها وهي تصرخ.. وأعدموها..

كان القـس ينظر من فـوق الكاتدرائية إلى منصـة الإعـدام.. جـاء الأحدب مـن خلفه.. حمله بيديه القويتين إلـى الأعلى وألقاه من فـوق الكاتدرائيـة.. وقال: في الأسـفل يوجد اثنان أحببتهما بحياتي.

بعد ذلك لم يعد أحد يرى الأحدب أو يسمع عنه شـيء. وبعد عام كانوا ينبشـون القبور فوجدوا قبر فتاة برداءٍ أبيض. يحضنها هيكل ذو جمجمة كبيرة. وساقان شبه ملتصقتين، وهمـا منفرجتان من عند الركبـة. ولما حالوا رفعهما تفتت الهيكلان وأصبحا تراباً.

---

*طالب جامعي/ك. الصيدلة



بإطلاق مشروع مكتبة الأسرة الأردنية في دورته الثانية

«الثقافة» تعتمد التنوّع المعرفي والمزيد من العناوين

أقلام جديدة

أن تُباع «رباعيات الخيّام» بخمسة وثلاثين قرشاً؛ أمرٌ يحسب لوزارة الثقافة. وأن تحتشد «العائلة» الأردنية في أروقة المركز الثقافي الملكي وفي مركز الحسين الثقافي وفي المحافظات لتعود محمّلةً بما يغنيها من كتب. تنوّعت ما بين التراثي والسياسي والاقتصادي والديني والتربوي والأدبي. أمرٌ أيضاً يُحسب لوزارة الثقافة. وأن يطالع المهتمُّ «عراراً». الشاعرَ في عشيّاته. وابن حزم الأندلسي في «طوق الحمامة». والمتنبي في»الدهر المنشد». وأحمد أمين في «فجر الإسلام». والسيوطي في»مقامات الرياحين». والكواكبي في» طبائع الاستبداد». ..وغيرها فقط بخمسةٍ وثلاثين قرشاً؛ أمرٌ تُشكر عليه الوزارة!

ويضيف الأديب الذي فرح بعناوين مشروع «مكتبة الأسرة» الخمسة والسبعين عنواناً. الذي قامت عليه وزارة الثقافة مؤخراً. أنّ



التنوّع المدروس أغنى المشروع، والسعر الرمزيّ شجّع القارئ، في زمن تقلّ فيه القراءة، ويهجر الناس فيه الكتابَ!

«مكتبة الأسرة»، مشروع وصفته وزيرة الثقافة نانسي باكير بأنه مشروعٌ ثقافيٌّ وطني، وهو الأول من نوعه في الأردن الذي ترعاه صاحبة الجلالة الملكة رانيا العبد الله- حفظها الله- وسبق أن أعلنته الوزارة ضمن خطة التنمية الثقافية في الأردن للأعوام ألفين وستة وألفين وسبعة وألفين وثمانية، وتشرف عليه لجنة وطنية عليا يرأسها وزير الثقافة، وقد تمّ إطلاق مهرجان القراءة للجميع في دورته الأولى عام ألفين وسبعة؛ وفيها أصدرت الوزارة خمسين عنواناً بواقع ربع مليون نسخة، وقد بلغت كلفته الإجمالية في العام الماضي قرابة ٢٠٠ ألف دينار.

وأضافت في حديثٍ لـ«أقلام جديدة» أنه نجح في عامه المنقضي، ولفتتنا ردود الفعل الإيجابية تجاهه؛ وهو ما يدفعنا لأن نزيد من عناوينه الخمسين، خمسةً وعشرين عنواناً هذه السنة، ونضيف عنواناً جاء إجماعاً وتزكية هو «محمود درويش»، الذي فُجع الوسط الثقافيّ كلّهُ برحيله.

وفي ما يخصّ عناوين المكتبة، فمنوّعةٌ، تناسب الطفل والشّاب والكهل والشيخ والمرأة، وتتباين لتلامس هموم قارئها ومتطلباته، وهي تطبع أولاً بأول، تحت إشرافٍ الوزارة وتوجيهها، وقد أعلنّا عن ميقات بيعها في المكتبات، لتكون نواةً لمكتبة كلّ أسرةٍ أردنية، بأسعار مشجّعة.

وأضافت الوزيرة، في السياق نفسه: تجول «مكتبة الطفل المتنقلة» بحافلةٍ من الوزارة، المحافظاتِ، ترافقها عروضٌ مسرحيّةٌ هادفةٌ وتعليميّة توعويّة، مدروسة، تتناولُ مواضيع شتّى يطلبها الطفل، ومنها، مثالاً، التدريب على التمثّل بقانون السير، والحفاظ على الصحة.

وهذه العروض يحضرها أهالي المنطقة، ليفرح أبناؤهم بمتعة الرسم على الوجوه، ونقش العلم الأردنيّ على الجباه، والترويح عن النفس بمسابقاتٍ هادفةٍ، و«كوميديانات» تتابعها الأعمار على اختلافها، وتخاطب لدى الطفل حاجاته، وتنشد عند الكبير تأملاته. وإذ نقدّم هذه الوجبات التثقيفية تحتضن القرى النائية إهداءاتنا ويقلّب أطفالها مجلاتنا، في زمنٍ تقلّ فيه فرصة القراءة.

أمين عام الوزارة الشاعر جريس سماوي ،عضو هيئة أصدقاء المجلة العليا، قال إنّ المشروع يهدف إلى رفع مستوى الوعي لكل أفراد الأسرة الأردنية في كلّ مناطق سكناهم، وتشجيع عادة القراءة واقتناء الكتاب وتأسيس مكتبة في كلّ بيت؛ وفي سبيل ذلك أخذت الوزارة على عاتقها توفير الكتاب الذي يغطي معظم المعارف الإنسانية، التي تغني العقل والوجدان بسعرٍ رمزي جداً، وبطبعةٍ أنيقة، وبمواصفاتٍ فنيّةٍ. وأضاف سماوي: واستمراراً لنهج الوزارة؛ فقد تمّ إطلاق الدورة الثانية لمهرجان القراءة للجميع في الفترة ما بين الخامس والعشرين من تشرين الماضيٍ وحتى الثلاثين منه، في سبعة عشر مركزاً في محافظات المملكة، منها أربعة في محافظة العاصمة، واثنان في إربد، وآخرانِ في الزرقاء، ومركز واحد في كل محافظة، وقد تمّ توزيع المراكز بمراعاة



نسب السكان.

وقال: في هذه الدورة من المشروع أصدرت الوزارة ٧٥ عنواناً جديداً، بواقع ٣٧٥ ألف نسخة تنوعت في الدين والفكر والعلم والفن، والإبداع الأردني والعربي والعالمي والتراث، واكتساب المهارات الحياتية والتاريخ والعلاقات العامة والأسرية، وعلم النفس والسير والتراجم العربية والعالمية وأدب الطفل.

وسألت «أقلام جديدة» مساعد الأمين العام للشؤون الثقافية والفنية مقرر لجنة مكتبة الأسرة د. باسم الزعبي عن هذه التجربة فبين أنّها الثانية بعد مصر، ووصف المشروع أنه يجيء في ظل ارتفاع تكاليف الحياة، وإعراض القارئ عن رفيقه الكتاب. وأشار إلى أن مواصفات الكتاب الذي خضع لتدقيق شامل قبل أن نخرج به على الناس لغةً وإخراجاً فنياً، من الأمور التي حرصت عليها الوزارة وتابعتها حتى تضمن وصول الكتاب إلى متلقيه بأفضل صورة.

«أقلام جديدة» جالت المركز الثقافي الملكي، الذي هو صورة عن المحافظات كافة في الإقبال والاهتمام، والتقت مدير مديرية المشاريع الثقافية في الوزارة د. أحمد راشد، الذي بشّر بأنّ نسبة نفاد كتاب الأسرة لهذا العام بلغ في مراكز بيع الكتاب، في المحافظات، ما يزيد من أربعةٍ وتسعين بالمئة.

الجهات الداعمة للمشروع

عام ألفين وسبعة بلغ حجم الدعم المقدّم من مختلف الجهات الرسمية والأهلية الأردنية العام الماضي ٣٤ ألف دينار؛ أما هذا العام، فبعد النجاح الذي حققه المشروع، ارتفعت نسبة المساهمة في دعمه، ووصلت ٦٩ ألف دينار؛ قدّمتها: أمانة عمان الكبرى، ومؤسسة عبد الحميد شومان، وشركة زارا للاستثمار، وصبيح المصري، والبنك الأردني الكويتي، وجامعة عمان الأهلية، وصندوق الملك عبد الله الثاني للتنمية، وشركة الكهرباء الوطنية، ومنطقة العقبة

الاقتصادية الخاصّة، وبنك الإنماء الصناعي، وشركة الفوسفات، وجامعة فيلادلفيا، وجامعة البلقاء التطبيقية، وجامعة اليرموك، وجامعة العلوم والتكنولوجيا، والجامعة الهاشمية، وبنك الإسكان.

طموحات الوزارة

إن وزارة الثقافة حين تطرح في الدورة الثالثة لمهرجان القراءة للجميع عام ألفين وتسعة ١٠٠ عنوان بواقع مليون نسخة؛ فإنها تأمل -ليتحقق هذا الطموح الوطني- أن تتضافر الجهود الرسمية والأهلية، وأن يرتفع حجم المساهمات الوطنية لدعم هذا المشروع من مختلف المؤسسات الأردنية والأفراد. ونعتقد أنّ الواجب الوطني يحتّم علينا أردنيين: مؤسساتٍ وأفراداً أن ندعم مثل هذه المشاريع، خاصةً بعد النجاحات الكبيرة التي حققها.

حقوق الملكية الفكرية

راعت الوزارة في عملية النشر حقوق الملكية الفكرية للأفراد والمؤسسات، إذ قامت بشراء حقوق إعادة النشر من أصحاب الحقوق أو من ورثتهم الأردنيين وغير الأردنيين، كما أنّ الوزارة راعت الجهات الداعمة، والإشارة إليها من خلال وضع شعار كل جهة داعمة على إصدارات مكتبة الأسرة.

مواقف

لفت الانتباه أن من بين رواد المهرجان جنسيات أجنبية تنطق بالعربية منها بريطانية وصينية وكورية وماليزية وأندونيسية، وغيرها. كما أن عدد الرواد من الأطفال كان كبيراً جداً سواء من طلبة المدارس أو ممن حضروا مع ذويهم، وفي الأيام الأخيرة من المهرجان كان عدد من الأطفال يبكي لعدم تمكنه من شراء الكتب بسبب نفاد الكميات.

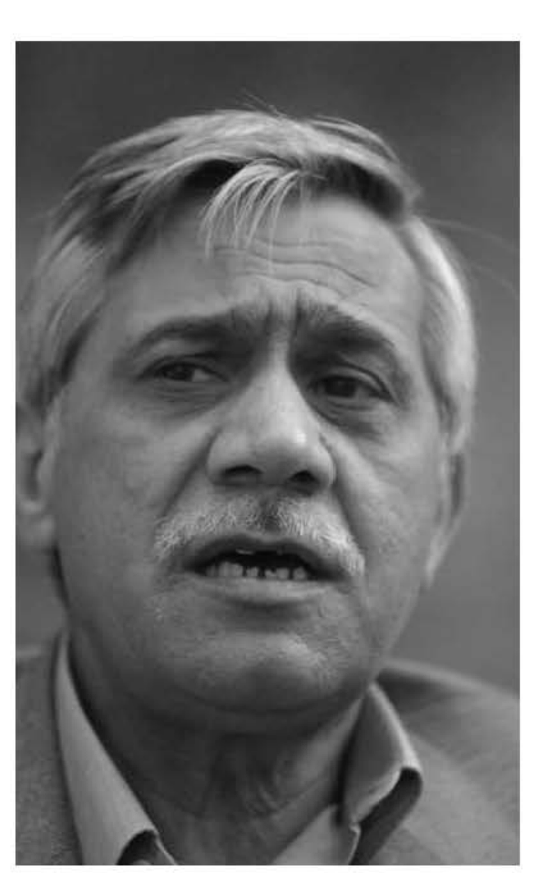




صاحب «أرض اليمبوس» يتنفس هواءها الملوث بالخسارات

فركوح: نكذب في الرواية لنقول الحقائق

سميرة عوض*



فازت رواية «أرض اليمبوس» بجائزة البوكر ألفين وسبعة، ونالت جائزةَ تيسير السبول في العام نفسه، وحظيت بالاهتمام المحلي والعربي، وهي الثالثة بعد رواياته «قامات الزبد»، و«أعمدة الغبار»، ويستعيد صاحبها أيام البوكر الأربعة في «أبو ظبي»، عند إعلان النتيجة النهائيّة، مستذكرا مذاقها الخاص وجَمالها الاستثنائي.

إلياس فركوح، سبق أن حاز بروايته «قامات الزبد» على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٩٠.

وجائزة الدولة التقديرية، في القصة القصيرة عام ١٩٩٧، وقبلها نالت مجموعته «إحدى وعشرون طلقة للنبي»، عام ١٩٨٢ الجائزة الأولى لرابطة الكتاب الأردنيين. اشتغل في الصحافة الثقافية أواخر السبعينات، هو صاحب دار أزمنة للنشر والتوزيع، التي أسسها منذ بداية التسعينات.

الرواية التي كُتب عنها في عدد من الصحف والمجلات، بوصفها تتناول فترة حاسمة من التطور الاجتماعي والسياسي لمدينة عمان، وتتشابك مع القضية المركزية (فلسطين)، وتفيد كثيرا من السيرة الذاتية والجمعية أيضا، من خلال بناء فني عُدّ إضافة تسجل لصالح العمل.. كان لـ« أقلام جديدة» مع فركوح على هامش فوزها، هذا الحوار:

يؤكّد فركوح، المولود في عمّان عام ١٩٤٨، أن للجوائز دورها محفّزةً، ومثيرةً للتساؤل والفضول عن روايات، وربما عن روائيين كانوا غائبين عن ذاكرة أو معرفة القارىء العام، فباتوا بسببها هم ورواياتهم محل قراءة ونقاش وتقييم. ويكتبُ لِمَن يرغب أن يقرأ، وبشرط المَحَبّة. وفي الوقت الذي يعلن فيه أن الرواية كِتاب العرب اليوم، وكتاب العالم اليوم، يؤكد أن علاقة الروائي العربي بالأحداث السياسية علاقة عضوية بما تحمله الكلمة من معنى؛ فتلك هي التي أنتجت شخصياته الروائيّة، التي تحركت فيها، وعاشت تتنفس هواءها الملوث بالخسارات.

ويرى أن تسيّد الرواية اليوم ليس لأنَّ السرد الروائي أكثر ملاءمةً للحياة التي سُرِقَ الشِعرُ منها وطُرِدَ خارجها؛ بل لأنَّ الرواية هي نحنُ الجمعيّة: نحنُ التي تكتبُ جَمالها الموجوع، وتَسطُر خيولَ أحلامها مبحوحة الصهيل، وتشهدُ على انحسار إنسان منطقةٍ من العالم تهرعُ ملهوفة لتخرج من التاريخ!

ويعدُّ فركوح نفسه «من فئة الكُتّاب الذين ما إن ينشروا عملاً جديداً، وما إن تنقضي أيام النشوة فور صدوره من المطبعة، حتى تفتر حماستهم تجاهه؛ معتقداً أن «أرض اليمبوس» رواية محظوظة، بأن تكون ضمن القائمة القصيرة لجائزة بوكر العربيّة، وهو ما يعني حضوراً ينبغي أن يتواصل للإبداع المُنْجَز في الأردن، عربياً وعالمياً».

واللافت أنه لم يستغرق في كتابة الرواية، بمعنى التفرّغ للورق كفعلٍ كتابي، سوى سنة واحدة وستة شهور، وهي الفترة الأقل - زمنيا- قياسا إلى رواياته السابقة.

أيام البوكر

كلمة توجهها للفائزين الستّة:

كان للأيام الأربعة التي اجتمعنا خلالها في أبو ظبي، عند إعلان النتيجة النهائيّة، مذاقها الخاص وجَمالها الاستثنائي؛ إذ تَعَرّفَ الواحدُ مِنّا على الآخر في أكثر من حالة وموقف إنساني، مما قرّبنا على نحو امَّحَت فيه روح التنافُس الذي يبدو عادةً كأنما هو صراعٌ أو سِباق!

فالمسألة في أصلها ليست كذلك، من جهتي على الأقل، فلم أكن على معرفة مسبقة تتيح لي تسميتها بـ«علاقة»، سوى بصديقي بهاء طاهر، الروائي والكاتب والإنسان الكبير، الذي لم تعمل الحالة التي كنا نعيشها معاً إلاّ على تأكيد تواضُع الفنّان الحقيقي في داخله، وإظهار احترامه وتقديره الصادقين للآخرين من غير تكلّف. وهذا في ذاته ينمّ عن درجة عالية من الوعي، أرى أنَّ الكاتب الذي لا يحوزها يفتقر إلى الكثير.

أما خالد خليفة؛ فقد تعارفنا قبل ذلك بأسابيع قليلة في القاهرة، حيث جمعنا ملتقى الإبداع الروائي العربي، وكانت لنا لقاءات خاطفة وحوارات مبتورة أمْلَت أجندةُ

الملتقى وجلساته طبيعتَها، لكنها جعلت منا مشروع صديقين؛ عملت أيام «أبو ظبي» على مراكمته بالمزيد من الألفة والمحبّة.

تعرفتُ على مكاوي سعيد في القاهرة أيضاً وفي الملتقى إيّاه، غير أن فرصة الاقتراب منه لم تتوافر إلاّ في «أبو ظبي»، فوجدتُ فيه الرجلَ البسيط غير المدّعي، والواثق من شخصه وكتابته دون لغوٍ أو ثرثرة وازدهاء.

أما مي منسّي وجبور الدويهي؛ فقد كانا اكتشافاً جميلاً لدي؛ إذ عاينتُ في كل واحدٍ منهما عُمقاً معرفيّاً لا يمكن إلاّ احترامه، وسلاسةً في التعامل الشخصي الإنساني غبطتُ نفسي عليه؛ إذ من النادر أن نلتقي بأشخاص ننسج معهم خيطَ الود الهادىء في هذه الأيام.

متأخرة

بهاء طاهر: أنتَ كبيرٌ يا صديقي. وأنا أُصادقُ على تعليقك في المؤتمر الصحفي إثر إعلان النتيجة، عندما قلتَ إنَّ الجائزة، في نظرك، اليوم، أشبه بوصول عربة الإطفاء بعد احتراق البيت! أنتَ تستحقها من دون شك، ولقد حازت على مصداقيتها منذ دورتها الأولى، رغم كل شيء.

سلالة المغمورين

خالد خليفة: أعجَبَتني روح الاقتحام فيكَ، وعِناد أبناء «سلالة المغمورين» وإصرارهم على أن يحتلّوا مكانةً لهم بين الراسخين والمَرسخين و«الأكثر ذيوعاً»! فمن دون هذا العِناد والإصرار سنظّل رهائن «صُوَر» يُراد مِنّا تكريسها كأنما هي أيقونات نُشعلُ لها الشموع ونبتهلُ لجلالها الأبدي!

قلب طفل

جبّور الدويهي: أعدتَ لي رونق الشخصيّة اللبنانيّة وأناقة روحها: الظُرف، والتعقُل، واللُطف المتفهم لطبيعة الحالة التي وُضعنا فيها جميعاً. كنتَ سلساً في التحاور والتجاور على الصعيد الإنساني، وبَث حالة المبالاة- اللامبالاة- في الوقت نفسه. لم أركَ «طامعاً» بالجائزة، بل كأنكَ فوجئتَ بروايتكَ ضمن القائمة القصيرة.. ففرحتَ مثل طفل لم يمُت في داخلك.

من تلقائها

مكاوي سعيد: أتذكركَ فأجدني أرددُ بأنَّ «الدنيا لا تؤخذُ غلابا» دائماً؛ إنما تجيءُ إلينا من تلقائها، نحن الذين لا نسعى سوى لإرضاء الأشياء الصغيرة في حياتنا، ولكن على نحوٍ نحترمُ من خلاله الإنسانَ فينا: الإنسان التوّاق إلى جَمالٍ لا يمكثُ إلاّ في روح تأبى التزوير والمداهنة.

إيمان راسخ

مي منسّي: لم تَدعي الحياةَ تجبركِ على تعلّم واجب جَزّ ضفائر الفتاة الصغيرة الماكثة في كيانك؛ تلك التي تنحنين عليها قبل النوم وعند الصباح لتعزفي لها ما تيسّرَ من مخزونك الموسيقي. رأيتكِ ترتبكين حيال «ضرورات» اليومي وإملاءاته السخيفة، لكنكِ كاملة القوة الداخليّة، إذ تتغذين بـ «إيمانات» بدت لي راسخة لديك.

يكفيك

أما إلياس فركوح؛ فإنـي أؤكدُ له بأنَّ وجود روايته ضمن القائمة القصيرة، بصرف النظر عن جُملة الملابسات السابقة واللاحقة، لم يكن سوى استمرار لحالة الاحتفاء بها وتقدير ما تضمنته من أبعادٍ أدبيّة فنيّة، قبل الإعلان عن الجائزة والدعوة للترشُّح لها وبعد ذلك. وهذا، في ذاته، يكفيكَ ويغبطكَ.

واحة الغروب

هل قرأتَ الروايات الفائزة، وأيها أعجبك أكثر؟

لم أقرأ من الروايات الخمس سوى «واحة الغروب» لبهاء طاهر. كان ذلك فور نشره لها في سلسلة روايات الهلال طبعةً أولى، وما كانت جائزة بوكر قد أُعلن عنها أصلاً. أما البقية: فللأسف لم تتح لي الفرصة لقراءتها بعد. فـ«تغريدة البجعة» لمكاوي سعيد حصلت عليها قبل شهر في القاهرة حين تعرفتُ عليه، فهي من منشورات الدار المصرية التي لا توزع خارج مصر. وكذلك رواية جبور الدويهي «مطر حزيران» المنشورة لدى دار النهار، وهي تعاني أيضاً من عدم التوزيع خارج لبنان، لكني حصلت عليها أخيراً إهداءً من كاتبها في «أبو ظبي». أما مديح الكراهيّة لخالد خليفة، فلم يكن لي أن أحصل على نسخة منها إلاّ من معرض أبو ظبي بمناسبة الجائزة، وأنا أعكف الآن على قراءتها. وها أنا بانتظار وصول نسخة من «أنتعل الغبار وأمشي» لمي منسّى.

وعلى هذا؛ ليس من المعقول إبداء الرأي بروايات لم تُقرأ بعد. وليس من اللائق الدخول في مسألة «التفضيل والتفاضل»؛ فأنا واحد من ستة أسماء أُدرجت روايته لتكون منافسة، فالوضع أكثر من محرج، أليس كذلك؟!

مساءلة الإنجاز

هل تؤمن أن الجوائز وسيلة مُثلى لتحفيز الإبداع؟

قد لا تكون الجوائز بذاتها هي الوسيلة المُثلى، لكنها تشكّل في حالة الفوز بها تحفيزاً مباشراً للكاتب؛ إذ هي، مثلما تتبدّى لي، عامل تحدٍ واستفزاز للخروج على ما تم إنجازه والتجديد والتجويد فيه. وأيضاً؛ طرح مُساءلة الذات الكاتبة عمّا سيكون منها في عملها القادم؟ فمن الطبيعي أن يرى الكاتب الواعي الجائزةَ إشارة تحفيز إضافةً إلى التقدير، وليست بأي حال تتويجاً، كما هي ليست عَزْفاً لـ«لحن الرجوع» أو خِتام المشوار.

فضول المعرفة

هل لهذا دوره في تحفيز القرّاء أيضاً، في ظل هروب معلن نحو وسائل أخرى؟

استناداً إلى ما لاحظته وعاينته، كان للإعلان عن روايات القائمة القصيرة فور ذيوعها، أن عملت على تحفيز الطلب عليها بُغية الاطلاع والاكتشاف ـ أو تلك التي لم يكن قارىء الروايات عموماً قد تنبّه لها سابقاً ـ بسبب عدم توافرها في بلده، أو لعدم قراءته مراجعات لها في الصحف والدوريات التي اعتادَ تصفحها.

ولقد صادَفَ أن كان تاريخ ذلك الإعلان اليوم الرابع أو الخامس من أيام معرض القاهرة للكتاب، فولدت ظاهرة الطلب على جميع

الروايات والسؤال والبحث عنها، كأنما التوق للمعرفة لدى عدد كبير من القرّاء كان ينتظر ما يستفزه فظهرَ.

بيع جميع النسخ المتوافرة من الروايات التي شاركت دور نشرها في أجنحة المعرض، ومن ضمنها رواية «أرض اليمبوس» في جناح دار «أزمنة». كما بيعت منها ٤٥٠ نسخة في طبعتها الثانية من جناحي دار أزمنة والمؤسسة العربية للدراسات والنشر في معرض «أبو ظبي».

فنعم.. للجوائز دورها التحفيزي، كما لها دورها المؤكد في إثارة التساؤل والفضول عن روايات، وربما عن روائيين كانوا غائبين عن ذاكرة أو معرفة القارىء العام، فباتوا محل قراءة ونقاش وتقييم.

تأثير الكتابة

كيف ترى دور الكتابة، خصوصاً وأن البعض يقول إنها أصبحت غائبة وغير ذات تأثير؟

علينا أن لا نخدع أنفسنا بخصوص دور الكتابة في المجتمع. فنحن حين نتطرق لمفردة «دور» ينبغي أن نَعي أولاً إنّ كان للكتابة مكانها بين أفراد المجتمع، وكم هي منتشرة بمنتوجها المتمثّل في الكتب بينهم. فليس من المعقول أو العملي قياس دور الكتابة في التأثير إذا لم يكن الكتاب، بوصفه حاملاً لها، مُدرَجاً على أولويات المجتمع حينها، ولكي نتحلّى بالشجاعة الأدبية ومواجهة الحقيقة كما هي، علينا القول بأن لا دور حتّى للأعمال الفائزة يمكن الإشارة إليه أو إلى مداه وسط شروط حياتية كهذه.

نحن ما زلنا، كتّاباً وقُرّاء عرباً، نتحرك على هوامش المجتمعات الغارقة بتدبير شؤونها اليومية المعيشية التي تزداد صعوبةً واستيلاءً على أوقاتها، وهمومها، وطموحاتها، وتوقها لحيازة تجليات الجَمال... ومن ضمنها حيازة منتوج الكتابة والاستغراق في عالم الكتاب.

الحَصاد المُر

كيف ترى علاقة الروائي بالأحداث السياسية التي مرّت وتمّر بها المنطقة العربيّة؟

ردّاً على سؤال مُعِدّ ومذيع أحد البرامج الثقافيّة في إذاعة أجنبيّة عن السبب وراء انشغالي بالحروب والسياسة في رواياتي كلّها، بما فيها «أرض اليمبوس»، كما في روايات عربيّة أخرى كثيرة، أجبته بأنه من المستهجَن أن لا ننشغل بذلك في كتاباتنا. فكيف يمكن لنا أن نتغافل عنهما في حين كانا السببَ الرئيس في رسم طبيعة حياتنا العربيّة، جماعات وأفراداً، وأيضاً في قوة تأثيرهما على مصائرنا!

وعلاقة الروائي العربي بالأحداث السياسية علاقة عضوية بكل معاني الكلمة. ومن جهتي؛ شكّلت تلك الأحداث المناخات الدائمة التي أنتجت شخصياتي الروائيّة، لتتحرك فيها وتتنفس هواءها الملوث بالخسارات، كما كانت الفاعلة بالحفر فيها إذ تجلّت خلفيّةً تؤشّر على تحولاتها.

أنا لم أكتب عن الأحداث السياسيّة والحروب، لكنني كتبتُ عنهما بقوة فِعلهما داخل الشخصيات وتأثيرهما الكبير في تكوينها. لا مهرب لنا، روائيين عرباً، من السياسة وإنْ اختلفنا في كيفيّة معالجتها.

هزائم الذات

كيف تشعر إزاء أبطال رواياتك ـ الذين يعانون غالباً من بؤس الحياة ؟!

الحياة ذاتها ليست هي البائسة أو الظالمة، بل القائمون على التحكم بتسيير مجتمعاتنا والعالم هُم مَن يحوّلون جَمالها ومفرداتها الرائعة إلى مسلسل لا ينتهي من البؤس، فيقع الظُلم بشتّى مسمياته: الظُلم الاجتماعي، القهر السياسي، السحق الاقتصادي، فتكون الحصيلة بالتالي إنتاجهم لعالَم يُدار وفقاً لقانون الغاب: الأقوى يبطش بالأضعَف ويعمل على نهشه، ليصل البعض مِنّا إلى تمني الموت كي لا يشهد هذا الانحطاط الإنساني المريع!

أبطال رواياتي أبطالٌ مهزومون مقهورون غالباً. أبطالٌ لا يملكون من البطولة إلاّ ما استطاعوا الاحتفاظ به من إنسانيتهم ـ وهذا يكفي لمعاينة القليل من الحُب المفجوع، والدفء المنقوص، والقُبلات المحترقة الشِفاه، ولمسات الحنان المضروب: هذا يكفي لأن أُصَفّق لهم وأرثي أحلامهم البائسة في آن.

الكذب المبرر

هل الرواية ديوان العرب؟!

الروايةُ كِتاب العرب الآن، مثلما هي كتابُ العالم الأقرب إلى توثيق الحقائق. لقد ماتت الثقة بكل التوثيقات الأخرى: التاريخ، وقواعد البيانات، والأفلام التسجيليّة، والمذكرات، واليوميات، وسِجّلات المحاكم، وتدوينات المؤتمرات، وإحصائيات الجوع والفقر والتعليم، والدراسات الاجتماعية منزوعة الدَسَم، وأصابَ التزوير، والتلفيق، والحَجْب أوراقنا وأوراق العالم كافة، فباتت الروايةُ صاحبة «الكذب الصادق»!

نحن نكذب حين نكتب لنملك القدرة على احتمال الكذب الكبير الداعي بصفاقة لا تخجل أن نؤمن بمصداقيته. نكذب في الرواية لنقول الحقائق كما هي: كما نعاينها بحسبنا: كما يشكّلها خيالنا المحروم من أن يتجسّد على الأرض، فينطلق حُرّاً على الورق. نحن نواجه كذبة الوحش بكذبة الإنسان.

الروايةُ كِتاب العرب اليوم، ليس لأنها الأكثر مبيعاً. وليس لأنَّ الشِعر تراجعَ لأسبابه الذاتيّة ولأسبابٍ ذات صِلة بثقافة المجتمع. وليس لأنَّ السردَ الروائي أكثر ملاءمةً لسرد الحياة التي سُرِقَ الشِعرُ منها وطُرِدَ خارجها؛ بل لأنَّ الرواية هي نحنُ الجمعيّة: نحنُ التي تكتبُ جَمالها الموجوع، وتَسطُر خيول أحلامها مبحوحة الصهيل، وتشهدُ على انحسار إنسان منطقةٍ من العالم تهرعُ ملهوفة لتخرج من التاريخ!

الروايةُ العربيّة اليوم هي تأريخٌ لهذا التفتُت، ولعَلّها النذيرُ المكتوب لأفولٍ باتَ يُحْسَب بالعقود لا بالقرون!

شرط المحبّة

لِمَن تكتب؟

لنفسي أولاً، ومن داخلي، وبسبب ذلك يكتب فركوح لكِ ولمن يرغب مشاركته هذه المدونة الشخصيّة الخاصة. فإنْ تحقَقَ له وحازَ على قارىء أو أكثر؛ فإنه يكتب. يكتبُ لقُرّاءٍ محُتَملين يؤمن بوجودهم رغم جهله بهم. وباختصار: إلياس فركوح يكتبُ لِمَن يرغب أن يقرأ، وبشرط المحبّة.

---

* صحافية أردنية



ناقدة سعودية تشكو المضمون الواحد في نص المرأة المسرح

ملحة العبد الله: ترفض المرأة الرجل لتستمتع بالاستكانة تحت جناحه

حاورها: جمال عياد *



د.ملحة عبد الله كاتبة وناقدة مسرحية سعودية. كُرّمت في كثير من الجامعات في العواصم العربية كان آخرها جامعة الأزهر في العام ٢٠٠٧. لها خمسون مسرحية قُدم منها عشرون مسرحية في العواصم العربية، فضلاً عن دراسات جاءت في عشرة كتب، ولها نظرية في المسرح هي «البعد الخامس في التلقي والمسرح»، وتتمثل في إيجابية المتلقي وإيجابية المرسل، مع صنع العمل الفني في منطقة وسط يشارك فيها الاثنان بإثارة الخيال لدى المتفرج، وذلك بنحت الصورة وتعميق الصراع. وقد نالت جائزة «أبها» الثقافية على نصها المسرحي «أم الفاس»، وجائزة «الجيل الواعد» في الكويت على نص «حالة اختبار»، وجائزة خالد الفيصل في الرواية والمسرح، على مجمل أعمالها.

قدمت د.ملحة شهادة إبداعية في مهرجان المسرح الأردني الخامس عشر في دورته السابعة الذي أقيم في الفترة ١٤ - ٢٧

شهر تشرين الثاني ٢٠٠٨.

التقتها «أقلام جديدة»، في حوار تحدثت فيه عن قضايا وأفكار تخص المسرح، منها أهمية الارتقاء بمستوى النص المسرحي العربي من حيث المعنى والرسائل، ومدى التغيير الذي يمكن للمخرج إحداثه في النص، ووجود حساسية خاصة في النص المسرحي يمكن أن تتركها المرأة المؤلفة، وصورة الرجل في كتابات المرأة المسرحية، واستمتاع المرأة بالاستكانة للرجل.

بوصفك مؤلفة مسرحية، هل تعتقدين أن النص المسرحي العربي، استطاع أن يرتقي إلى مستوى التعبير عن الحالة الثقافية العربية أو العالمية من حيث المعنى والرسائل وسوية البنية الفنية لهذا النص؟

إذا تحدثنا عن النص العربي، لا بد من ذكر نوعين من النص المسرحي العربي، الأول الكتاب الرواد، والثاني الكتاب من الجيل الحديث.

اعتمد النوع الأول على النص التقليدي الذي علينا أن نقبله كما هو تقديراً لجيل الريادة، وهذا النص مثقل بالهموم العربية. أما النوع الثاني من النصوص التي كتبها الجيل الحديث فتتسم بالزخم من حيث الإنتاج، ما يعني أنها تُعنى بالكم على حساب الكيف، ويفتقد أغلب هذه النصوص للهندسة المعمارية. وهيمنة هذا النوع من الكتابة على أغلب العروض المسرحية، تؤدي بالضرورة إلى انهيار العرض.

أما عن الثقافة العربية في النص الدرامي، فهي غائبة ولا تصل للمتلقي بسبب غياب الحرفية في الكتابة، فقد منحنا الله، نحن - كتّاب المسرح- البلّورة السحرية، ومن يجيد امتلاكها يسحر الوجدان الجمعي، وهو ما يخلق المتعة لدى المتلقي.

أما بالنسبة للوصول إلى العالمية في النص العربي، فلا بد أن تتوافر له الترجمة من العربية للّغات أخرى، وقد خطت المملكة العربية السعودية أولى خطواتها على هذا الدرب وأنشأت موسوعة الأدب السعودي الحديث باللغة الإنجليزية، للنشر والتوزيع في لندن ونيويورك، وكان لي الشرف بأنْ تُرجمت بعض أعمالي المسرحية في هذه الموسوعة.

في حواري مع إحدى ممثلات فرقة "شكسبير" اللندنية حول النص المسرحي، قالت إنه إذا وُلد في كل قرن كاتب مسرحي حقيقي كشكسبير، فإن هذا كثير على البشرية. هل تتفقين مع هذا القول أم تختلفين، ولماذا؟

أنا أتفق مع هذا القول تمام الاتفاق، وأختلف معه تمام الاختلاف، في وقت واحد: أتفق معه لأن المسرح عملية سحرية تقوم على علم وثقافة، وللعلم بآليات الكتابة المسرحية النصيب الأكبر فيها. وأختلف مع هذا القول لأن الأمل موجود، وهناك كتاب مسرحيون مميزون لكنهم لم يوفَّقوا في نشر أعمالهم أو حتى التفرغ للكتابة، لأن الكاتب المسرحي

«كيف نعيش ملكوت الخيال.. بعيداً عن لقمة العيش؟!»

«.. ولو كان شكسبير بيننا ما أبدع نصّه الأول»

لا بد أن يحيا حياة صوفية مسرحية مليئة بالتأمل والانفراد بالذات وتوسيع مدارك الخيال.. لكن مؤسساتنا لا تهتم بالكاتب المسرحي.

أذكر هنا أن الكاتب المسرحي فريدرش دورنمات حينما استشعرت دولته نبوغه، قامت بتوفير كل متطلبات الرفاهية له، كي يتفرغ ويبدع. ولذلك كيف سيظهر مؤلف بمستوى شكسبير إذا كان لا يستطيع أن يعيش في ملكوت الخيال ويسهب في التفكير بعيداً عن ظروف تأمين لقمة العيش؟! ولا أبالغ إذا قلت إن شكسبير لو قُيض له أن يعيش في زمننا الحالي لما أبدع نصاً بمستوى ما أبدعه في زمنه الذي جاء فيه.

أعتقد أن هناك أسباباً أخرى لها علاقة بمستوى النص المسرحي العربي، عدا ما يتعلق بمستوى الحريات الممنوحة في التعبير، ومنها على سبيل المثال أن المسرح وليد المدينة الصناعية، ومدننا ليس فيها من المدنية الاجتماعية والثقافية أو الديمقراطية التي هي نتاج المدينة الصناعية، سوى المعمار والتقنيات، في حين ما تزال العلاقات البدوية والريفية تحضر بقوة في خطابها السياسي والثقافي، هل توافقينني الرأي أو لا؟

لا بد أن نصحح مقولة «المسرح العربي» إلى «المسرح في الوطن العربي»، هذه الإشكالية في التسمية دفعتني للتساؤل: لماذا لا تعشق الشخصية الريفية بثوب المدينة المسرحَ، ولماذا لا يضع الفلاح فأسه في آخر النهار ويذهب إلى المسرح؟ لقد أنجزت بحثاً في مئة وخمسين صفحة، للإجابة عن هذا التساؤل، واعتمدت على تسعين مرجعاً كي أحصل على إجابة، وقد تمخض عن هذا البحث اكتشافي وجود البعد الخامس في التلقي، وهو البعد الذي غاب عن كتابات النصوص العربية، فالشخصية العربية ما تزال في باطنها بدائية تعشق الفنون ذات البعد الواحد المسطح، كما في الرسم على جدران الكهوف أو رسوم الأطفال، أو الخط العربي، لأنها شخصية تجيد الخيال وصناعة التخيل، وما ساعدها على ذلك الطبيعة الجغرافية التي تعيش فيها، حيث الصحراء الممتدة الخالية من الجبال الشاهقة التي تكسر مدى البصر ورحابة السماء الصافية.. هذه الطبيعة عكس ما تضج به الطبيعة في الغرب من جبال وغيوم وثلوج..

تقوم الشخصية العربية (المتلقي) بتحويل الصور المسطحة إلى مجسمات ذهنية عن طريق الحكي وإثارة الخيال، ولذا يُقال إننا شعوب حكّاءة، نستمتع عن طريق



الأذن، بينما الغرب يستمتع عن طريق العين، ولذا كانت فنون الغرب منحوتة، وفي النص المسرحي يقدم لنا الكاتب شخوصاً منحوتة جاهزة علينا أن نتلقاها متفرجين سلبيين ، أما العربي فلا يقبل هذه المعطيات المنحوتة لأنه يحب أن ينحت هو الصورة ويضيف إليها من خياله، ولذلك لم يجد المسرح ضالته في وجدان المتلقي العربي، لعدم وجود كاتب مسرحي قدم شخوصاً كما في الفنون البدائية، يستطيع المتلقي المشاركة في نحتها والاستمتاع بذلك. وبرأيي هذا هو السبب الرئيسي الذي أقصى المتفرج العربي الشعبي عن المسرح.

وتؤكد كتاباتُ الداعين إلى مسرح عربي أصيل، مثل توفيق الحكيم ويوسف إدريس وعبد الكريم بورشيد. ما ذهبت إليه كلهم قدموا شخصيات منحوتة، كما في المسرح الغربي. لهذا السبب فشلت دعواتهم هذه لأنهم لم يأخذوا في الحسبان خاصية الخيال الخلاق الخصب لدى المتلقي العربي خصوصاً، والشرقي عموماً.

برأيك، هل هناك خاصية معينة للنص المسرحي الذي تكتبه المرأة، بمعنى وجود حساسية معينة يمكن للمتأمل تلمّسها في النص، ولا يمتلكها الرجل؟

لا توجد على الساحة الثقافية العربية نصوص نسائية مسرحية إلا شذرات أغلبها مهلهل البنية الدرامية، وذلك من واقع دراسة أجريتها بعنوان «صورة الرجل في أدب المرأة المسرحي». ثانياً، ليست هناك حساسية أو خاصية نسوية داخل النص المسرحي، ما عدا صوراً لشخصياتها المسرحية، مما نجده في مكنوناتها الداخلية، وعلى سبيل المثال صورة الرجل الذي يظهر في كتابات المرأة المسرحية على أنه شخصية سلطوية قاهرة، ولكن عند الغوص في تلك النصوص وتفكيكها نجد أنها هي من تصنع تلك الشخصية.

لماذا تذهب المرأة الكاتبة في هذا الاتجاه؟

كي تستمتع بالاستكانة تحت جناح الرجل، فهي دائمة البحث عن الأمان. وفي الخلفية التربوية يتم تعزيز عنصر الخوف داخل المرأة: الخوف من الأب والابن الأكبر والعيب.. كل هذه المخاوف تقود المرأة إلى عدم الاطمئنان إلاّ بجانب الرجل، فتتمادى في الخنوع له، بينما يستثمر هو هذا الخنوع فيتمادى في غيّه.

يرى عدد من المخرجين أن النص المسرحي ليس سوى عنصر من عناصر العرض، ومنهم من يتجرأ ويعيد صياغة النص بالكامل مدمراً بنيته الأساسية. ما موقفك من هذا الطرح في التغيير وإعادة صياغة النصوص من جديد، وما مدى التغير المسموح للمخرج إحداثه في النص؟

النص هو أساس العرض المسرحي، لأنه يحتوي على عنصر الصراع، فلا مسرح دون صراع. أما إلى أي مدى يتدخل المخرج بالنص، فهناك خمسة مداخل للنص المسرحي: سياسي، اجتماعي، نفسي، فلسفي وثقافي، وعليه أن يختار مدخلاً من المداخل، ويجعله عنواناً لعرضه، ليحمل رؤيته الإخراجية، فالمخرج إما أن يتبنى رؤية الكاتب،

وإما أن يختلف معه. ولكن بشروط وهي أن يحذف من النص ما يراه غير مناسب لرؤيته مع الإبقاء على الأعمدة الدرامية للنص. ولا يجوز له أن يضيف كلمة واحدة. هكذا ورد في القوانين. بحسب الدراسات النقدية التي تدرَّس في الكليات الجامعية. أما إذا قام بإعادة صياغة النص فيجب أن يكتب أن ذلك من إعداده وليس من تأليف المؤلف الأول.

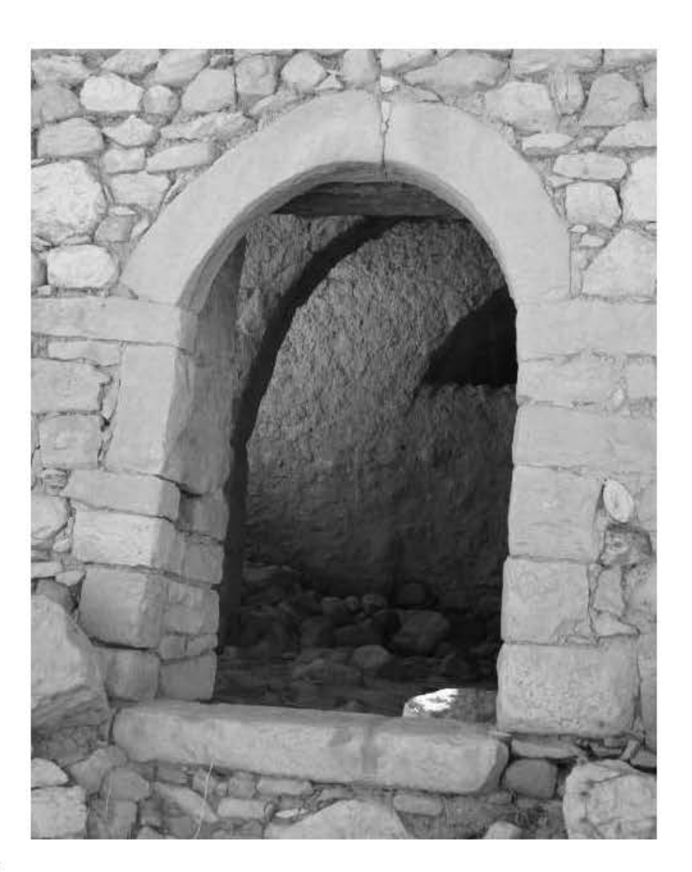
وهل يحق للمخرج أن ينشئ إعداداً جديداً على النص؟.. لماذا لا يؤلف هو نصاً خاصاً به، بدلاً من الاعتداء على نصوص الآخرين؟

نعم يحق له أن يعدّ. لكن بشرط أن يخلي مسؤولية المؤلف. ويكتب أن النص من إعداده هو مع الاحتفاظ بحق المؤلف الأصلي. ويقال هنا إنه من إعداده عن النص الفلاني.

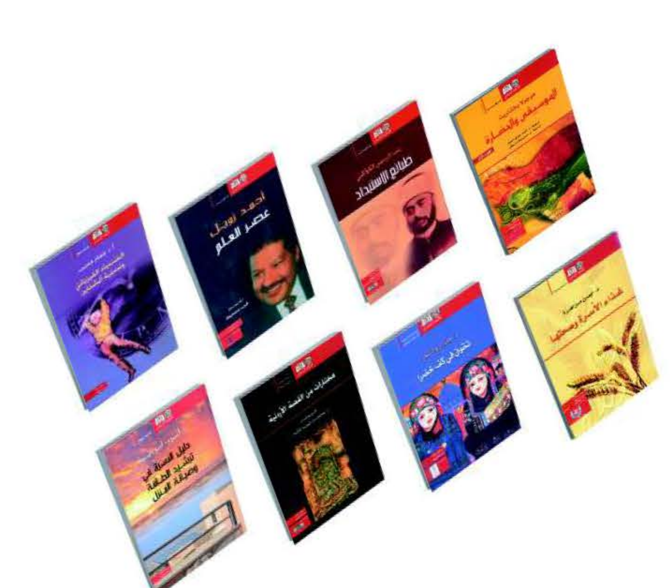
أما لماذا لا يؤلف المخرج نصاً خاصاً به. فلأنه لا يمتلك آليات وموهبة الكتابة. ويعجبه نصٌّ ما يريد أن يضيف إليه. وهذا ممنوع فيضطر إلى ما يسمى «الإعداد». وهناك أيضاً ما يسمى «الاستلهام». وهو اقتباس ثيمة رئيسية من نص ما أو موروث ما. وصياغتها في نص جديد وتأليف جديد. مثل مسرحية «جوكاستا» التي استلهمتُها من أسطورة أوديب.

---

* كاتب وصحافي أردني







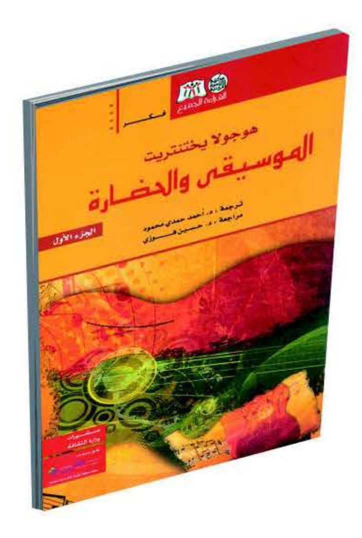
عدي الريماوي*

"الموسيقى والحضارة"..

في جزئه الأول.

يتحدث هوجولا يختنتريت عن أصول الموسيقى وارتباطها الوثيق بالحضارة، ويستعرض ضمن فصول الكتاب الأربعة تداخل الموسيقى بالكثير من الأحداث العالمية والتاريخية، ويتناول موسيقى اليونان، ثم ينتقل إلى الأناشيد الجريجورانية والفن الرومانتيكي، ويصل إلى العصر القوطي، ويختم بعصر النهضة.

ويعرض الكتاب، الذي ترجمه د. أحمد محمود وراجعه د. حسين فوزي، بحوثاً في علم الموسيقي وتاريخها ونظرياتها، ويستشهد بأعظم المؤلفات الموسيقية التي كتبت باللغة الألمانية، ثم ينتقل إلى الدور الذي لعبته ايطاليا في تاريخ الفن الموسيقي ولا سيما في الأزمنة القديمة، ثم يعرض لتطور الموسيقي الفرنسية التاريخية. ويؤكد المؤلف أن تاريخ الحضارة العامة من العلوم المساعدة المهمة لعلم الأبحاث الموسيقية، ويحاكي هذا الكتاب في بحثه كتاب الأغاني



للأصفهاني الذي تناول فيه صلة الموسيقى بالشعر العربي.

ويبدع المترجم المصري د.أحمد حمدي محمود في ترجمته، ونظراً لضخامة الكتاب فقد نشرت مكتبة الأسرة الجزء الأول منه، على أن ينشر الجزء الثاني منه في المستقبل القريب.

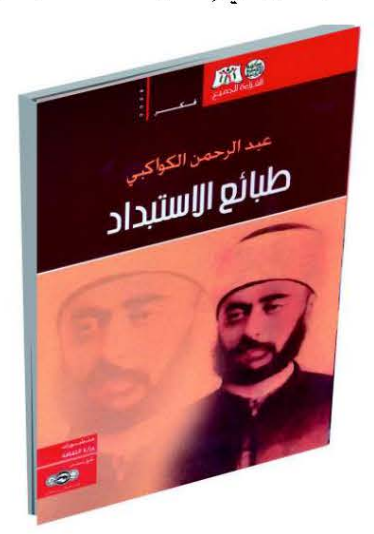
طبائع الاستبداد للكواكبي..

الحكمة في المقاومة.

المؤلف مفكر عربي مشهور ولد في حلب في ١٨٥٤، وترك كتباً من مثل «أم القرى» و«صحائف قريش»، وتنقل ما بين الجزيرة العربية وإفريقيا والهند، حتى استقر في مصر وتوفي فيها سنة ١٩٠٢.

ويعرف الكواكبي بمعنى الاستبداد، ويناقش الدين والعلم، منتقلاً إلى علاقة المجد بالمال والاستبداد، ثم يصل إلى علاقته بالأخلاق والتربية، من ثم إلى الترقي، وفي الختام يقترح الكاتب أفكاراً وحلولاً للتخلص من الاستبداد، وفي إحدى خلاصاته يصل إلى أن «الاستبداد لا يقاوم بالشدة، بل بالحكمة والتدريج».

ويحتوي الكتاب على صورة لورقتين من الأصل المخطوط، وهو من المخطوطات القليلة التي حفظت للكواكبي بعد فقدان الكثير منها، بالإضافة لمذكراته ليلة وفاته.



"أحمد زويل"..

مستقبل العلم عند العرب.

يتحدث الكتاب عن العالم المصري المعروف أحمد زويل الذي نال جائزة نوبل في الكيمياء لعام ١٩٩٩. ويقدم له الكاتب المصري المعروف نجيب محفوظ، إلى جانب تقديم المؤلف.

الكتاب الذي حرره أحمد المسلماني يتناول كثيراً من الأحداث التي عاشها زويل، وفيه جانب معلومات وافرة حول المعرفة ومستقبل العلم في الوطن العربي.

ويقع الكتاب في جزأين: الأول يتحدث فيه زويل عن سيرة حياته واصفاً المراحل التي مر بها، وتنقله بين النيل والمتوسط، وطريقه إلى



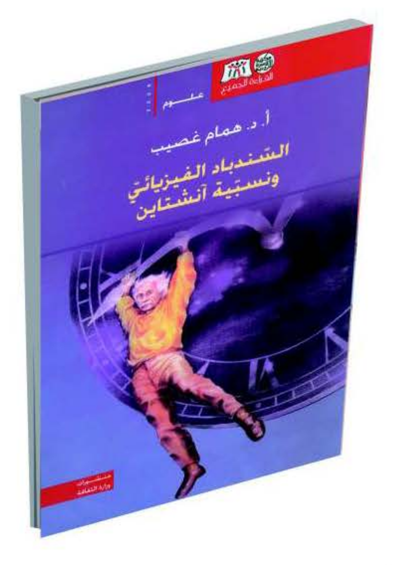


بلاد الأحلام، وأيامــه الذهبية في كاليفورنيا، ثم وصوله إلى نوبل، وأيام التكريم التي كانت أياماً من الخيال. وفي الجــزء الثاني مجموعة من المحاضرات التي ألقاها زويل حول مستقبل عالمنا والبحث عن المعرفة ومســتقبل العلم في العالم العربي.

وفـــي ملاحق الكتاب مشـــروع مبـادرة من أجل العلــوم والتكنولوجيا في مصر، وكلمة المؤلف في حفل منح قلادة النيل العظمى، و حفل تسليم جوائز نوبل.

"السندباد الفيزيائي ونسبية آينشتاين".. جديد هشام غصيب.

يتحدث أستاذ الفيزياء النظرية في الجامعة الأردنية المؤلف همام غصيب في هذا الكتاب عن نظرية النسبية الخاصة لألبرت آينشتاين التي تعـد من أعظم الإنجازات البشـرية في كل العصور.



ويشـــتمل الكتاب على محاضرة لغصيب ألقاها عن نســبية آينشتاين في قاعة المركز العلمــي الثقافي ســنة١٩٨٧، مضافة إليها لوحات الفنان الهولندي إيشر التي أخذت من كتاب «العالم اللامتناهي»، واللوحات - كما يــرى الكاتب - جزء لا يتجزأ مــن النص، الذي فيه رشاقة وعمق وعلم وفن.

ويتنــاول الكتاب المصطلحـات الفيزيائية المعقدة، من مثل تمدد الزمن وانكماش الطول، والزمكان وقياس الأزمنة، والنســبية الخاصة والنسبية العامة.

وفي الجزء الثاني مــن الكتاب، يورد غصيب قاموســاً للمصطلحات الواردة في المحاضرة، مرتبة بالأبجديــة الإنجليزية في الملحق الأول، والهجائيــة العربية في الملحــق الثاني، وفي الملحــق الثالث يــورد قاموس أســماء الأعلام الواردة فـــي النص، أما الملحــق الرابع فيضمّ الترجمة الإنجليزية «الأمينة» لورقة آآينشتاين الرئيسـية في هذا المجال.

"دليل الأسرة في ترشيد الطاقة".. حلول واقعية.

يجيء هــذا الكتاب في محاولــة لمواجهة أزمة الطاقــة المتزايدة في العالم، ويســعى د.أيــوب أبو دية لتقديم دليل وافٍ للأســرة في ترشيد استهلاك الطاقة وصيانة المنازل التي تعاني من الرطوبة وتساقط الدهان.

يتناول الكتاب بفصوله الثلاثة المشــكلات المختلفــة التي تتعرض لها المنــازل في الأردن،



ويتحدث عن الرطوبة التي تعاني منها الأبنية، ويتتبع مصادرها وأضرارها بالأبنية، ويضع حلولاً لمواجهة مخاطر الرطوبة، وحماية المنازل من أضرارها بأقل التكاليف. وينتقل المؤلف معرّفاً بمواد العزل الحراري المتوافرة في الأردن، مميزاً بين خواصها واضعاً الكثير من القواعد للمحافظة عليها، ويبحث في أهمية عزل أسطح الأبنية حرارياً، مناقشاً طرق حماية المادة العازلة من الرطوبة.

ويبحث أبو دية، كذلك، في الطاقة، وأساليب ترشيد استهلاكها وتوفير المياه في المنازل. وفي حديثه عن الطاقة الشمسية والحرارة الجوفية يطرح عدداً من البدائل التي تساعد في توفير الطاقة، وينصح بزراعة الأشجار، ويبحث في الحصاد المائي وما يوفره من فوائد عظيمة تحسّن الوضع البيئي العالمي.

"غذاء الأسرة وصحتها"

لأيمن مزاهرة.

يستعرض المؤلف أصول التغذية، ويناقش الطرق الصحيحة للحميات الغذائية وعادات الطعام الصحّية.

ويتحدث عن طرق توفير الغذاء وأسس التغذية الصحيحة، ويقدم طرقاً تساعد في حفظ الأطعمة، ويوضّح تفاصيل تقديم وخدمة الطعام، وموضوع الصحة الأسرية والحميات الغذائية، ويورد قائمة بالأعشاب الطيبة المفيدة.

وينقل الكتاب وصفات علمية دقيقة، وطرقاً مختلفة في تنويع الطعام، والمحافظة على أسسه الصحيحة، ويورد مجموعة من الحميات الغذائية التي تراعي جميع قواعد الطعام الصحي.





"شقوق في كف خضرا" لهند أبو الشعر.. تفاصيل يومية.

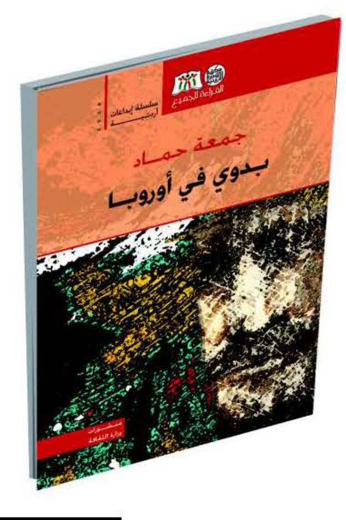
في مجموعة د.هند أبو الشعر القصصية المنشـورة لأول مرة سنة ١٩٨٢، نقرأ ١٩ قصة قصيرة، يتخللها الكثير من المعاني الإنسانية ومواقف الإنسـان العادي كل يوم، وتتناول أبو الشعر تفاصيل أحداث عاشتها شخصيات من أطياف ومنابت مختلفة.

والمؤلفة د. أبو الشعر تحمل درجتها العلمية في التاريخ من الجامعـة الأردنية، وقد عملت فـي وزارة التربية والتعليم فـي إدارة المدارس الثانويـة، ثم انتقلت للعمل فـي جامعة آل البيت منـذ تأسيسـها، ومـن مجموعاتها القصصيـة: «المجابهة»، و«الحصان»، و«عندما تصبح الذاكرة وطنا».

وفي قصص «الخدر»، و«الخـوف»، و«التبرير» تتحدث القاصّة عن معاني إنسـانية كبيرة، من خلال قصص قصيرة معبرة، وفي قصص أخـرى مثل «رائحة الصنوبـر»، «الصبار والحر وأشـياء أخرى» و«المطر يغسـل كل شـيء»، تنقل الكاتبة أحاسيس ومشاعر شخصياتها لقارئهـا بكل سلاسـة، أما فـي « الصقور»، «الضباب» و«صراع» فيدخل القارئ في أجواء غاضبة تختلف عن باقي القصص.

"بدوي في أوروبا" لجمعة حماد

فـي رواية» بـدوي فـي أوروبـا»؛ للكاتب الأردني الراحل جمعة حماد تبرز» الذّات»؛ غير القابلة للانصهار، الذات التي تعي نفسـها، وتدرك مـا لها مـن مقوّمات، وفـي القصّة؛ فـإنّ بطلها لا تسـكنه عقـدة الأجنبيّ أو» الخواجـا»، ولا تنـال منه؛ بـل إنّ العلاقة التي يرسمها جمعة حمّاد بين الشرق والغرب، من خلال سـالم الترابين وعبـد اللّه الألماني، هي علاقـة متميّزة، وعلى ما يـرى المفكّر الأردني إبراهيـم العجلوني، فإنّ بطـل» عصفور من الشـرق» لتوفيق الحكيم كان مبهوراً بثقافة باريس وبألوان العلاقات الإنسـانية فيها، بل إنّ بطل الهجرة إلى الشـمال للطيب صالح كانت لديه وقائع غريبة في عاصمة الضباب، كما أنّ» أديب» طه حسين، كانت له صدمته الحضارية، ومأسـاته المحزنة... ومن ذلك يظفر العجلوني بالسـماحة الروحية التي تتجلى من خلال» بـدوي في أوروبا»؛ والتي هي أنموذجٌ ومثالٌ على» البساطة العبقرية»، أو» عبقرية البساطة» عند الراحل حمّاد.



* كاتب وصحافي أردني



ثقافة وفنون

مهرجان المسرح الأردني الخامس عشر.. وجهات نظر

إبراهيم السواعير*



بإسدال الستارة على مهرجان المسرح الأردنيّ الخامس عشر؛ ثمّة سؤال: هل نصل إلى درجة من الموضوعية القاسية، نحجب فيها مشاركاتنا الأردنيّة في المهرجان، إلى جانب عروض عربية ضيفة؛ إن لم نحقق الشروط الدنيا من متطلبات العرض؟! وهل نصل إلى مكاشفة؛ نتدخل بها في العروض المرشحة عربياً في مهرجاننا؛ عن طريق لجنة مشاهدة، تنأى عن «كوتات المشاركة»، والتأهب لردّ الزيارة؛ كما صرّح متابع؟!

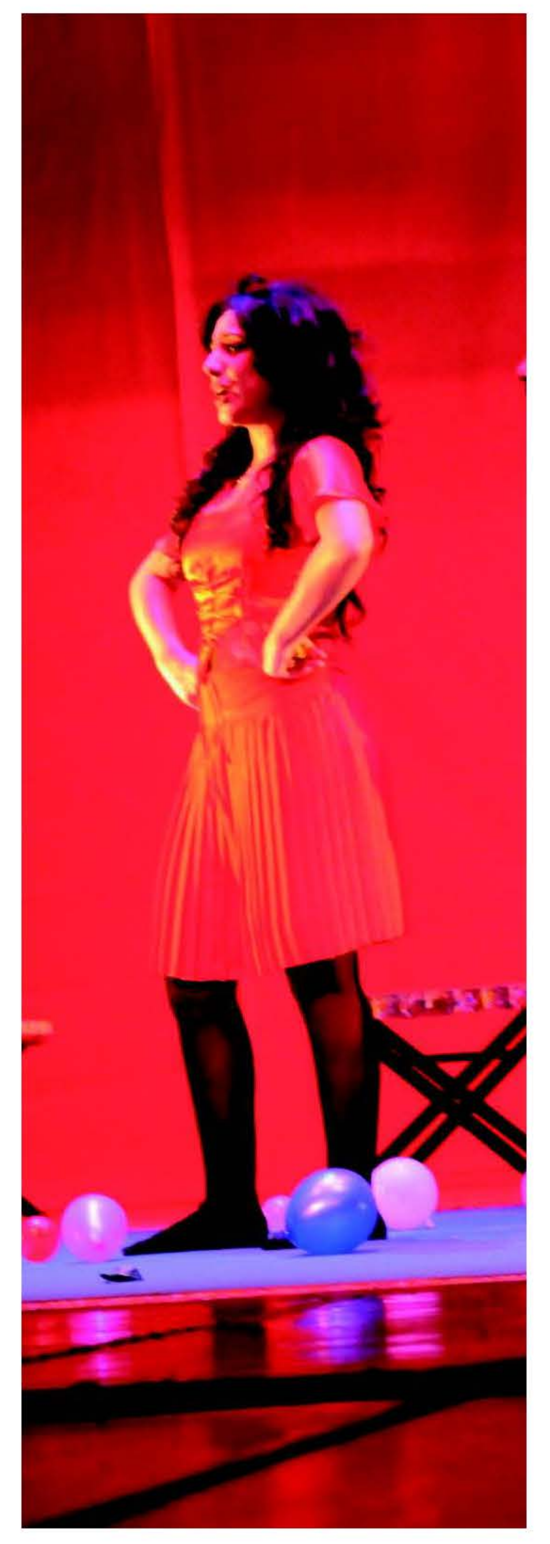
وهل لبّت عروض مهرجاننا في دورته الخامسة عشرة، السابعة عربياً، الذائقةَ الناقدة؛ أم كانت «مشاعاً» للفهم؛ سلباً أو إيجاباً؟! وهل استنفدت العروض العربية والمحلية نفسها في خطابها السياسيّ؛ لترتدّ إلى خطابها الذّاتيّ، الإنسانيّ، حسب؟! وهل صحيحٌ ما يُشاع أنّ غاية المهرجانات التأشير على عرض أو عرضين جيدين، دون الالتفات إلى الكمّ المشارك؟!

وهل يمكن اعتماد مؤشر انسحاب «العائلة» بعد دقائق من العرض دليلاً على سياسة مسرحية غير ملائمة؟! وهل وصلنا إلى توليفة ما ينطق بها المسرح صامتاً؛ ولا نكلّم الناس فيها إلا رمزا؟!

وتجيء «هل» الكبرى؛ لنقيّم المهرجان، الذي انعقد في عمان، من الرابع عشر من تشرين الأول الماضي حتى السابع والعشرين منه، ونصل إلى كلمةٍ سواء يشترك فيها المتخصص والهاوي والمواطن العادي.

مسرحيّون ومتابعون طالبوا بالتحقق من القيمة الفنيّة لعروض مهرجان المسرح الأردني في دوراته المقبلة، وتوخي الموضوعية القاسية بحجب مشاركاتنا الأردنيّة في المهرجان، إلى جانب عروض عربية ضيفة؛ إن لم نحقق الشروط الدنيا من متطلبات العرض، والاتفاق على مكاشفة؛ نتدخل بها في العروض المرشحة عربياً عن طريق لجنة مشاهدة، تنأى عن «كوتات المشاركة»، والتأهب لردّ الزيارة.

مدير المهرجان د. سالم الدهام وافق على كثير من مطالب المسرحيين وأقرها؛ مورداً أن ميزانية المهرجان لهذا العام كانت أقل من ٣٠٠ ألف دينار، وهي تقارب موازنة المهرجان في العام الماضي؛ على الرغم من أنّ مجاميع المهرجان في دورته الرابعة عشرة من ضيوف وصحفيين وفرق مشاركة ولجان عاملة توازي مثيلاتها في العام الماضي؛ مع الأخذ بعين الاعتبار ارتفاع الأسعار الحاد والغلاء الذي عم مختلف مناحي الحياة هذا العام، ما عكس ارتفاعاً في كلف مفردات المهرجان وخدماته



المشتراة. مبيّناً أنّ إدارة المهرجان ولجنته المالية كان لها الدور الأكبر في ضبط نفقاته وتقليصها إلى أبعد حد ممكن.

الحديد: إشراك النقابة

نقيب الفنانين المخرج شاهر الحديد قال: أطالب أن تُراقب العروض التي تأتينا مراقبةً حازمةً؛ فإن كانت ذات سويّةٍ فنيّةٍ قبلناها، وإلا ما المانع أن نسدّ عليها الطريق؟!

وسأل: هل يعني دعمنا الفنان الأردني ألا نتحقق من صلاحيّة ما يقدّمه؛ وكان الأَوْلى أن تُعرض الأعمال قبيل المهرجان في أكثر من محافظة لنتعرف إلى أخطائنا ونعالجها قبل أن نخرج بها على الضيوف مرةً واحدة؛ وكنا نتمنى أن نصل إلى وضعٍ مريح على الأقل؛ غير أن العروض بالمجمل لم تلبّ ما كان متوقّعاً؛ والأمل هو أن نصل إلى صيغةٍ مع وزارة الثقافة بحيث لا تعرض مسرحية دون المرور بقنواتها المعهودة؛ علماً بأن وزارة الثقافة لم تتوانَ في الدعم السخي؛ ولكن المسألة هي في وقت التكليف المتأخر.

وتمنى أن نتخلّص من تشجيع الأعمال دون مسوّغ فني؛ ومن حق أي فنان أو متابع أن ينتقد الافتتاح أو الختام، وهذا مشروعٌ للجميع.

وأضاف أنّ المسرح عندنا في الأردن قطع شوطاً جيداً؛ غير أننا نريد منه أن يتأطّر أكثر، خصوصاً أنه كان في بداياته ينظر إليه على أنه «عيب»، أو ترف، وأرجو أن تعلم أنّ العمل الجيد يفرض نفسه، وأن أعمال الهواة والاستناد فقط إلى السمعة العالية لا يصنع فنّاً مسرحياً منافساً يتجدد، ونحن في الأردن ليس عيباً أن ننتقد أنفسنا قبل أن ينتقدنا



الضيوف العرب؛ ولكن هذا لا يعني أن هنالك عروضاً جيدة في المهرجان، مع أن المجمل يشير إلى عكس ذلك.

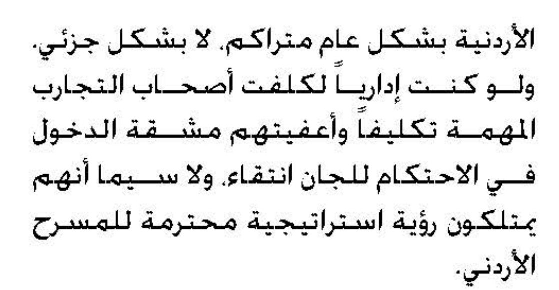
وقال إنّ اليد الواحدة لا تستطيع التصفيق؛ وآمل أن تكون لنقابة الفنانين في العام المقبل اليد الطولى في المهرجان، وأنا أحترم دعم الوزارة كثيراً، ولكن علينا أن نتبنى الموضوعية ولا نحيد عنها، وإذا كان عندي مطلبٌ فيتمثل في أن تدعم الوزارة منذ بداية العام المسرحية الأكثر نجاحاً، لا أن تكون بروفات العمل الأردني تجري والضيوف قد حلّوا والمهرجان قد بدأت عروضه.

غنّام: غياب النقد

المخرج غنام غنام أكّد أنه لا بد من سياسة واضحة للمشاركات الأردنية، خاصة إذا ما وضعنا في الاعتبار أن العروض العربية المرشحة يجب أن تكون قد اختبرت بالعرض في بلادها، ويكون اختيارها بناء على العرض لا على النص (مثلاً) كما يحدث عندنا، وبالتالي لا بد من الاستماع إلى ما قلناه مراراً وتكراراً وهو أن يتم الاختيار من عروض سبق اختبارها، وأن لا يكون العرض الأول في المهرجان، لأي كان، وهذا لا يعني أن مسرحيات أردنية لم تكن أفضل من العربية، مضيفاً: لا أقبل ونحن ننظم المهرجان إلا أن نكون الأفضل بشكل حاسم.

وقال: هناك مسألة أخرى، وهي أننا يجب أن لا نغيب التجارب الناضجة عن المهرجان بحجة إعطاء الدور للتجارب الشابة ، فأنا مع التجارب الشابة ، ومع منحها فرصة في المهرجان إلى جانب التجارب التي تمتاز بالنضج، فالصورة المتحصلة في المهرجان يجب أن تصور محصلة الجهود المسرحية





الأردنية بشكل عام متراكم، لا بشكل جزئي. ولو كنت إدارياً لكلفت أصحاب التجارب المهمة تكليفاً وأعفيتهم مشقة الدخول في الاحتكام للجان انتقاء، ولا سيما أنهم يمتلكون رؤية استراتيجية محترمة للمسرح الأردني.



وحول المشاركات الخارجية نصح أن تخضع للمشاهدة والرفض والقبول، حتى يعفى المهرجان من نصف مسافة الهبوط، ونرتقي بمستواه، مدللاً: لا يعني ترشيح دولة ما لعرضها، أنه امتلك الحق في أن يرهق مهرجاننا بوجوده. كما أن وجود لجنة رقابة ترفض وتقبل يعطي المهرجان أهمية وثقلاً، فتصبح المشاركة في المهرجان أشبه بعلامة الجودة يعتز حاملها بأن عرضه كان مقبولاً في مهرجان المسرح الأردني.

وصرّح بأن المهرجان لم يحمل خلال أسبوعين أكثر من عرضين أو ثلاثة عروض معقولة، وهذه نتيجة حرمت الذائقة المسرحية من الارتقاء، وحرمتنا الفعل النقدي من المجال الحيوي الذي ينتعش فيه.

وحتى على صعيد الندوات النقدية، قال إنه لا يستطيع الإقرار بخبرة كل من أتيحت له الفرصة أن يُسجل باحثاً فيها؛ وبالتحديد في موضوع المرأة و المسرح، وإنه مع التدقيق في مشاركة الباحثين والأبحاث بشدة أكثر من التشديد على العروض، ليكون البحث تقصياً ومغايرة واستئنافاً، لا قصاً من كتب و أبحاث سابقة، وقال: ربما هذا هو ما جعل ندوة استماع شهادات المكرمات أغنى وأقرب لنفوس المنتدين، الذين عبروا عن ذلك صراحة. وأجاب عن مدى استنفاد العروض العربية والمحلية نفسها في خطابها السياسيّ؛

لترتدّ إلى خطابها الذّاتيّ، الإنسانيّ، حسب؟: من قال إن الخطاب السياسي استنفد، أو أنه لا يقبع في عمق الخطاب الذاتي، أو أنه نقيض الإنساني، مبيّناً أنه لا يؤمن بهذا التضييق على الإبداع، فالمبدع حر في التعبير عن اللحظة من خلال ذاته وعن ذاته من خلال اللحظة.

أما في ما يتعلق بغاية المهرجانات التأشير على عرض أو عرضين فقط؛ فقال: من المؤكد أن هذا هو عزاء فقط، فالمفترض أن المهرجان الأردني يشبه كأس الكؤوس أو بطولة أبطال الدوري، ويفترض أن يكون الضعف في عرض أو عرضين، لا أن يكون الجيد كذلك.

وفي ما يخص «انسحاب العائلة»؛ بوصفه مؤشراً على سياسة مسرحية غير ملائمة، نفى بقوله: لأن العرض المسرحي لا يجب أن يكون مصمماً ليرضي الجميع، وإذا اصطدم بذائقة وأفكار البعض فهذا لا يعني مشكلة كبرى، معترضاً على تسميات» مسرح العائلة»، أو سواها من التصنيفات.

وعن لغة المهرجان قال: أنا مع اللغة الأبلغ توصيلاً، فإذا كانت الإيماءة أبلغ من القول، فليذهب الحوار المنطوق ولتأتي الجملة الحركية، وإذا كانت الموسيقى أبلغ فلتتقدم و لتتقهقر اللغات الأخرى، شريطة أن تكون اللغة المتقدمة فصيحة، بليغة، واضحة، غير ملتبسة، و إلا فالحركة الملتبسة والإيماءة الغامضة هي لغة متلعثمة، مليئة بالتأتأة.

أما الاختصاص، فقال غنام بأهمية مؤكداً أن عنونة المهرجان تعني وضوح برنامجه، وتعني نسقاً ونظاماً وروحاً وانسجاماً، أما خلط المستويات والخبرات والمناهج فهو ما يؤدي إلى خلط في المحصلة، وانطلاقاً من ذلك ختم بأن مهرجاننا بحاجة إلى تحديد ملامح،



ونسق وأهداف.

القصص: العرض الأميز

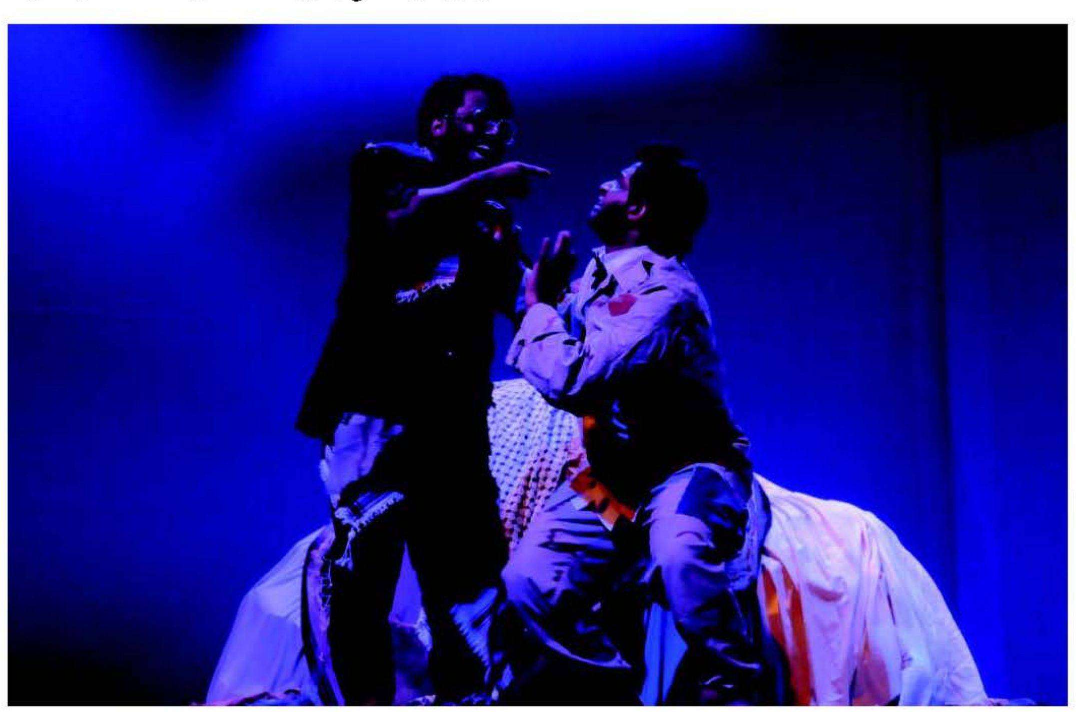
الناقدة والمخرجة المسرحية مجد القصص انطلقت في تقييمها للمهرجان من أنّها لا تستطيع القول إنّ دورته قد تمت بنجاح على جميع مستويات الفعاليات المقدمة فيه كما تتمنى؛ فقد تباينت في شكل الدورة، ومع أنها نجحت على الصعيد التنظيمي والإداري، ونجحت في محور المرأة والمسرح والندوات الرئيسة التقييمية للعروض؛ إلا أنها تعثرت قليلاً في نوعية العروض المقدمة.

وأضافت: حتى في قضايا التنظيم، لدينا بعض التحفظات، وإذا كنا ننتقد، فإن الهدف هو البناء وليس الهدم، ونحن نسعى من وراء النقد لكي تتهافت على مهرجاننا العروض والنجاحات؛ انطلاقاً من كونه قيمة فنية عالية وعربية، ويحتشد المهتمون والمتخصصون للقدوم إليه.

وفيما يخص العروض بيّنت القصص أنه لا بد من فتح الباب، ليس فقط للوزارات في الدول الشقيقة وإنما أيضاً للفرق الخاصة؛ متمنيةً ألا نقبل عرضاً من أي دولة إلا بعد التمحيص والتدقيق بعيداً عن البروتوكولات والمجاملات التي لا نستطيع الركون إليها في الساحة الإبداعية.

واقترحت أن نطلب من الدول المشاركة ثلاثة عروض ونختار لجنة محايدة ذات ذائقة نقدية معروفة بحياديتها، معترفةً أننا إن نحن فقط اعتمدنا على ترشيحات الوزارات من دون تمحيص فإنّ العروض الضعيفة سترسل إلى الأردن، والقوية إلى القاهرة، والأقوى والأميز إلى قرطاج!

وفيما يتعلق بعروضنا المحلية أكدت أنّ علينا





ألا نسمح لأي عرض محلي أن يراه الناس قبل مشاهدته، مع أن فيها عروضاً مميزة.

أما على صعيد النشرة التي تعودنا عليها دائماً في ألق- والقول للقصص- نتبادل فيها الخبرات بأقلام عربية وأردنية؛ فجاءت هذا العام لتقع - باستثناءات معينة قليلة- في مطب غياب الناقد الحقيقي عنها، مضيفة أن النشرة بقيت بعيدة عن دورها في نقد العروض وتبادل الخبرات والتعريف بمسرحيينا؛ واتجهت إلى» النكتة» والبسمة والسخرية؛ ومع أن البسمة ضرورية- على ما ترى- فإنها ليست ضدها إلا أنها لا تراها مكاناً للأخذ بـ» الثأر»؛ بل هي الوجه الحضاري الثقافي للمسرح أصلاً.

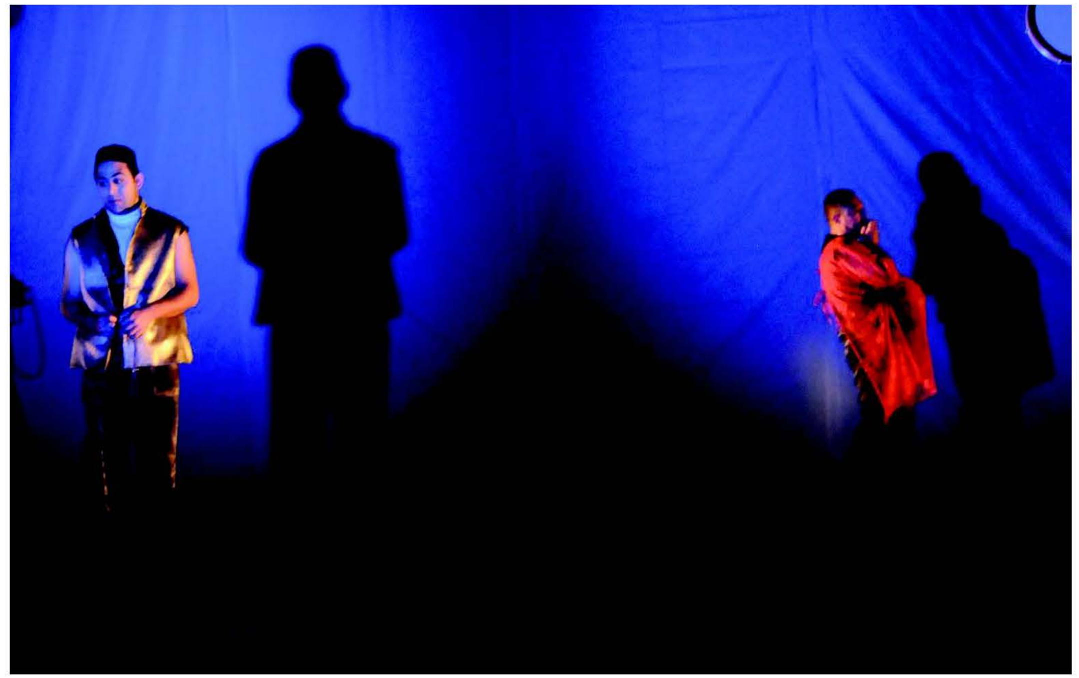
وإذا لم تحقق عروضنا الحد الأدنى من شروط قبولها فلم لا نحجبها؟!.. مضيفةً: ونحن نعاني في الأردن من ندرة النقد المسرحي؛ فهو في معظمه انطباعي؛ وإذا كانت غايتنا فقط التأشير على عرض أو عرضين ناجحين فهذا يعني أننا نتجه نحو الوراء. أما انسحاب العائلة فمؤشر يجب أن نعترف به، لا سيما حين يقول الجمهور كلمته وتنسحب العائلات بالجملة.

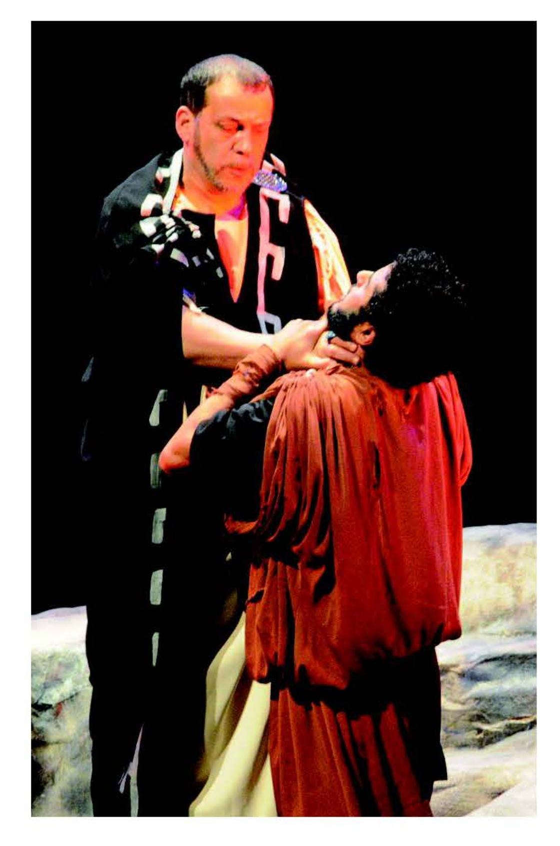
الدهام: موضوعية الحوار.

مدير مديرية المسرح في وزارة الثقافة، مدير المهرجان د. سالم الدهام استهل بقوله: ما أسهل أن يصيبنا الزهو فنخدع أنفسنا قائلين إنّ المهرجان قد نجح! وما أيسر أن يغمطنا الآخرون المهرجان فيقولوا فشل المهرجان ولم يحقق أهدافه! مضيفاً أن المسألة ليست على هذا النحو أو ذاك؛

فالنجاح نسبي قياساً إلى الظروف العامة والإمكانات المتاحة والوقت المبذول وغير ذلك. كما أنّ الفشل النسبي لا ينفصل عن نسبته إلى جملة الظروف والأحوال السابقة.

أما عن تقييمه الشخصي للمهرجان فقال: بكل بساطة يمكن القول إنّ الأهداف العامة له قد تحققت. فقد شاهدت على مدى أربعة عشر يوماً عروضاً مسرحية عربية ومحلية تراوحت ما بين مسرح جاد وهادف توفر على الشروط والمواضعات الفنية المسرحية وأخرى اجتهد فيها مقدموها؛ فنجحت في جوانب وأخفقت في أخرى؛ موضحاً أنّ العرض المسرحي مزيج بين جهود كثيرة تتوزع بين مؤلف النص وممثليه ومخرجه الذي يعيد خلقه ليقدمه على الخشبة برؤية مخالفة أو موافقة لوجهة نظر المؤلف. وربما يدخل بينهما ما يعرف بالدراماتورج وهو بيت الخبرة الذي ينير الأفق المعتم للمخرج في جوانب كثيرة تعينه على بلورة رؤيته الإخراجية بشكلٍ أعمق وأنضج. وقال: ثمة عروض مسرحيةٍ أنتجت لتستهلك كوجبة سريعة الهدف منها سدّ الجوع وملء البطن. والحقيقة أنّ مثل هذا التجاوز والحضور بين أعمال جادّة وأخرى هامشية يحدث في جميع المهرجانات التي لا تحدد الملامح العامة لما تريد وتترك الأمر مفتوحاً باتجاه ما يجود به الخيّرون. مستدركاً أنه لا يقصد بالملامح العامة وضع شروط مقيدة لحركية الإبداع المسرحي بل أطر عامة متعددة يمكن الاتكاء عليها كأن تكون العروض المسرحية ذات مضامين إنسانية عامة بعيدة عن الإسقاطات المحلية والتاريخية والجغرافية أو إيمائية حركية سينوغرافية أكثر منها حوارية مثرثرة أو واقعية اجتماعية تمثل خصوصية محلية أو غير ذلك. موضحاً أنّ ذلك يمكن أن يتم دون تحديد صارم من خلال تقديم جوائز تدفع بالاتجاهات المطلوبة





كأن تكــون ثمة جائزة في دورة مســرحية ما لأفضل تشــكيل ســينوغرافي وأخرى لأطول عرض وأقصر نص، وأخــرى لأطول أداء تمثيلي، وأخرى لأفضل نص واقعي وهكذا بحسب ما نريد مــن المهرجانات. وأضــاف: لعل المهرجان برمّته، بنجاحاتــه وإخفاقاته، بما له وما عليه لا يقل مســتوى عن المهرجانات العربية التي أتيحــت لنا الفرصــة لحضورهــا أو متابعتها من خلال وســائل الإعــلام المختلفــة. وعن دور الوزارة قال: لا تتحمل وزارة الثقافة مسؤولية اختيار مشروع مسرحي لم يرق لمستوى أذواق النقــاد والمتابعــين، وإن كان ثمــة من يتحمل هذه المســؤولية فهــي اللجــان المتخصصة التي أكدت أنها اختارت مشــاريع ورقية لكن مسـؤوليتها تظل قائمة في كل الأحوال، فمن واجبها متابعة هذه المشاريع وهي تترجم إلى عروض مسرحية أولاً بأول.

واعترف د. الدهام بأن ثمة إشــكالات تواجه الحركة المسرحية عامة والأردنية خاصة، ومنها عدم وجود كتاب مسرحيين ألمعيين بما يكفي لنشــوء نهضة مســرحية؛ فهم قلة قليلة، ومهما قيل عن هامشــية النــص في العمل المســرحي إزاء ما أسبغ على المخرج في أدبيات النقد المســرحي من قدرة خارقة على بث روح الحياة في أي نص مسرحي مهما كان ضعيفاً أو هزيلاً لتدب الحياة فيه من جديد.. ساخطاً: هذا هراء؛ فالمخرج لو كان يمتلك مثل هذه القدرة لما كان ثمة حاجة به للمؤلف المسرحي أصلاً.. ولو كان المخرج علــى هذه الدرجة من الأهمية لما برزت الحاجــة للدراماتورغ الذي يعينه على رتق رؤيته الإخراجية وحبكها وشــد خيوطها بشــكل أفضل.. وقــال: نعم يمكــن أن يكون دور المخــرج مهماً في بلورة وجهــة نظره لكن بالاستناد إلى وجهة نظر المؤلف أولاً، وربما كان قادراً على زحزحتها يمنة أو يسرة فتنفلت منه لمســة جمالية تعيد تجميل العرض المسرحي بإيحــاءات جديــدة أكثر جمالاً لــم تكن واردة من قبــل، مضيفاً: إنه يقــوم بعملية ترميم وجراحــة تجميلية؛ لكن الجراحــة التجميلية أحياناً تخلق قبحاً لا يغادر وجه العمل أبداً.

وأضــاف د. الدهــام: إن اشــتراك أطــراف عديدة في العمل المســرحي سواء المؤلف من خــلال النص أو المخــرج أو الممثلــين أو مصمم السينوغرافيا، كل ذلك يجعل عملية التطوير ضرورية في كل الاتجاهات فعلى المخرج أن يبدع في توزيع الأشــياء داخل الفضاء المسرحي بما





يعينه على تجسيد أفكاره الخلاقة وكذا الحال بالنسبة لمصمم السينوغرافيا؛ فعليه أن يقدم كل ما يحمل وجهة نظر ناطقة تجسد البعد الرؤيوي للعمل ليقف مع النص جنباً إلى جنب في تشكيل الخطاب المسرحي الذي يمكن أن يستحيل صورة بصرية أكثر منه قولاً وحواراً.

وختم د. الدهام بأنّ علينا أن نتلمس الحلقات الضعيفة في فقرات العمل المسرحي، ونصب الجهد عليها من خلال الندوات المتخصصة والكتب المدعومة والمنتجة من قبل الوزارة والاستعانة بجميع المتخصصين لتقديم رؤاهم العملية للنهوض بالحركة المسرحية من خلال ورشات خاصة، ليصبح المسرح كائناً موضع اهتمام حقيقي نشهد تعافيه وتقدمه ومن ثم مساهمته في أخذ دوره الطليعي في رفد الحركة الثقافية المجتمعية وتنوير الناس وتبصيرهم برسالته الهادفة.

الملكاوي: المركز الإعلامي.

وقال مستشار وزيرة الثقافة الإعلامي محمد الملكاوي: أستطيع أن أناقش أيّ معترض على نشرة المهرجان؛ ولأنها جزئية من المركز الإعلامي الذي وفرته الوزارة فإنّ الإنصاف يقتضي على كل من ينتقدنا إعلاميين أن يسأل كيف كنا فريقاً متكاملاً، نسعى لتوفير كل ما من شأنه أن يسهل مهام الضيوف العرب، بل وحتى صحافيينا الذين يبثون أخبارهم لصحفهم؛ فقد حجزت الوزارة في الفندق قاعة محترمة للإعلاميين، بعيدة عن الضوضاء، موفّرة بأحدث أجهزة

الحاسوب، بحيث كان الجميع شاكراً، ينجز عمله بحرية تامة، وكان يقوم معنا في جلب أخبار النشرة فريق من خيرة زملائنا الصحافيين والإعلاميين، وكانت الصحف العربية تأخذ أخبارنا أولاً بأول عن طريق من استضفناهم بدعوة رسمية لتغطية فعاليات المهرجان.أما فيما يخص النشرة، فردّ الملكاوي بقوله: مع أننا لا ندعي الكمال، غير أننا اتبعنا قواعد مهنية وعلمية انبنت على تخصص من يكتبون فيها، وخبرتهم الصحافية أولاً والمسرحية والثقافية ثانياً، كما تأسست على زوايا لطيفة يكتب فيها الصحفيون ملاحظاتهم الناقدة أو الواصفة لما يشاهدونه وتقع أعينهم عليه؛ سعياً وراء تقويم الضعف أو التنبيه لحالة أو إنصاف عرض أو خلق حراك أو سِجال.

وأضاف الملكاوي: احتوت النشرة، كذلك، على حوارات مع ضيوف عرب ومحليين، بل ومشاركات بأقلامهم، فهم لهم الحق في أن يكتبوا وينقدوا، وبلغت الشفافية في النشرة أننا نشرنا ردوداً من فنانين احتجوا على ظاهرة، أو ناقشوا قضية، ونشرنا لآراء عربية متخصصة في النقد نقدت عروضنا نحن والعروض المشاركة؛ فهي شفافية قلما تتوافر في كثير من المهرجانات، وقال: أذكر أن الجميع كان فرحاً بهذا الجهد وكانت النشرة غالية في يد قارئيها، وكنا لم نقصّر في الاستماع لأي زائر، وكانت توزع في موعدها. وقال إن النشرة كانت تطبع في أوقاتها ولا تتأخر عن يد القارئ في المركز الثقافي الملكي أو أي مكان آخر، وكانت تطبع بشكل لائق

إعلان

أقلام جديدة - تعلن أسرة تحرير مجلة «أقلام جديدة» عن فتح باب المشاركة في مسابقة الإبداع الأدبي في الشعر، والقصة القصيرة، والنص المسرحي، والسيناريو. فعلى من يرغب بالمشاركة تقديم نصه الإبداعي بنسخة إلكترونية تحت عنوان «مسابقة الإبداع» على عنوان المجلة الإلكتروني:

mailto:aqlamjadida@yahoo.com

شروط المسابقة

أولاً: إرفاق سيرة ذاتية وصورة شخصية مع المشاركة.

ثانياً: أن لا يتجاوز النص الشعري ثلاثين بيتاً.

ثالثاً: أن تكون القصيدة من الشعر العمودي أو التفعيلة.

رابعاً: أن لا يكون النص المشارك قد حاز على جائزة في مسابقة أخرى.



مصوّر الجامعة الأردنية يشترط الموهبة لاستمرار المهنة.

الطرزي: أتبع اللحظات الهاربة لأمنحها الخلود.

حاوره- أحمد الطراونة*



في ثنايا مدرّجاتها، يستدرج لحظات الجمال بعدسة العاشق. يفهم لغة الكاميرا، ويسمع همسها، وينسرق إلى ندائها. وقبيل ومضة الإبداع يلتقط لحظةً إنسانيةً توشك أن تغادر الحياة؛ فيمنحها الخلود.

الفنان الفوتوغرافي محمد الطرزي مصوّر الجامعة الأردنية يلتقط أدق خصائص البيئة ويحولها لأعمال فنية إبداعية؛ فقد تشعر أنك تسبح في السماء، أو تغرد مع طير فوق أغصان شجرة. يقتنص اللحظة من وهج الضوء ليرصد حركات أو سكون الآخرين. ثم يلقي بصيده الفوتوغرافي الثمين لنستمتع بمذاق الرؤية.

«أقلام جديدة» سارت مع الطرزي في رحاب « الأردنية» فكان هذا اللقاء:



طفولة مهتمة

- لا بدّ من بدايات: حملتك إلى التصوير!

منذ صغري وأنا أحاول أن أجمع الصور واحتفظ بها، وقد كنت أعتقد أن هنالك قيمة ما لهذه الصورة، وأن فيها موضوعاً ما له بداية ونهاية، قد يكون وطنياً أو شخصياً وهذا الاهتمام دفعني أن أعلم أن للصورة قيمة، وجعلني أعشقها وأحب التعامل معها، ولعل الشعور الخاص تجاه ما يختزن الصورة من جمال ومعنى وهدف كان يلازمني منذ الصغر.

في طفولتي بدأت أتعرف على التصوير من خلال الكاميرا الفورية التي كنت أشاهدها مع أقاربي الذين كانوا يجيئون من فرنسا لزيارتنا. كانوا يلتقطون الصور، وأذكر أنني تجرأت على استخدام الكاميرا وحاولت أن أتعامل معها وأحسست حينها أن هنالك نوعاً من الحميمية بيني وبينها، ثم بدأت العلاقة وتجسدت بدراسة التقنيات الحديثة وانتقالي للعمل في مديرية التوجيه مصوراً فوتوغرافياً بالإضافة إلى التصوير التلفزيوني، وبعملي بالتصوير التلفزيوني تعلقت به بموازاة التصوير الفوتوغرافي حتى وجدت نفسي بعد ذلك في مؤسسة زهرة اللوتس للمونتاج التلفزيوني والتصوير الفوتوغرافي، الأمر الذي دفع مديرها العام للاهتمام بقدراتي ومنحي الثقة من خلال تزويدي بكاميرات حديثة، زادت من رغبتي بامتلاك الكاميرا، ثم انتقلت للعمل بدائرة الآثار العامة، وكان عملي في مكتب آثار أم قيس، الذي أعطاني فرصة التقاط الصور الطبيعية الجميلة لآثار المنطقة، وبذلك أتيحت لي الفرصة للمشاركة في معارض محلية وعربية وعالمية، وبعدها انتقلت للعمل في دائرة الإعلام والعلاقات العامة في الجامعة الأردنية، الأمر الذي أضاف لي رؤى جديدة.

موهبة ومهنة

- كنتَ موهوباً؟!

من محاسن الصدف أن تتوافق المهنة مع الموهبة، ولو كان عملي مهنة لافتقدت لحظة إبداعٍ تتجلى بها الموهبة.



الصورة مرجعي

- ما مرجعك أو مثلك الأعلى في التصوير؟

الصورة الجميلة مرجعي؛ أرى فيها جمالية مميزة حتى لو لم تكن ضمن المقاييس الفنية الجمالية المتعارف عليها. فهي مصدر لتجديد إبداعي. وأنا هنا أعني الصورة لا شخص المصور.

نقد ضعيف

- كيف ترى النقد الفوتوغرافي بخاصة والفنيّ بعامة؟

ما من نقد حقيقي في مجال الفن الفوتوغرافي. ومردّ ذلك هو فقدان حلقة الوصل بين كبار المصورين المميزين. علاوةً على عدم وجود إطار تنظمي قوي بالرغم وجود الجمعية الأردنية للتصوير. وهذا الالتقاء الذي نفتقده بين المحترفين جعل الحالة النقدية فقيرة. وأتمنى على الأساتذة العودة إلى هذه الحاضنة الوحيدة التي تجمعنا بهم رغم أن هذه الجمعية التي يقوم عليها عدد قليل من المصورين بجهودهم الشخصية تحتضن في كل عام مهرجاناً عربياً تحت عنوان» المهرجان العربي للتصوير الفوتوغرافي». ويشارك فيه مصوّرون عرب كبار.

تواصل مفيد

- هل تقبل النقد؟!

كما أستمتع باقتناص لحظة الجمال أجد المتعة في سماع النقد البناء حتى لو كان من مصورين مبتدئين. ومن يدري؟! فربما نستفيد من معلومة جمالية غائبة.

لحظة صيد

- أين تجد نفسك في التصوير؟!

أجد نفسي في التصوير التلفزيوني إضافة إلى لحظة صيد اللقطة التي تشبع الجمالية التي تدور في خاطري حتى لو كانت لحظة فوتوغرافية.

مهرجانات غنيّة

- هل لنا أن نطوّف بمسيرتك الفنيّة؟!

مثلت الأردن في العديد من المعارض الدولية من مثل: معرض أمستردام. واليابان. والصين. وفلسطين. إضافة إلى مهرجان الإذاعة والتلفزيون الثامن ٢٠٠٢ الذي عقد في مصر. ومعرض عمان: التراث والإنسان ٢٠٠٤ . ومعرض مؤتمر المهندسين العرب: مسابقة التصوير ٢٠٠٣ . ومهرجان عمان العربي الأول ٢٠٠٠ . ومهرجان عمان العربي الثاني ٢٠٠٣ . ومهرجان السنابل الثالث للأغنية العربية: وزارة الثقافة ٢٠٠٠ . وذلك ضمن فعاليات الجمعية الأردنية للتصوير. كما شاركت في مهرجان فرانكفورت ٢٠٠٤ ومثلت الأردن بلقطة فنية لسد وادي العرب. وهي اللقطة





التي اعتبرتها فرصة كبيرة تشـرفت بتمثيل الأردن بها في هذا المعرض الدولي.

وشاركت في معرض «الوورد برس» العالمي. وأعدُّ هذه المشـاركات من أهـم المجالات التي أطلع بها على إنجازات الآخرين.

وقـد أقمـت معرضـاً خاصـاً بـي، ضمـن فعاليات مهرجـان جدارا الثقافـي، وآخر في مهرجـان الاسـتقلال السـنوي فـي جامعة اليرموك، وثالث ضمن نشـاطات كلية الآداب في جامعة اليرمـوك، إضافةً إلى العديد من المعارض المشتركة. أما الإقبال عليها فأعتقد أن الحضور النوعي هو ما يميزها.

ولا يفوتنـي «الإنترنـت» والمعـارض المحليـة والالكترونيـة المفتوحـة، وهـي فرصة ثمينة لتطويـر الأداء مـن خـلال النقـد المباشـر والتعليق علـى هذه الصور من قبل المتابعين. كما شاركت عضو هيئة تحكيم في مسابقة الإبـداع الشـبابي الثامنـة ٢٠٠٨م لـوزارة الثقافة.

الصورة الإعلامية

- هل يحدك التصوير الإعلامي عن جمالية الصورة؟!

الصورة الإعلامية ربمـا تكون محددة المكان والزمـان، وربما تكـون صورة لإبراز الأشـخاص أو إشـهارهم والعكـس صحيـح. فكثيراً ما تخلو من الإحسـاس الجمالـي. بينما الصورة الجماليـة تنـادي الفوتوغرافـي بإحسـاس جميـل وراقٍ لا تعرف الوقت والمـكان والزمان. وباختصار فإنّ الصـورة الإعلامية تكاد تخلو من الإحسـاس. بينما الفنيـة يجب أن تكون مشبعة بالإحساس الإبداعيّ الراقي.

عفوية اللقطة

- وماذا عن خبرة التصوير التلفزيوني؟!

عملي في تصوير مسلسل «الحب والكوليرا»، و«حذاء الطنبوري» العراقي، و«لمسة حب»، من أكثر المشاركات التي أعتز بها وأذكرها دائما؛ فقد أضافت لتجربتي الكثير خاصة في العمل مع الممثل، والمنتج، والمخرج، والمصور، ومتابعة حركاتهم العفوية، وهنالك تجربة أخرى في تصوير الأفلام الوثائقية، كما في فيلم «الطاحونة» و «جدارا»، إضافة إلى عدد من الصور هي الآن موجودة في المعهد الدولي لتعليم العربية للناطقين بغيرها.

عين ثالثة

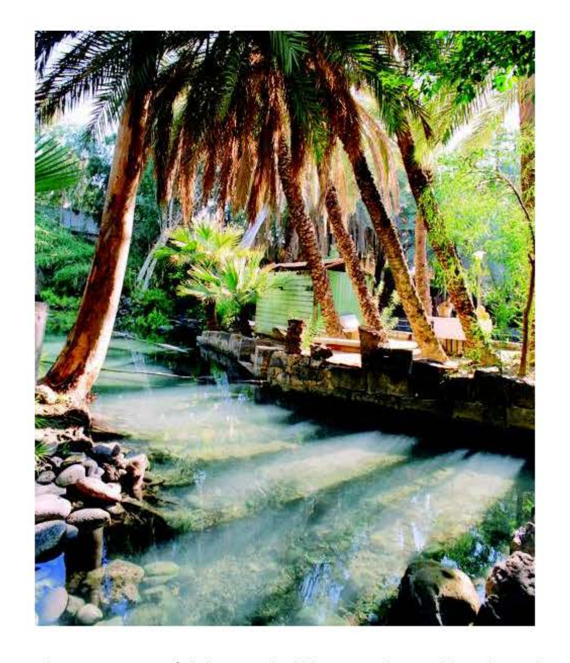
- هل تمنحك العدسة عيناً ثالثة ترى بها جوانب لا نراها؟!

إذا كنت تقصد أنّ الكاميرا عين ثالثة يمكن أن تمنح فرصة رؤية جوانب أخرى من المشهد، فإنني أرى أنها ليست عيناً ثالثةً، وإنما هي أداة لنقل الفكرة بجمالها وموضوعها إلى عين المتلقي، وهي مرآة تعكس إحساس الفوتوغرافي وتوثق لحظته.

ثقافة الصورة

- كيف ترى الفوتوغرافي الأردني بين الواقع والطموح؟

غياب الجهات الداعمة للفنان الفوتوغرافي أدى إلى تقزيم وضياع الحالة الفنية الفوتوغرافية، عدا عن الكلفة العالية في إقامة المعرض، وقلة المردود، وغلاء مدخلات



الإنتاج المتمثلة في الكاميرا الحديثة وجهاز الحاسوب والبرامج الخاصة بالتصوير، كما أنّ تدني ثقافة المجتمع بقيمة الصورة وتأثيرها له دورٌ كبير في ذلك.

أبيض.. أسود

- هل تذوب الفوارق بالصورة غير الملوّنة "الأبيض والأسود"؛ بمعنى أنها أكثر تزييفاً للحقيقة؟!

إذا كان سؤالك يعني أنّ المصور الآن يزيف الحقيقة من خلال ما يمتلك من أدوات تكنولوجية رقمية يستطيع من خلالها إيجاد لحظة جمالية حتى لو لم تتوافر تلك اللحظة حقيقة؛ فإنني أبشّرك أنه يمكن أن يخلق صورة، لكن لا يستطيع خلق إحساسنا الصادق بها.

وكلما ارتفع حجم اللون ارتفع حجم

التشـــويه والتزييف، لا سيما بوجـــود المؤثـــرات الالكترونية الحديثة.

مأساة الكاميرا

- ما العبء الإنساني للصورة؟!

قد تســـتطيع لقطة ما أن تختزل مأســـاة شعب كامل، فهنالك صور تختزل المقاومة وصور تختزل التســـول وصور تختزل الجـــوع والفقر، ومنها ما يختزل الترف في الحياة.. نعم الصورة قادرة أن توصل الرســـالة الإنسانية بكل تفاصيلها شـــريطة أن تمتلـــك ذلـــك الإحســـاس الـــذي ننشـده.

لقطة آسرة

- كيف تأتيك اللقطة الآسرة؟!

يلتقطنـــي المشـــهد أحيانا، ويرتســـم على عينـــي، ولا يمكـــن أن أعـــرف أيـــن تكمـــن هذه



اللحظـــة، ولا يمكن أن أعيدها مـــرة أخـــرى، بمعنـــى أنّ لحظة الالتقـــاط هي من يترك الحياة في الصورة.

إحساس جميل

وكيف يدهمك الإحساس الجميل؟!

قـــد يكـــون إحســـاســـي بالصـــورة عاليـــاً لكنني غير قـــادر علـــى تفســـير أســـباب تعلقي بها أو بغيرها.

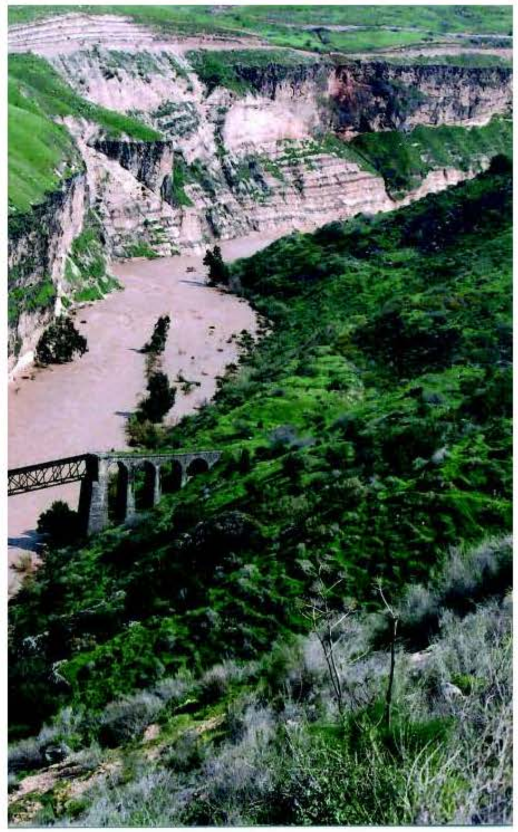
دافع التكريم.

- ما مدى تحفيز التكريم للمبدع؟

حصلت على العديد من الجوائز والدروع في كثير من المناســـبات الوطنية وغيرها، وأذكر: وزارة الثقافـــة، والمتحـــف الوطنـــي للفنـــون الجميلة، ونقابة المهندسين، وجامعة اليرموك. ولا أنكر أن هذا التكريم وغيره يضيف لي دافعاً للتطور والتجديد.







رسالة

- ما طموح الطرزي؟!

الكشف عن مكامن الجمال التي أودعها الله في تفاصيل الكون هو رسالتي، وأتمنى أن أكون عالمياً لأحمل رسالة الأمة الإسلامية. وأتمنى أن أقدم أجمل صورة للجامعة، وأطمح أن أحتفي بها على مستوى عالمي بأجمل صورها، من خلال كتاب «الأردنية في صوره».

---

* كاتب وصحفي



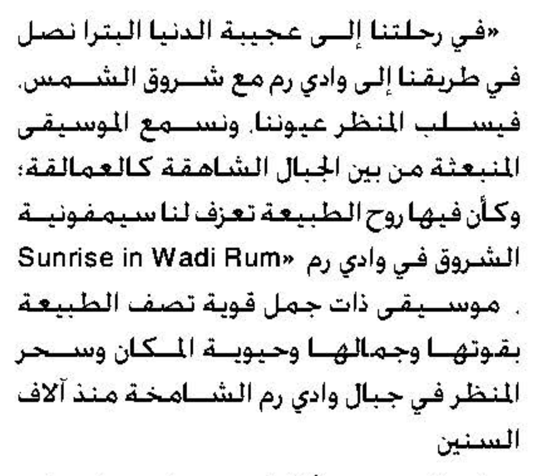
ثقافة وفنون

موسيقي أردني يستلهم عبق التاريخ وسحر الحاضر

المايسترو سكريّة: «سيمفونية البترا» حلم أُردني تحقق

حاورته: رغدة البخيت*





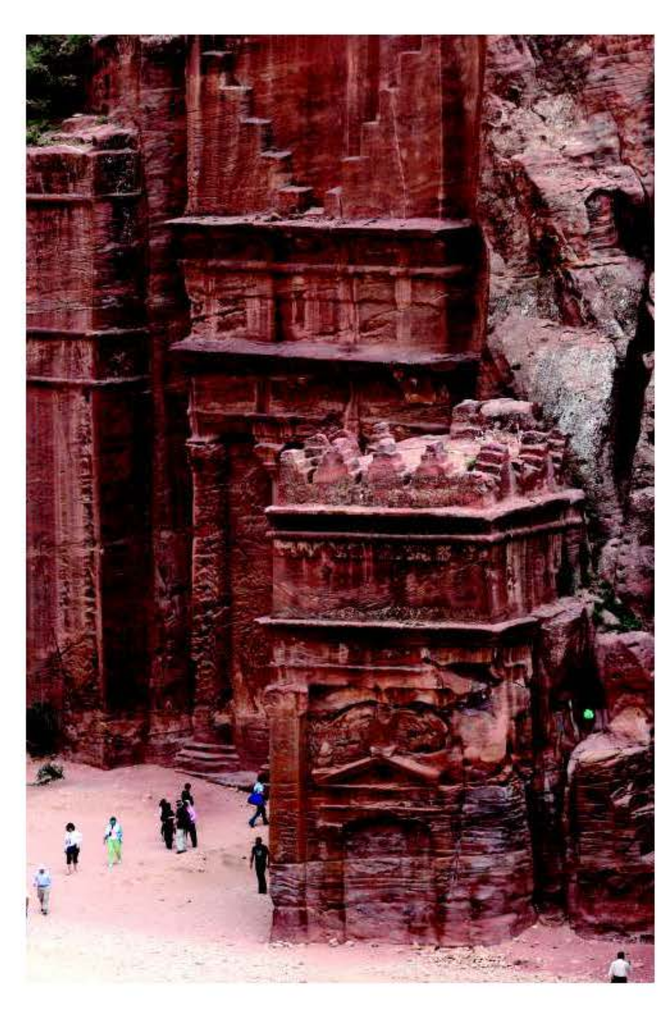
«في رحلتنا إلى عجيبة الدنيا البترا نصل في طريقنا إلى وادي رم مع شروق الشمس، فيسلب المنظر عيوننا، ونسمع الموسيقى المنبعثة من بين الجبال الشاهقة كالعمالقة؛ وكأن فيها روح الطبيعة تعزف لنا سيمفونية الشروق في وادي رم «Sunrise in Wadi Rum» . موسيقى ذات جمل قوية تصف الطبيعة بقوتها وجمالها وحيوية المكان وسحر المنظر في جبال وادي رم الشامخة منذ آلاف السنين

وفي الغروب تبدأ الشمس بالاختباء خلف الجبال العملاقة وتعزف لنا سيمفونية الغروب في وادي رم « Sunset in Wadi Rum» . موسيقى رومانسية تصور أجمل غروب في العالم . في جبال وادي رم، وفيها يحلو السهر . نقيم «خيمنا» لنبيت ليلة من العمر في وادي رم ونقيم حفلاً ساهراً نعزف فيه « كونشيرتو الكمان »، ونغني فيه « حبيتك أنا عمان .









وفـي الصبـاح نصـل إلـى البترا، ونسـمع أصـداء الموسيقى في «السـيق»، فتزيـغ أبصارنـا بمـا نرى وتنشد أعيننا هنا وهناك على جانبي السـيق فنرى الموسيقى . ثم تأخذنا الموسـيقى إلى أجمل ما في الكون؛ الخزنـة التـي تعـزف لنا موسـيقى التاريـخ؛ تاريخ الأنبـاط، تاريخ الأردن . ألحانـاً عربيةً تحمل فـي ثناياها عبق التاريخ وسحر الحاضر .

وتتنـوع الموسـيقى بـين القـوة والرومانسية حتى تأخذنا إلى جمال قهوتنـا فـي «المهابيـش» وألحاننـا الأردنية التي تسري في عروقنا . وبعد الغداء نستريح على تقاسيم البيانو في ألحان عذبة شـرقية عربية أردنية . ونقيم ليلتنا في حفل سـمر على ألحـان سيمـفـونيـة البـتراء».

هـذا ملخّصٌ لسـيمفونية البترا «Petra Symphonic Poem Concert» التي أبدعها المايسـترو الأردني هيثم سكرية فـي حفـل اوركسـترا عمـان السـيمفوني التابع للمعهـد الوطني للموسـيقى بمركز الحسـين الثقافـي، وشـاركت فيـه الفنانة روز الـور، واشـتمل على كونشـيرتو الكمان لنبيـه صويـص، وفـي السـيمفونية وصف متخصصون وموسـيقيون ومتابعون العملَ بـأنّ فيه جهـداً مبـذولاً، وثيمـة فلكلورية، واهتماماً موسيقياً عالياً.

وعلى هامش إنجاز سـكرية للسـيمفونية كان لـ «أقلام جديدة» معه هذا الحوار:

الآلة الأولى

أتقنت العـزف على آلة الأوكورديون و الأورغ وأنا في مرحلة الابتدائية، واستطعت أن أعدّل على أوتار الأوكورديون ، لأداء النغمات الشرقية.

البيئة المحيطة

الفنان ليس منعزلاً عن بيئته فهو متأثرٌ بها و مـرآة لها، وهي تعكـس حالته الاجتماعية و الاقتصاديـة و السياسـية فـي مـا يبدع و يؤلف سواء أكان موسيقياً أم فناناً تشكيلياً أم شـاعراً، أم منتميـاً لأيّ نـوع مـن الفنون

والأدب.أما سيمفونية البتراء فتندرج تحت ما يسمى بالموسيقى البروجرامية التي تربط الموسيقى بالفنون الأخرى كالرسم والشعر والدراما ، كذلك اتبعت فيها المدرسة القومية و هي التي ظهرت في اوروبا وساعد على ولادتها الثورة الفرنسية، حين استقلت الشعوب من هيمنة الثقافة الألمانية التي سيطرت على المشهد الفني الأوروبي لوقت طويل. وبعد الثورة أراد الفنانون التعبير عن استقلالهم الفني و الاجتماعي و السياسي فأدخلوا مضامينهم الوطنية بإبداعهم، وأظهروا الجانب الوطني في أعمالهم الفنية، فكان لتأثير البيئة المحيطة في مجتمعاتهم دور كبير على مؤلفاتهم التي اشتملت على ألحان بلادهم الشعبية و آلاتها و مقاماتها الموسيقية التي تميزها. كما استخدموا قصصهم الوطنية التي تتغنى بالانتصارات وكذلك استخدموا الاساطير الشعبية كأفكار لأعمالهم الفنية .

الموهبة والاحتراف

شجعتني العائلة للموهبة و ليس للاحتراف. و هذه مشكلة عربية عامة؛ مع أن المنطق يقول إن العائلة يجب أن تفرح عندما تكتشف موهبة عند أحد أبنائها و تسعى جاهدة لصقلها لمزيد من الإبداع والتميز. وقد التمس العذر للأهل لان مجتمعاتنا ما زالت تنظر إلى الفنون نظرة سطحية وكنوع من اللهو وملء الفراغ وليس نوعاً من الثقافة وأداة تعبير عن الفكر ولها دور فاعل في سمو النفس البشرية التي ميزها الخالق عن باقي مخلوقاته.

موسيقيون كبار

أنا مغرم بالمزج بين الموسيقى العربية والعالمية، و بذلك أسير على خطى أستاذي المؤلف المصري العالمي الراحل (عزيز الشوان) تلميذ المؤلف العالمي (خاشو تريان). و قد اتجها إلى التأليف الذي يبرز جماليات الموسيقى العربية بمقاماتها المتنوعة والغنية بألحانها مع فنون الهارموني الغربي، وبمزيج جديد تكون فيه العلوم الغربية في خدمة الموسيقى العربية بحيث يضيف الهارموني جوا شرقياً متماشياً مع المقامات الشرقية .

إلهام الطبيعة

أتأثر كثيرا بالألوان و ما يقع عليه بصري من مناظر طبيعية، فأستلهم نغمات تحاكيها و تعبر عنها، لأن اللون له تأثير على العين مشابه تماما لتأثير اللحن على الأذن. فالألوان منها ما هو مريح أو مثير أو قوي أو ضعيف أو بارد أو حار، كما أنّ الألحان أيضاً لها نفس تلك التأثيرات على الأذن، وفي مؤلفاتي استلهمت ما أرى من مشهد مثل شروق الشمس في وادي رم والغروب ، وكذلك سيمفونية البتراء وسماعي وعروس الشمال..

أحَبُّ المؤلفات

لكل مؤلف ذكرياته و انفعالاته النفسية المؤثرة في وجدانه ، وأستطيع أن أشبه المؤلف بالأم ومؤلفاته بالأبناء، أما سيمفونية البترا فأعدّها من أنضج أعمالي قيمةً فنيّة. وقد مزجت فيها كل انواع الموسيقى تقريبا و كانت ثمرة و عصارة لأفكاري و خبرتي في التأليف و الكتابة الأوركسترالية، و هي

أطول أعمالي، حيث بلغت عشرين دقيقة تنوعت فيها الموسيقى ما بين الكلاسيكية و الرومانسية و الحديثة والجاز و الشعبية. و احلم أن أتمكن من تسجيلها في الأستوديو من خلال أوركسترا، و أنسخها على قرص مدمج من أجل نشرها فنيا وليس تجارياً .

قمة النجاح

سألوا أحد المبدعين في الفنّ و هو في الخامسة و التسعين من عمره السؤال نفسه، فقال: « هي التي لم أبدعها بعد».

تجربة القاهرة

فيما مضى لم يكن للمؤلف السيمفوني الأردني وجود عربي أو عالمي؛ فعندما تقدمت بعملي (سمفونية وادي رم) إلى دار الأوبرا المصرية كان ثمة تعجب لكوني أردنياً ينجز مؤلفاً سيمفونياً، ومع أنّ ذلك أحزنني، غير أنني لم أفتقد شيئاً من جدّيتي؛ واذكر أنني قلت: المدونات الموسيقية بين أيديكم فإن أعجبتكم اعتمدوها، و إلا فردّوها.

وبعد أقل من شهر جاء الردُّ ليؤكد أنّ عملي يرتقي لتؤديه أعرق اوركسترا في الشرق الأوسط و هي (اوركسترا القاهرة السيمفوني) التي يزيد عمرها على ٥٠ عاما. ففرحت كثيرا، و حلمت كثيرا في المنام و اليقظة، منتظرا ذلك اليوم الذي نحقق فيه عملا أردنيا في دار الأوبرا المصرية. و جاءت المفاجأة الكبرى بعد ذلك حين بُلّغت أن عملي تم اعتماده ليفتتح مهرجان (اتجاهات عربية)، حيث وجدوا في عملي من التنوع و القوة و الجمالية ما يؤهله لذلك.

أذكر ذلك جيداً في العام ألفين وخمسة، وأذكر أيضاً عام ألفين وستة أن اسمي وضع ضمن المشاركين، وطالبني المصريون بعمل آخر فشاركت في العملين الشروق في وادي رم والغروب في وادي رم . و في العام ألفين وسبعة تقدمت بعملين كبيرين هما (كونشيرتو الكمان) و الأغنية الأوركسترالية (حبيتك أنا عمان) و طلبت أن أقود الاوركسترا في أعمالي، و تمت الموافقة فورا في أول اجتماع، و ذلك للثقة بما قدمت في العامين السابقين.

و أذكر أنّ الحفل حضره القنصل الأردني في القاهرة، ونقيب الفنانين الأردنيين، ومدير عام الإذاعة والتلفزيون السابق، و رئيس قسم الموسيقيين في الإذاعة و التلفزيون، ومجموعة كبيرة من الفنانين الأردنيين جاءوا خصيصاً إلى القاهرة لحضور هذا الإنجاز وبدعم من أمانة عمان ونقابة الفنانين.

الصعوبات

ما يفرحنا أن جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين حفظه الله يدعم الثقافة والفكر والفن، وما زالت توجيهات جلالته حاضرةً في كل ميادين العمل الإبداعي ، إلا إننا نحن الفنانين نواجه صعوبات كثيرة تحول دون إنجاز إبداعاتنا ويمكن أن تحدّ من مستوانا الفني، وبالتحديد حين نواجه بمن لا يملك المعرفة الكافية لمفردات الإبداع الفني المختلفة، أو حين تصرف مبالغ طائلة على أعمال لا نراها، ولكن مع كل ذلك فما زال من يواصل ليله بنهاره ويمثل بلدنا الأردن أصدق تمثيل في مختلف انواع الفنون والثقافة ، وبالمجمل فإنني أستطيع أن أصف الفنان الأردني بنبتة

الصحراء التي تعيش وتواصل نموها حتى مع نضوب أو شح الماء.

فوضى الفن

الفنون دائما هي مرآة لواقع المجتمع و البيئة المحيطة بالمبدع، فعندما ننظر إلى أعمال مطلع القرن الماضي بطبيعتها البطيئة الكلاسيكية الصادقة، المعبرة عن مشهدية الواقع آنذاك نجد أنّ الحياة كانت فعلا كذلك، فإذا تغيرت ملامح البيئة المحيطة بالمبدع تغيرت إبداعاته، ومثال ذلك ما نراه من تغيّر طرأ على الأغنية البطيئة الطربية الصادقة بمشاعرها و أحاسيسها مثل أغاني أم كلثوم و عبد الحليم....فتحولت إلى أغاني سريعة ومصطنعة خالية من الأحاسيس؛ فالحياة اليوم سريعة و فيها الكثير من الاصطناعية و عدم الشفافية، كما أنّ هوية الأغنية باتت في خطر حين غرقت قي مستنقع العولمة.

رسالة

من المهم جدا أن يعتمد الفنان على نفسه و يطلق العنان لموهبته، و يبتعد عن التقليد الأعمى، فالمقلد يظلم نفسه كثيراً ؛ لأنه لو اعتمد على قدراته و سعى لتطويرها لأبدع و تطور و تفوق على من يقلده.

وكثير من الشباب ينسلخ عن هويته و جذوره، مقلداً الغرب ومعتقداً أن ذلك هو طريق نجاحه. و اعتقد أن هؤلاء الشباب نادراً ما ينجحون؛ فالنجاح الحقيقي يبدأ من الموهبة الحقيقية الصادقة النابعة من البيئة، وادلل على قولي بالمبدع العربي نجيب محفوظ الذي حصل على جائزة نوبل في الآداب عن أعمال أدبية تصور البيئة الشعبية المصرية، فلو قلّد «شكسبير» لما حصل على تلك الجائزة، فارتباط إبداعه بموهبته الصادقة و بيئته هو الذي ميزه عن المبدعين الغربيين الذين يفتقدون إلى مثل هذا التراث الغني.

سيرة طيّبة.

اجتزت امتحان القيادة في الدورة التي تلقيتها من الملحقية الثقافية الأمريكية في عَمّان بالتعاون مع مؤسسة الحسين - المعهد الوطني للموسيقى عام ١٩٩٣ ، وأنهيت دبلوم الدراسات العليا عام ٢٠٠٥ قسم التأليف والقيادة - تخصص تأليف بتقدير عام امتياز ، وتقدير تخصص امتياز. وحصلت على درجة الماجستير في الفنون / قسم تأليف وقيادة من المعهد العالي للموسيقى أكاديمية الفنون / القاهرة بتقدير امتياز ، سنة ٢٠٠٧ .

شغلت أستاذ التأليف الموسيقي وعلوم الهارموني في الأكاديمية الأردنية للموسيقى سنة ١٩٩٧ حتى ٢٠٠٣ ، ومايسترو الأوركسترا الوطنية الأردنية التي قمت بتأسيسها عام ١٩٩٧ من خلال نقابة الفنانين الأردنيين ، وقدت الأوركسترا في العديد من الاحتفالات الوطنية الرسمية وغير الرسمية وكذلك في العديد من المهرجانات العربية مثل مهرجان الأغنية الأردني الأول والثاني والثالث والرابع ، ومهرجان جرش للثقافة والفنون في أكثر من دورة ، بالإضافة الى العديد من الحفلات العامة التي تقام في عَمّان للمطربين الأردنيين والعرب .

كنت عضواً سابقاً في مجلس الأكاديمية

الأردنية للموسيقى ، ومجلس إدارة نقابة الفنانين الأردنيين عن شعبة التأليف والتلحين ، وعضوا في اللجنة العليا للمشاريع الثقافية التي قدمتها نقابة الفنانين الأردنيين في إعلان عمان عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٢ .

وشاركت مع باحثين أردنيين تم اختيارهم من قبل وزارة الثقافة لتقديم أبحاث ثقافية وفنية في عمان عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٢ ، فقدمت بحثاً بعنوان (التجارب الموسيقية الحديثة في الأردن) .

تعدد نشاطي الفني في المشهد الثقافي الأردني في التأليف الموسيقي للمسرح والتلفزيون وكذلك ألحان وتوزيع الأغاني ، بالإضافة الى قيادة الأوركسترا ، وحصلت على العديد من الجوائز والتكريم أهمها : جائزة أفضل موسيقى تصويرية في مهرجان بترا العربي - عن مسرحية سالومي ، وجائزة أفضل عمل متكامل في مهرجان الأغنية الأردني - الذي أقامته رابطة الفنانين الأردنيين، وجائزة الملك عبدالله الثاني للإبداع (الجائزة الثانية والثالثة) في مهرجان الأغنية الأردنية الثاني ، وجائزة الملك عبدالله الثاني للإبداع (الجائزة الأولى) في مهرجان الأغنية الأردنية الخامس.

كما حصلت على الجوائز الأولى الثلاث في مهرجان أغنية الطفل العربي وهي : الجائزة الأولى لأفضل عمل عربي ، والجائزة الأولى لأفضل عمل محلي ، والجائزة الأولى لأفضل عمل من خلال تصويت الجمهور .

كرمني جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين- حفظه الله- عن دوري في المشهد الثقافي الأردني وأنعم عليّ بمنحه دراسية خاصة لاستكمال دراستي العليا في القاهرة عام ٢٠٠٣ .

وكرمتني جلالة الملكة رانيا العبدالله ضمن مبدعي عام ٢٠٠١-٢٠٠٢ في مجالات الآداب والثقافة والفنون.

كما كرمتني دار الأوبرا المصرية واحداً من مبدعي التأليف والقيادة، بوصفي أول مايسترو أردني يقود أوركسترا القاهرة السيمفوني .

وحصلتُ على الجائزة الكبرى (جائزة الميكروفون الذهبي) في مهرجان الأغنية العربية في دورته الرابعة عشرة والذي أقيم في تونس ، عن أغنية (انتظار الماضي).

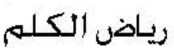
شاركت في فعاليات دار الأوبرا المصرية عازفاً ومؤلفاً وقائداً ، وقمت بالعزف على البيانو في الكونسيرت الموسيقي الذي أقامته د. مشيرة عيسى على المسرح الكبير سنة ٢٠٠٤ حيث عزفت فانتازيا موتسارت (ك ٤٧٥) ، وشاركت بوصفي مؤلفاً وعزفت لي أوركسترا القاهرة السيمفوني سيمفونية (وادي رم) في مهرجان اتجاهات عربية عام ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦ ، واليوم قدمت (سيمفونية البترا) وهي أول سيمفونية أردنية تؤدى بشكل حي من خلال أوركسترا عمان السيمفوني بقيادتي ورعاية وزارة الثقافة ودعم أمانة عمان ومؤسسة الإذاعة والتلفزيون.

وأتابع دراستي العليا في الدكتوراة من المعهد العالي للموسيقى/ أكاديمية الفنون بالقاهرة قسم التأليف والقيادة ، وحملت أطروحتي عنوان (استخدام الألحان الشعبية الأردنية في تأليف القصيد السيمفوني) .

*طالبة جامعية/ ك. الفنون



رياض الكلم





كلّكم مبدعون بالقوّة

أ.د. نهاد الموسى*

للشبّان والشابّات أقول: كلّكم مبدعون بالقّوة. وكلّكم مبدعون بالفطرة؛ ألا ترون أنّكم خلال ستّ السنوات الأولى من طفولتكم تستكملون المعرفة بلغتكم الأمّ استقبالا وإرسالا على نحو متجدد لا يتناهى. واللغة التي يبرمجها العقل الإنساني بما رُكّب فيه بالفطرة هي أعجب أنظمة الوجود الإنساني على الإطلاق. ويكفي أن تلاحظوا أن هذه اللغة التي تجري على ألسنة الأطفال في سن السادسة تلقائيا لو أراد أعظم علماء اللغة أن يستدخل نظامها بالتعليم المنهجي لاقتضاه ذلك عملا جاهداً طويلا ولعله لا يبلغ من إتقانها مثل ما يتقنون.

كلّكم مبدعون بالقّوة؛ ألا ترون أنكم تقرأون المتنبي. مثلا. أو تستمعون إلى محمود درويش. فتجدونه يصيب الفكرة المبصرة. أو يلتقط الصورة المتخيلة. أو يشكل الرؤية الجامعة. أو يتفطّن إلى المفارقة اللاذعة. أو يقتنص الموقف الحرج. أو ينبه على حركة النفس. فتحسون أنه كأنما ينطق بلسانكم. أو ينطق عن لسان حالكم. أو يكشف عن مخبوء كان فيكم. ولعلكم تقولون: هذا ما كنّا نجده بالحدس. كأن إبداعه كامن فيكم.

كلّكم مبدعون بالقّوة. والمتنبي مبدع بالفعل. ومحمود درويش مبدع بالفعل. ولكن بينكم وبين إبداع المتنبي سبباً قريبا. لقد قيل في تفسير إبداعه إنه كأنما كان ينطق بلسان كلّ إنسان في كلّ زمان ومكان. ثم إن بينكم وبين إبداع محمود درويش سببا قريبا فقد قال لكم فيما قال: أنا مثلكم أو أقلّ قليلا.

واسألوا عن سّر إبداع المبدعين بالفعل وعمّا كان يسكنهم من السؤال أو يشغلهم من المطلب؛ هل كان المتنبي يطلب ولاية فهو يجهد في سبيل الحصول عليها؟ وسواء أكان ينشد الظفر بولاية أو الظفر بقلب أخت سيف الدولة فقد أصبحت له غاية تسكنه وتحرّكه لعلّه يظفر بها.

وواجه محمود درويش سؤال الهوية المحيّر: من أنت؟ كان يسأل في مطارات العالم: أين ولدت؟ -في فلسطين. أين تعيش؟- في إسرائيل. وكان يواجه سؤال المنفى. لقد محيت قريته واغتيلت علاقته بالمكان وجمالياته. فلم يزل يقلب النظر والاستدلال

علــى حقه الإنســاني الطبيعي فــي الهوية وحقــه الوجــودي الطبيعي في المــكان حتى قلقل ســكينة من انتــزع هويتــه واغتصب مكانه بالقوة المصطنعة!

أنتم تختزنون خبرة من المدينة أو من القرية أو من البادية أو من المخيم، وقد يغطّي إلفُكم بها على أبعادهــا ومنطوياتهــا، ولكنها في جوهرهــا الحقيقــي تشــكل وجودا إنســانيا محمّلا بالإمكانات الإبداعية. ألا ترون إلى نجيب محفوظ الذي كانت الحارة المصرية موضوعه لإبداع وصل به إلى الكونية وجائزة نوبل؟

ثم أنتم تدخلون في تحدّي الاختلاف؛ إذ أنتم في الجامعة تواجهون شروطا إضافية تدعوكم للتغيّر وتدخلكم في تجارب يشــوقكم فيها أن تقارنوا وأن تفســروا وأن ترصدوا ما تفيض عليكــم مــن الوقائــع والنمــاذج والعلاقات الإنســانية. لقــد كان أحــد المبدعــين الكبار مــن خريجي الجامعة يقــول إن في خاطره أن ينشئ عملا دراميا بعنوان: جامعة، يرصد فيه بيئــة الجامعة بمــا هي مجتمع إنســاني موّار بالحيــاة وأحوال النفوس وأشــواقها وتحولاتها وعلاقاتها!

قديما قال الجاحــظ إن المعاني مطروحة في الطريــق يعرفها البدوي والحضري. وإنما يتمايز المبدعــون في ضروب البيان عنها. ونحن نقول قياســا علــى ذلــك إن مــادة الإبــداع مبذولة في كل مشــهد إنســاني، وإنما يمنحها المبدع شكلها من الإبداع قصة أو رواية أو قصيدة.

وقريــب مــن هــذا أن تنظــروا إلــى اللغــة التــي تعرفونهــا بأصواتها وصرفهــا ونحوها وبلاغتها ومعجمهــا. ألا ترون إلى هذه اللغة نفســها كيف تصبح شــعرا ومثلا وخطبة ووصية ومقامة ومقالة وقصة قصيرة ورواية ومسرحية؟

ويطيل الناس في تفســير شــروط الإبداع ومتطلباتــه مــن الموهبــة والوعــي والثقافة والاطلاع على ســير المبدعين ونماذج إبداعهم، ولكنني أختــزل ذلك كله بالقــول إن مفتاح الإبداع هو الســؤال: لمــاذا أكتــب؟، مثلا. وقد ســئل عدد من المبدعين من الأدبــاء والحائزين علــى جائــزة نوبــل هذا الســؤال، فــكان من إجاباتهم:

جورج بورخس (الأرجنتــين): أكتب كي ألبي ضرورة داخلية .

جورج ســيمنون (بلجيكا): أكتب لأني، منذ طفولتــي، تيقنت مــن حاجتي إلــى التعبير، ولأني حين لا أفعل، أشعر بالضيق.

يوســف إدريس (مصــر): أكتــب لأني أحيا، وأســتمر فــي الكتابة لأني أطمــح إلى حياة أفضل.

ماكــس فريش (الســويد): أكتب لأكســب عيشــي. إنهــا مســألة دوافــع وهــي عديدة ومتوازية.

* أولا دافــع اللعب، كطفل يلعب بالوحل أو بشــريط حديدي؛ طفل يجد شريطا حديديا ويمتعه أن يشده .

* دافــع آخــر: تحقيــق رغبــة في الخيــال، لا نستطيع تحقيقها في الواقع .

* دافع آخــر: الحاجة والرغبة في التواصل.

* دافع أخيــر: دافع المسؤولية تجاه المجتمع .

* غابريــيل غارســيا ماركيــز (كولومبيــا): ليحبني أصدقائي أكثر.

أنتــم مبدعــون بالقــوة، بمــا ركــب فيكم بالفطــرة من اللغــة، وبما اكتســبتم بالخبرة من الحياة. أمّا ســبيلكم إلــى الإبداع بالفعل فهو الســؤال: لماذا؟ وماذا؟ وكيف؟ ودعوا كلّ ســؤال يفضي إلى ســؤال حتى يكون الإبداع هو الجواب.

---

* رئيس قسم اللغة العربية / الجامعة الأردنية